الفتنة

وآثارها المدمرة

(موقف المسلم منها وطرق التثبت فيها)

جمع وترتيب

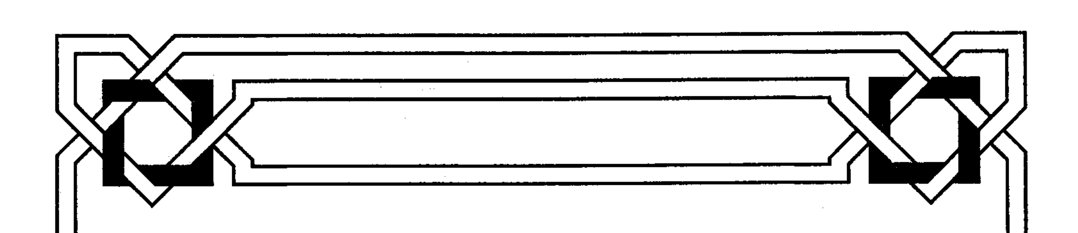
د. أحمد بن إبراهيم بن أحمد

دار لينا

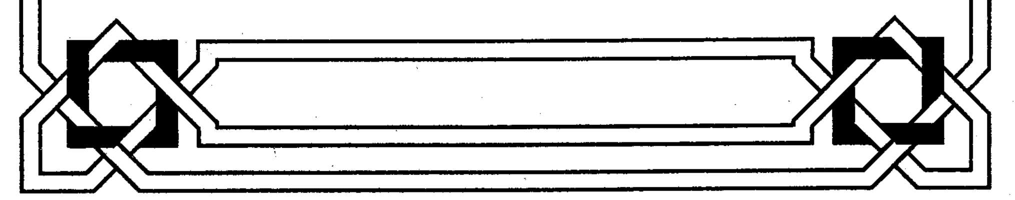
للطباعة والنشر

فرع أول: دمنهور جمهورية مصر العربية. هاتف: ٣٢٢٨٩٣٧

فرع ثاني: مكة المكرمة - هاتف: ٥٥٩٤٦١١



أصل هذا الكتاب هو بحث للتخرج من المرحلة العالية لدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة وكان البحث بإشراف الشيخ خالد فوزي عبد الحميد حمزة، وقد نال البحث الدرجة النهائية وأوصت لجنة البحوث بدار الحديث بطباعته



الفتنة

وآثارها المدمرة

(موقف المسلم منها وطرق التثبت فيها)

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

فقد شرفْتُ بأن كُلِّفْتُ من المشايخ المسؤولين عن بحوث التخرج في دار الحديث الخيرية بعمل بحث عن الفتن والتثبت فيها، فاستبشرت واستعنت بالله أن أقوم به؛ راجياً من الله تعالى التوفيق والسداد، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثانياً: أهمية الموضوع:

والمتأمل في نصوص الشريعة؛ يجد أن موضوعَ الفتن من الموضوعات

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

(٣) الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١.

الهامة التي حظيتْ باهتمام كبير في كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ ، وذلك من خلال الآيات والأحاديث الكثيرة التي تحدثتْ عن الفتنة وأسبابها وأماكنها وأزمانها؛ ليكون المسلم على بينة من أمره إذا ظهرت الفتن ، ليتصرف على وَفْق الشرع لا على وَفْق العادة والهوى.

وتظهر أهميةُ هذا الموضوع من خلال النقاط الآتية:

١ ـ **الدنيا دار بلاء وافتتان وامتحان** ، لا تثبت على حال ، ولا يقرُّ لها قرار ، فيوم لك ويوم عليك ، ويوم يسوءنا ويوم يسرُّنا ، وتمتزج فيها اللذات بالآلام ، وتختلط فيها العافية بالأسقام ، والمحابُّ بالمكاره ، وصفاؤها مشوب بكدر ، وفرحها مشوب بحزن ، ولذاتها متبوعة بالألم. كم أذاقت بؤساً! وكم جرعت غصصاً! فهي كما قيل: إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً ، وإن سرت يوماً أساءت دهراً ، وإن متعت قليلاً منعت طويلاً[1]. وهي كما قال الشاعر:

جُبِلَتْ على كدرٍ وأنت تريدُها ... صفواً من الأقذاءِ والأكدارِ
ومتكلفُ الأيام ضد طباعها ... متطلِّبٌ في الماء جذوةَ نارِ

٢ ـ **الفتن لا مفر منها** ، فالعبد مفتون في هذه الدار بشهواته ، ونفسه الأمارة ، وشيطانه المغوي المزيِّن ، وقرنائه ، وما يراه وما يشاهده مما يعجز صبره عنه ، وفي ذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه: **(لايقولن أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة ، فإنه ليس منكم أحد إلا وهو يشتمل على فتنة؛ لأن الله يقول:** ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[2]. **فأيكم استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن)**[3].

٣ ـ **اقتضت سنن الله الكونية والشرعية أن الناسَ مفتونٌ بعضهم ببعض** ،

---

(١) عدة الصابرين: ص ٧١.
(٢) التغابن: ١٥.
(٣) جامع البيان للطبري: ٦/ ٢١٩.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾[١].

يقول ابن القيم: (وهذا عام في جميع الخلق، **ممتحن بعضهم ببعض**، فامتحن الرسُلَ والمرسَلَ إليهم، ودعاهم إلى لزوم الحق والصبر على آذاهم، وتحمل المشاق في تبليغ رسالات ربهم، وامتحن المرسل إليهم بالرسل: هل يطيعونهم وينصرونهم ويصدِّقونهم، أو يكفرون بهم، ويردون عليهم ويقاتلونهم، وامتحن العلماء بالجهال: هل يُعلِّمونهم وينصحونهم، ويصبرون على تعليمهم ونصحهم وإرشادهم، وامتحن الجهال بالعلماء: هل يطيعونهم ويهتدون بهم، وامتحن الملوك بالرعية والرعية بالملوك، وامتحن الأغنياء بالفقراء، والفقراء بالأغنياء، وامتحن الضعفاء بالأقوياء، والأقوياء بالضعفاء، والسادة بالأتباع، والأتباع بالسادة، وامتحن المالك بمملوكه ومملوكه به، وامتحن الرجل بامرأته وامرأته به، وامتحن الرجال بالنساء والنساء بالرجال، والمؤمنين بالكفار والكفار بالمؤمنين، ولذلك كان فقراء المؤمنين وضعفاؤهم من أتباع الرسل فتنة لأغنيائهم ورؤسائهم، فقد امتنعوا من الإيمان بعد معرفتهم بصدق الرسل وقالوا: ﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾[٢]. وقالوا لنوح عليه السلام: ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾[٤]. فامتنع الرؤساء من الإيمان حمية وخوفاً أن يكونوا من الضعفاء)[٥]. اهـ.

٤ ـ ما خلق الله الخلق، ولا أوجد الموت والحياة إلا من أجل الابتلاء والاختبار، قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٦].

---

(١) الفرقان: ٢٠.
(٢) الأحقاف: ١١.
(٣) الشعراء: ١١١.
(٤) الأنعام: ٥٣.
(٥) إغاثة اللهفان: ٢/ ١٦٠.
(٦) الملك: ٢.

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[1].

فليوطِّن العبدُ نفسه على هذه المعاني والحقائق.

٥ ـ الفتن تُظْهِر الصادقَ من الكاذب والمؤمنَ من المنافق، فهي تكشف عن معادن الرجال، ولولا المحن والبلاء لاستوى الناس. قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾[3].

٦ ـ أخبر النبي ﷺ بالفتن حتى قيام الساعة؛ وذلك للعلم بها والحذر منها، فقد جاء عن حذيفة بن اليَمَان رضي الله عنه قال: (قام فينا رسولُ الله ﷺ قياماً ما ترك شيئاً في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حَدَّث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، فقد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه)[4].

وقال عمرو بن أخطب رضي الله عنه: (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس وأخبرنا بما كان، وبما هو كائن فأَعْلَمُنا أَحْفَظُنا)[5].

٧ ـ اهتم سَلَفُنا الصالحُ بمعرفة الفتن، فكانت الصحابةُ تسأل عن أشراط الساعة، وعن الملاحم التي قبل قيام الساعة، وذلك للحذر منها وأخذ العدَّة والأهبة. قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (كان الناس

(١) هود: ٧.
(٢) العنكبوت: ١ ـ ٣.
(٣) آل عمران: ١٧٩.
(٤) صحيح مسلم: ح ١٩٨٢.
(٥) صحيح مسلم: ح ٢٨٩٢.

يسألون النبيَّ ﷺ عن الخير ، وكنتُ أسأله عن الشر مخافة أن يدركني)[1].

وعلى هذا جرى أهل العلم من التابعين ومن بعدهم؛ كانوا يُعَلِّمون الناس أحاديث الفتن ، ويوصون ببثِّها ونشرها بين الناس للحذر منها.

قال البرزنجي رحمه الله: (ولذا كان حقاً على كل عالم أن يشيع أشراطها ، ويبث الأحاديث والأخبار الواردة فيها بين الأنام ، ويرددها مرة بعد أخرى على العوام ، فعسى أن ينتهوا عن الذنوب ، ويلين منهم بعض القلوب ، وينتبهوا من الغفلة ، ويغتنموا المهلة قبل الوهلة)[2].

٨ ـ دراسة الفتن مهمّة بالنسبة للدعاة والعاملين لهذا الدين على الخصوص؛ حتى يوطِّنوا أنفسَهم على الصبر ، ويعلموا أن هذا الدين أمانة لا يحملها إلا الأشداء من الرجال الذين باعوا الدنيا بالآخرة ، ويعلموا أنه كلما زاد الإيمانُ كلما زاد البلاءُ والاختبار ، كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: (دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو يُوعَكُ ، فوضعت يدي عليه فوجدت حَرَّهُ بين يديه فوق اللحاف ، فقلت: يا رسول الله ما أشدَّها عليك! قال: إنا كذلك يُضاعَفُ لنا البلاء ويُضَعَّفُ لنا الأجر ، قلت: يا رسول الله أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياء ، قلت: ثم من؟ قال: الصالحون ، إن كان أحدُهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجدُ إلا العباية يُحَوِّيها ، وإن كان أحدُهم ليفرحُ بالبلاء كما يفرحُ أحدُكم بالرخاء)[3].

وعن خَبَّاب بن الأَرَتِّ رضي الله عنه قال: (شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّد بُرْدةً له في ظل الكعبة ، وقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: **قد كان من قبلكم يُؤْخَذُ الرجلُ فيُحفَر له في الأرض ، فيجعل فيها ، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه، فما يصرفه ذلك عن دينه. والله ليُتِمَّنَّ اللهُ هذا**

---

(١) صحيح البخاري: ح ٣٣٠٦.

(٢) الإشاعة في أشراط الساعة: ص ٣.

(٣) ابن ماجه: ح ٤٠٢٤. وصححه الألباني. انظر صحيح ابن ماجه: ٢/ ٣٧١.

الأمرَ حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخافُ إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون)[1] .

فالدعاةُ مُعَرَّضُون للفتن بجميع أنواعها ، فتنة الأذى من الباطل وأهله ، ولا نصيرَ له ولا معين ، وفتنة الأهل والأحباء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه ، وفتنة إقبال الدنيا على المبطلين ورؤية الناس لهم ناجحين ، تهتفُ لهم الدنيا ، وهو مُهْمَلٌ لا يشعرُ به أحد ، وفتنة الغربة في البيئة والاستيحاش في العقيدة وما حوله غارقٌ في الضلالة ، وهناك فتنة أخرى؛ وهي أن يجدَ المؤمنُ الأمم الكافرة وهي غارقةٌ في الرذيلة ، وهي مع ذلك راقيةٌ متحضِّرة في مجتمعاتها ، ويجدها غنيةً فى الوقت الذي هي فيه مشاقَّةٌ لله ورسوله ، وغيرها من الفتن التي تحتاج إلى صبر ومصابرة وتصحيح للمفاهيم[2] .

٩ ـ والفتنُ واسعةُ المدى ، لا تقتصر على الشر ، بل هي شاملةٌ للخير ، قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[3] . وهذا يدلُّ على اتساعها ، وإنه ينبغي للمؤمن أن يعرفها ، ويتعامل معها تعاملاً صحيحاً. وليس وقوعُ البلاء يعني كراهية الله للعبد ، بل قد يكون علامةَ خير ، فقد جاء عن أنس أن النبيَّ ﷺ قال: «**إن عِظَم الجزاء من عِظَم البلاء ، وإن الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط**»[4] .

فلهذه الأهمية البالغة استعنتُ بالله أن أكتب في هذا الموضوع ، وقد حددتِ اللجنةُ عنواناً لهذا المبحث ، وهو (الفتنة والتثبت فيها).

ثالثاً: سبب اختيار الموضوع:

له أسبابٌ عديدة ، من أهمها:

---

(١) البخاري: ح ٣٦١٢.

(٢) فى ظلال القرآن: ٥/ ٢٧٢٠ بتصرف.

(٣) الأنبياء: ٣٥.

(٤) جامع الترمذي: ح ٢٣٩٦.

١ ـ اختيار اللجنة له ، وهي مُوفَّقةٌ فى ذلك ، جزاها الله خيراً.

٢ ـ أهمية هذا الموضوع من بين الموضوعات الإسلامية ، كما سبق بيانُ طرف من ذلك.

٣ ـ حَثُّ العلماء وترغيبهم في نشر أحاديث الفتن وأشراط الساعة بين الناس للحذر ، ولمعرفة كيفية التعامل معها إذا وقعت.

٤ ـ وفرةُ المادة العلمية وغزارتها فى ذلك ، إلا أنها مشتتةٌ بين الكتب والسطور ، مما يحتاجُ إلى نقلها وتبويبها ، وبحثها فى ضوء الفتن المعاصرة التي لم تردْ على السابقين.

٥ ـ غفلة كثير من الناس عن هذا الموضوع المهم.

٦ ـ تعرُّضُ الأمة المسلمة في هذه الأزمنة لكثير من الفتن والمحن ، فقد تداعتِ الأممُ عليها من كلِّ صَوْب وحدب ، فالله المستعان.

رابعاً: أهم الصعوبات التي واجهتني في البحث:

تظهر صعوبةُ هذا الموضوع في تشعب وكثرة مباحثه ، فهو بحر لا ساحل له ، وبر لا نهاية له ، وهذا يؤدي إلى صعوبة لم شعثه وترتيبه ، لكني استعنتُ بالله ، واستشرت المشرفَ على هذا البحث ـحفظه الله ـ ، فدلني على اختيار بعض الموضوعات الهامة في هذا البحث الواسع.

خامساً: خطة الرسالة:

استعنتُ بالله أن أجعل بحثي هذا ينقسم إلى ثلاثة فصول ومقدمة وخاتمة.

أما المقدمة فهي تحوي ما يلي:

١ ـ أهمية الموضوع.

٢ ـ سبب اختيار الموضوع.

٣ ـ الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث.

٤ ـ عرض لخطة البحث.

وأما الفصل الأول؛ فخصصته فى التعريف بالفتنة وأنواعها وقد جعلتُ الكلامَ فيه من ثلاثة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: الفتنة ومعناها لغة واصطلاحاً:

ويشملُ مطلبين:

المطلب الأول: المعنى اللغوي.

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي.

المبحث الثاني: تناول القرآن والسنة للفتنة:

ويشملُ مطلبين:

المطلب الأول: تناول القرآن للفتنة.

المطلب الثاني: تناول السنة للفتنة.

المبحث الثالث: أنواع وأقسام الفتن:

ويشملُ أربعةَ مطالب:

المطلب الأول: فتنة الشهوات.

وذلك من خلال البحث في النقاط الآتية:

١ ـ فتنة المعاصي الظاهرة والباطنة.

٢ ـ فتنة المال.

٣ ـ فتنة النساء.

٤ ـ فتنة الأولاد.

المطلب الثاني: فتنة الشبهات. وذلك من خلال البحث في النقاط الآتية:

١ ـ فتنة الأهواء والبدع.

٢ ـ فتنة التفرق والاختلاف في صفوف الأمة.

٣ ـ فتنة تسلُّط الكفار على المؤمنين.

٤ ـ فتنة تفوُّق الكفار في أمور الدنيا.

٥ ـ فتنة موالاة الكفار.

٦ ـ فتنة المصائب والأمراض والمحن.

٧ ـ فتنة السراء.

المطلب الثالث: فتن أشراط الساعة.

وذلك من خلال البحث في النقاط الآتية:

١ ـ فتنة الأشراط الصغرى.

٢ ـ فتنة الأشراط الكبرى.

المطلب الرابع: فتنة ما بعد الموت.

وذلك من خلال البحث في النقاط الآتية:

١ ـ فتنة القبر.

٢ ـ فتن عَرَصات القيامة.

٣ ـ فتنة النار.

الفصل الثاني: وهو موقفُ المسلم من الفتن.

وجعلْتُ الكتابةَ فيه في ثلاثة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: موقف المسلم قبل الفتن.

ويشملُ خمسةَ مطالب:

المطلب الأول: التعوذ والدعاء.

المطلب الثاني: التسلْح بالعلم.

المطلب الثالث: تقوية الجانب الإيماني قبل وقوع الفتنة.

المطلب الرابع: مصاحبة أهل العلم والصالحين.

المطلب الخامس: الابتعاد عن موارد الفتن.

المبحث الثاني: موقف المسلم أثناء الفتن.

ويشملُ ستة مطالب:

المطلب الأول: الفرار من مواطن الفتن.

المطلب الثاني: حفظ اللسان.

المطلب الثالث: اللجوء إلى الله تعالى.

المطلب الرابع: الاعتزال.

المطلب الخامس: الصبر.

المطلب السادس: الحذر من تطبيق أحاديث الفتن على واقع معين إلا بعلم وبصيرة.

المبحث الثالث: موقفه بعد الفتن.

ويشملُ مطلبين:

المطلب الأول: عدم الخوض فيها إلا بعلم.

المطلب الثاني: أخذ العِبْرة والعظة منها.

الفصل الثالث: التثبت في الفتن.

وجعلتُ الكتابةَ فيه في مبحثين:

المبحث الأول: معنى التثبت وطرقه.

ويشملُ مطلبين:

المطلب الأول: معنى التثبت اللغوي والاصطلاحي.

المطلب الثاني: طرق التثبت.

المبحث الثاني: كيفية التثبت في الفتن.

ويشمل ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تنقية مصادر التلقي.

المطلب الثاني: التأني والتروِّي وعدم العجلة.

المطلب الثالث: عدم نشر الشائعات، مع مشاورة العلماء ذوي البصيرة في الدين والواقع.

الخاتمة: وفيها أهمُّ النتائج والتوصيات.

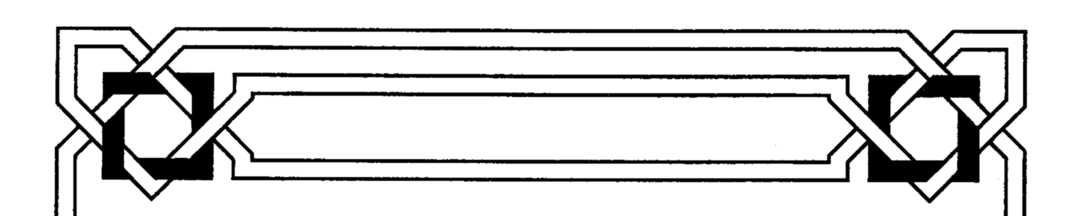
الفهارس: وتحتوي على فهرسين.

١ - فهرس المصادر والمراجع.

٢ - فهرس الموضوعات.

وأسألُ اللهَ تعالى أن يجعلَ ذلك من العلم النافع، وأن ينفع به كاتبَه وقارئَه، وأن يُوفِّق القائمين على الدار إلى ما فيه الخير والهدى والصلاح.

أحمد إبراهيم أحمد
مكة المكرمة
١٤٢٣هـ



الفصل الأول

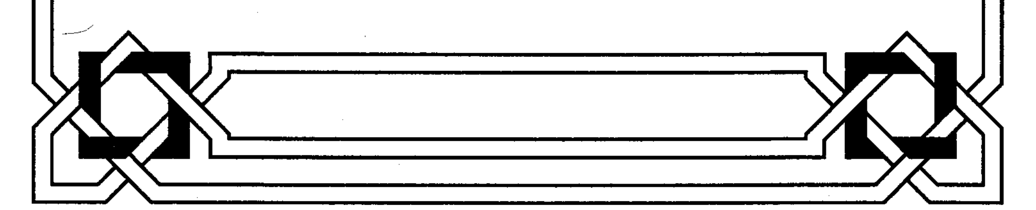
التعريف بالفتنة وأنواعها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **الفتنة ومعناها لغة واصطلاحاً**

المبحث الثاني: **تناول القرآن والسنة للفتنة**

المبحث الثالث: **أنواع وأقسام الفتن**





المبحث الأول

الفتنة ومعناها لغة واصطلاحاً

قال الجوهري: الفتنة هي الامتحان والاختبار، تقول: فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتنظر جودته، ومنه: دينار مفتون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾[1].

ونقل ابنُ منظور عن الأزهري وغيره؛ أن جماع معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب، إذ أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد.

قال الخليل: الفَتْنُ: الإحراق، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[2]. أي: يُحْرَقُون بالنار، ويسمى الصائغ: الفتّان، وكذلك الشيطان، ويقال للحجارة السوداء التي كأنها أحرقت بالنار: الفتين، وذكر ابن منظور معاني أخرى للفتنة، منها: الكفر، والفضيحة، والعذاب، وما يقع بين الناس من القتال، والقتل، والاختبار[3].

قال صاحب الفتح: (الفتن: جمع فتنة، وأصل الفتنة في الاختبار، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل

---

(١) البروج: ١٠.
(٢) الذاريات: ١٣.
(٣) لسان العرب: ١٣/٣١٧؛ والصحاح للجوهري: ٢١٧٥؛ ومعجم مقاييس اللغة: ١/١٢٢٠.

مكروه، أو آيل إلى المكروه؛ كالكفر والإثم والتحريق والفجور وغير ذلك)[1].

وقال ابنُ حَجَر أيضاً: ومعنى الفتنة في الأصل: الاختبار والامتحان، ثم استعملت في كل أمر يكشفه الامتحانُ عن سوء[2].

قال الراغب الأصفهاني: أصل الفتن: إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، واستعمل في إدخال الناس النار، قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[3].

والخلاصة: **إن الفتنة لغة**: وضع الذهب على النار من أجل الاختبار والامتحان، واصطلاحاً: تطلق على كل مكروه أو آيل إليه؛ كالكفر والإثم والفضيحة والفجور والمعصية والمصيبة وغيرها من المكروهات، فإن كانت من الله فهي على وجه الحكمة، وإن كانت من الإنسان بغير أمر الله تعالى فهي مذمومة.

العلاقة بين المدلول اللغوي والاصطلاحي:

العلاقة تكمن في كون الفتنة تُظْهِر المؤمنَ الصادقَ من الكاذب، وتخرج الدَّغَل[4] من قلوب المؤمنين، فيخرجون بعد البلاء بقلوب صافية، وأفئدة مؤمنة، كما يحصل للذهب والفضة عند إدخاله في النار؛ ليذهب الخبيث ويبقى الجيد[5].

الفرق بين الفتنة والابتلاء:

١ ـ الفتنة أعمُّ من الابتلاء؛ حيث تأتي الفتنه على معانٍ كثيرة، والابتلاءُ واحد من هذه المعاني.

---

(١) الفتح: ١٣/ ٥.
(٢) الفتح: ٢/ ١١.
(٣) الذاريات: ١٣، وانظر مفردات القرآن: ص ٣٧١.
(٤) الدغل بفتحتين: الفساد، وقيل: الدخل.
(٥) موقف المسلم من الفتن: ١/ ٤٤.

٢ ـ رغم أن الفتنةَ تأتي بمعنى الابتلاء ، لكن هناك فرقٌ بينهما ، وهو أن الفتنة أشد من الاختبار ، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[١] .

وقال تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾[٢] . فعبّر في حق إبراهيم الخليل عليه السلام بالابتلاء ، وفي حق موسى عليه السلام بالفتنة ، ولا شك أن الابتلاءَ في القتل كما في حق موسى عليه السلام أشدُّ من الابتلاء للقيام بالتكاليف الشرعية في حق إبراهيم عليه السلام على أحد التفسيرات. ولذلك يقول أبو هلال العسكري: (الفرق بين الفتنة والاختبار أن الفتنةَ أشدُّ الاختبار وأبلغه ، وتكون في الخير والشر)[٣].

٣ ـ أن الابتلاء يُسْنَدُ أحياناً إلى الله؛ قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[٤] . وأحيانا يُسْنَدُ إلى الضمير مثل: ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾[٥] .

وأما الفتنة فلا تُسْنَدُ إلى الاسم الظاهر ، وذلك لأن الفتنة تأتي على معانٍ غير حسنة؛ مثل قوله تعالى: ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾[٦] . ومن الأدب عدم نسبتها إلى الله. قال الرازي في تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ : (هل يصحُّ اسمُ الفَتَّان على الله اشتقاقاً من الآية؟ وأجاب بأنه لا يصحُّ لأنه صفة ذم في العرف ، وأسماء الله تعالى توقيفية)[٧].

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) طه: ٤٠.

(٣) الفروق اللغوية: ص ١٧٨.

(٤) البقرة: ١٢٤.

(٥) آل عمران: ١٥٢.

(٦) النساء: ١٠١.

(٧) التفسير الكبير: ٢٢ ـ ٥٥.

وهذا الفرقُ محلُّ نظر؛ لأن الله أضاف الفتنةَ إلى نفسه في قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾[1].

وقد قال ابنُ القيم: معنى الفتنة في الآية: الاختبار والابتلاء، أو يقال أضيفت الى الضمير لا إلى الاسم الظاهر[2].

* * *

(١) الأعراف: ١٥٥.

(٢) انظر كتاب: الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن: ص ٢٣.

المبحث الثاني
تناول القرآن والسُّنَّة للفتنة

المطلب الأول: تناول القرآن للفتنة:

وَرَدَتْ كلمةُ الفتنة في كتاب الله تعالى على معانٍ متعددة، جَمَعَهَا أهلُ العلم فأوصلوها إلى خمسة عشر وجهاً، منهم ابنُ الجوزي، وبعضهم جعلها أحد عشر، وهو الفيروز آبادي، وها هي هذه المعاني:

١ ـ الفتنة بمعنى **الشرك**، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ (١). ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ (٢).

٢ ـ الفتنة بمعنى **الكفر**: ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ (٣)، وقد تكون الفتنةُ في هذه الآية بمعنى **الإضلال**.

٣ ـ الفتنة بمعنى **الابتلاء والاختبار**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٤).

٤ ـ الفتنة بمعنى **العذاب**، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ

(١) البقرة: ١٩٣.
(٢) الأنفال: ٣٩.
(٣) آل عمران: ٧.
(٤) العنكبوت: ٢.

هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾[2] .

٥ ـ الفتنة بمعنى **الإثم**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾[3] .

٦ ـ الفتنة بمعنى **الإحراق بالنار**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[4] .

٧ ـ الفتنة بمعنى **القتل والهلاك**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[5] .

٨ ـ الفتنة بمعنى **الصَّدِّ عن الصِّراط المستقيم**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[6] .

٩ ـ الفتنة بمعنى **الحيرة والضلالة**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[7] .

١٠ ـ الفتنة بمعنى **الحُجَّة والعذر**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[8] .

١١ ـ الفتنة بمعنى **الجنون**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾[9] .

---

(١) النحل: ١١٠ .
(٢) العنكبوت: ١٠ .
(٣) التوبة: ٤٩ .
(٤) الذاريات: ١٤ .
(٥) النساء: ١٠١ .
(٦) المائدة: ٤٩ .
(٧) المائدة: ٤١ .
(٨) الأنعام: ٢٣ .
(٩) القلم: ٥ ـ ٦ .

١٢ - **الفتنة بمعنى العقوبة**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

١٣ - **الفتنة بمعنى المرض**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(٢).

١٤ - **الفتنة بمعنى القضاء**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾(٣).

١٥ - **الفتنة بمعنى الاختلاف وعدم جمع الكلمة**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾(٤).

١٦ - **الفتنة بمعنى التشكيك والتلبيس**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾(٥).

١٧ - **الفتنة بمعنى الوقوع في المعاصي والنفاق**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾(٦).

١٨ - **الفتنة بمعنى اشتباه الأمور والتباس الحق بالباطل**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾(٧). إلا تفعلوه؛ أي: موالاة المؤمنين؛ يكن هناك اشتباهٌ والتباسٌ للحق بالباطل.

١٩ - **الفتنة بمعنى العقوبة والمحنة**؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا

---

(١) النور: ٦٣.
(٢) التوبة: ١٢٦.
(٣) الأعراف: ١٥٥.
(٤) التوبة: ٦٨.
(٥) آل عمران: ٧.
(٦) الحديد: ١٤.
(٧) الأنفال: ٧٣.

﴿تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[1][2]

المطلب الثاني: تناول السُّنَّة للفتنة:

تناولت السُّنَّةُ النبوية موضوعَ الفتن تناولاً واسعاً، وبسطت فيه الحديث، وتكلمتْ عن أنواعها وأقسامها وأزمنتها وأماكنها، ولا نستطيع أن نلمَّ بكل ما جاء في السُّنة، ولكننا نذكر قبسات من السنة المطهرة:

أولاً: تحذيره ﷺ من الفتن قبل إقبالها، والحث على المسارعة إلى الأعمال الصالحة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فِتناً كقِطَعِ الليل المظلم، يصبحُ الرجلُ مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بِعَرَضٍ من الدنيا**»[3].

ثانياً: إخباره ﷺ بالفتن التي وقعت بين الصحابة:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أشرف النبيُّ ﷺ على أطم[4]، فقال: «**هل ترون ما أرى؟**» قالوا: لا، قال: «**فإني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القَطْر**»[5].

ثالثاً: إخباره ﷺ بأن الفتن ستكثر في آخر الأمة:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدلَّ أمته على خير ما يعْلَمه لهم، وينذرهم شَرَّ ما يعْلَمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعلَ عافيتها في أولها،**

---

(١) الأنفال: ٢٥.

(٢) انظر هذه المعاني في بصائر ذوي التمييز: ٤/١٦٧، نزهة الأعين النواظر: ٢/٨، روح المعاني للآلوسي: ٣/٨٢، جامع البيان للطبري: ٦/٢٩٨، زاد المسير: ٣/٣٨٦. معاني التنزيل للبغوي: ٤/٢٦٦. ابن كثير: ٢/٣١١.

(٣) مسلم: ح ١١٨، الترمذي: ح ٢١٩٦.

(٤) بناء مرتفع؛ جمعه آطام. انظر النهاية: ١/٤٠.

(٥) مسلم: ح ٢٨٥٨.

وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها ، وتجيء فتنة فيرقق[1] بعضها بعضاً ، وتجيء الفتنةُ فيقول المؤمن: هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة ، فيقول المؤمن: هذه هذه ، فمن أحبَّ أن يُزَحْزَحَ عن النار ، ويدخل الجنة ، فلتأته منيته وهو يؤمنُ بالله واليوم الآخر ، وليأتِ إلى الناس الذي يحبُّ أن يُؤْتَى إليه»[2].

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أنه كلما امتدت السنون كلَّما زادتِ الفتن ، فعن الزُّبير بن عدي قال: ذهبنا إلى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ نشكو إليه ظُلْمَ الحَجَّاج. فقال أنس رضي الله عنه: (اصْبِرُوا فإنه لا يأتي عليكم زمانٌ إلا والذي بعده شَرٌّ منه حتى تلقوا ربَّكم) سمعتُه من نبيكم ﷺ[3].

وقد كان أبو هريرة يستعيذُ بالله أن يدرك سَنَةَ الستين فكيف بالأزمنة بعدها؟! وقد أخبر النبيُّ ﷺ بتغير الأحوال وفساد الأمور في آخر الأمة، فعن عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«بادِرُوا بالأعمال ستاً: إمارة السفهاء ، وكثرة الشُّرَط ، وبيع الحكم ، واستخفافاً بالدم ، وقطيعة الرحم ، ونشواً يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليغنيهم ولو كان أقلَّهم علماً»**[4].

ففي هذا الحديث يشيرُ الرسولُ ﷺ إلى فتنة القراء الفسقة الذين يتخذون القرآن مزامير وحرفة يتأكلون بها ، فالقرآن يقرؤه ثلاثة: مؤمن يؤمن به ، ومنافق يكفر به ، وفاجر يتأكل به.

وفي الأزمنة المتأخرة رغم كثرة الكتب وانتشار العلم ، لكن مع ذلك هي أزمنة قليل علماؤها ، كثير جهالها ، كثير خطباؤها ، قليل فقهاؤها ، يتفقهون لغير الدين ، ويتعلمون لغير العمل ، ويلتمسون الدنيا بعمل الآخرة. أزمنة تظهر فيها الأمراء الكذبة ، والوزراء الفجرة ، والأعوان الخونة ، والقراء الفسقة الذين سيماهم الرهبان وقلوبهم أنتن من الجيف ،

---

(١) الفتنة الثانية تكون أشد من الأولى ، فتكون الأولى بالنسبة إليها رقيقة.

(٢) رواه مسلم: ح ١٨٤٤ ، أبو داود: ح ٤٢٤٨.

(٣) البخاري: ح ٧٠٦٨.

(٤) الإمام أحمد: ح ١٦٠٤٠.

أهواؤهم مختلفة ، يرجّعون القرآن ترجيع الغناء ، والرهبانية والنوح ، لايجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم ، وقلوب من يعجبهم شأنهم ، أزمنة لم يبق فيها من الإسلام إلا اسمه ، ومن المصحف إلا رسمه ، مساجدهم يومئذ عامرة ، وقلوبهم خراب من الهدي ، علماؤهم شر من تحت أديم السماء ، من عندهم تخرج الفتنة وإليهم تعود.

رابعاً: الإخبار بأن قائد الفتنة الأولى هو إبليس لعنه الله:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إن عرش إبليس على البحر ، فيبعث سراياه: فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنده: أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا ، فيقول: ما صنعت شيئاً ، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، فيدنيه منه ويلتزمه ، ويقول: نعم أنت»**[١].

خامساً: الإخبار بأن الفتن تأتي قبل المشرق:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول وهو على المنبر: **«ألا إن الفتنة هاهنا ـ يشير إلى المشرق ـ حيث يطلع قرنُ الشيطان»**[٢]. وفي رواية أن النبي ﷺ قال: **«اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا»** ، قالوا: وفي نجدنا ، قال: **«اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا»** ، قالوا: وفي نجدنا ، قال: **«اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا»** ، قالوا: يا رسول الله! وفى نجدنا ، فقال ﷺ : **«هنالك الزلازل والفتن ، ومنها يطلع قرنُ الشيطان»**[٣].

سادساً: تخوُّفه ﷺ على الصحابة من الفتن:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: **«أحصوا لي كم يلفظ الإسلام؟»** فقلنا: يا رسول الله أتخاف علينا ونحن

---

(١) مسلم: ح ٢٨١٣.
(٢) رواه مسلم: ح ٥٢.
(٣) رواه مسلم: ٣٠٥ ، ونجد المدينة: العراق.

ما بين الستمئة إلى السبعمئة؟ قال: «**إنكم لا تدرون ، لعلكم أن تبتلوا**». فابتلينا ، حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سراً[1].

سابعاً: إخباره ﷺ أن أجر العبادة أيام الفتن مضاعف:

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أنه قال: سألتُ النبيَّ ﷺ عن هذه الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[2] فقال ﷺ : «**ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شحاً[3] مطاعاً ، وهوىً متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بنفسك ودع عنك العامة ، فإن من ورائكم أيام الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم**»[4].

وعن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: «**عبادةٌ في الهرج[5] كهجرةٍ إلي**»[6].

ثامناً: ذكره ﷺ لبعض الفتن بخصوصها:

١ ـ فتنة السراء:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**إذا مشت أمتي المطيطاء[7] ، وخدمتها أبناءُ الملوك وفارس والروم ، سلّط شرارها على خيارها**»[8].

وقد ورد تسميةُ هذه الفتنة بالسراء في حديث عبد الله بن عمر الآتي[9]:

---

(١) مسلم: ح ١٤٩.
(٢) المائدة: ١٠٥.
(٣) الشح: البخل الشديد ، وطاعته: أن يتبع الإنسان هوى نفسه ببخله ، وينقاد له. مختار الصحاح: ١/ ١٤٩.
(٤) الترمذي ح: ٣٠٦٠ ، وأبو داود: ٤٣٤١.
(٥) هو اختلاط الأمور وفساد الأحوال ، وقد فسرته السنة بأنه القتل.
(٦) مسلم: ح ٢٩٤٨ ، ت: ٢٢٠٣ ، ابن ماجه: ٣٩٨٥.
(٧) المشي بتبختر ، وهي مشية المتكبرين المفتخرين. مختار الصحاح: ١/ ٢٧٤.
(٨) الترمذي: ٢٢٦٢ ، وقال: حديث غريب.
(٩) انظر ص ٢٩ من الرسالة.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا فُتحت عليكم خزائنُ فارس والروم، أي قوم أنتم؟**» قال عبد الرحمن بن عوف: نكونُ كما أمرنا الله عز وجل، فقال رسول الله ﷺ: «**تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، أو تتباغضون، أو غير ذلك، ثم تنطلقون إلى مساكين المهاجرين، فتحملون بعضهم على رقاب بعض**»[1].

٢ ـ فتنة تداعي الأمم:

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يوشكُ الأممُ أن تداعى عليكم كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها**»، فقال قائل: مِنْ قلةٍ نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثيرٌ، ولكنكم غُثاء كغُثاء السَّيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابةَ منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن**»، قيل: وما الوهنُ يا رسول الله؟ قال: «**حُبُّ الدنيا، وكراهيةُ الموت**»[2].

٣ ـ فتنة الخوارج:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تمرق مارقةٌ[3] عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق**»[4].

٤ ـ فتنة الاختلاف بين الأمة:

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ فقال: «**ألا إنَّ مَنْ كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين مِلَّة، وإن هذه الأمة ستفترقُ على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة**

---

(١) مسلم: ح ٢٩٦٦.
(٢) أبو داود: ح ٤٢٩٧.
(٣) تمرق مارقة: مرق السهم في الهدف: إذا نفذ منه وخرج، والمراد: أنه تخرج طائفة من الناس على المسلمين فتحاربهم، والمارق: الخارج عن الطاعة، المفارق للجماعة. النهاية: ١/٨٦٦.
(٤) مسلم: ح ١٠٦٥.

في الجنة، وهي الجماعة»[1]. وفي رواية: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[2].

٥ ـ فتنة الهرج:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ليأتينَّ على الناس زمان، لا يدري القاتلُ في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول في أي شيء قتل**». قيل: وكيف؟ قال: «**الهرج، القاتلُ والمقتولُ في النار**»[3].

٦ ـ الدعاة على أبواب جهنم:

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافةَ أن يدركنا، فقلت: «**يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنُّون بغير سُنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم؛ دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، فقلت: يا رسول الله! صفهم لنا، قال: نعم، هم من جِلْدتنا، يتكلمون بألسنتنا، فقلت: يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعةَ المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: فاعتزلْ تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[4].

٧ ـ فتنة قتال المسلمين بعضهم مع بعض:

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار، قال: فقلت: هذا**

---

(١) أبو داود: ح ٤٥٩٧، وأحمد في مسنده: ح ١٠٢٤.
(٢) الترمذي: ح ٢٦٤١.
(٣) مسلم: ح ٢٩٠٨.
(٤) مسلم: ح ١٨٤٧.

القاتلُ فما بال المقتول؟ قال: إنه أراد قَتْلَ صاحبه»[1].

ورغم تحذيره ﷺ من قتال المسلم لأخيه المسلم إلا أنه أخبر أن هناك قتالاً يقع بين المسلمين، أمراً قدرياً محتوماً، ففي الحديث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعةُ حتى تقتتل فئتان عظيمتان من المسلمين تكون بينهما مقتلةٌ عظيمة ودعواهما واحدة**»[2].

وقد مدح النبيُّ ﷺ سبطه الحسن رضي الله عنه أنه سيصلح بين الأمة عند اقتتاله، فعن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يصلحَ به بين فئتين من المسلمين**»[3].

وقد أخبر النبيُّ ﷺ بأن عمار بن ياسر -رضي الله عنهما- سيقتل في هذه الفتنة، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**تقتل عماراً الفئةُ الباغية**»[4].

وقد قال الشيخ عبد العزيز بن باز: إن معاوية رضي الله عنه ومن معه من أهل الشام بغاة على الإمام الحق علي -رضي الله عنه- إلا أنهم متأوِّلون، لا يعدمون أجراً[5].

وقد أوصى النبيُّ ﷺ بعدم المقاتلة في القتال الذي يقع بين المسلمين إذا كان الأمر مشتبهاً، فعن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنها ستكون فتن، ألا ستكون فتنة، القاعدُ خيرٌ من الماشي فيها، والماشي فيها خيرٌ من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت، أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كان له أرض فليلحق بأرضه**»، قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت من لم تكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «**يعمد إلى سيفه فيدقّ على حده بحجر ثم لينجو إن**

---

(١) مسلم: ح ٢٨٨٨، أبو داود: ح ٤٢٦٨.

(٢) البخاري: ح ٧١٢١، مسلم: ح ٢٨٨٨.

(٣) البخاري: ح ٣٦٢٩.

(٤) مسلم: ح ٢٩١٦.

(٥) موقف المسلم من الفتن، شريط للشيخ عبد العزيز بن باز.

استطاع النجاة ، **اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟**» قال: فقال رجل: يا رسول الله ، أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى إحدى الصفين ، أو إحدى الفئتين ، فضربني رجلٌ بسيفه ، أو يجيء سهم فيقتلني ، قال: «**يبوء بإثمه وإثمك ، ويكون من أصحاب النار**»[1].

وقد جاء رجل إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال: يا أبا عبد الرحمن حدثنا عن القتال في الفتنة، وعن قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[2].

قال: وهل تدري ما الفتنة؟ ثكلتك أمك ، إنما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين ، وكان الدخول في دينهم فتنة ، وليس كقتالكم على المُلْك[3].

٧ ـ فتنة تقليد الكفار:

عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لتتبعن سُنَنَ مَنْ كان قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لتبعتموهم**» ، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال: «**فمن؟**»[4].

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حُنين مرّ بشجرة للمشركين كانوا يعلِّقون عليها أسلحتهم ، يقال لها: ذات أنواط ، فقالوا: يا رسول الله ، اجعل لنا ذاتَ أنواط[5] ، كما لهم ذات أنواط ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة ، والذي نفسي بيده: لتركبن سُنَنَ مَنْ كان قبلكم**»[6].

٨ ـ فتنة قتال الروم والترك واليهود:

عن جُبير بن نُفير قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ستصالحون الروم**

---

(١) مسلم: ح ٢٨٨٧.
(٢) البقرة: ١٩٣.
(٣) البخاري: ح ٧٠٩٥.
(٤) مسلم: ح ٢٦٦٩.
(٥) أنواط: جمع نوط ، وهو مصدر: نط به كذا وكذا ، ينوط نوطاً: إذا علقته به. مختار الصحاح: ٢٩٨/١ ، جامع الأصول: ١٠/ ٣٣.
(٦) الترمذي: ح ٢١٨١ ، وقال: حديث حسن صحيح.

صلحاً آمناً ، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم ، فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم ترجعون ، حتى تنزلوا بمرج ذي تلول ، فيرفع رجلٌ من أهل النصرانية الصليب ، فيقول: غَلَبَ الصليب ، فيغضب رجلٌ من المسلمين فيدقّه ، فعند ذلك تغدر الرومُ ، وتجمع للملحمة[1] ويثور المسلمين إلى أسلحتهم ، فيقتتلون ، فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة»[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تقومُ الساعةُ حتى يقاتلَ المسلمون اليهودَ ، حتى يختبىء اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله! هذا يهوديٌّ خَلْفي تعالَ فاقتله؛ إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**»[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون التركَ قوماً وجوههم كالمجان المطرقة[4] ، يلبسون الشعر ، ويمشون في الشعر**»[5] .

٩ ـ فتنة الأحلاس:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «**كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ ، فذكر الفتن فأكثر في ذكرها ، حتى ذكر فتنة الأحلاس[6] ، فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال: هي هرب وحرب[7] ، ثم**

---

(١) معظم القتال. مختار الصحاح: ١/٢٧٦ ، جامع الأصول: ١٠/٢٦.
(٢) أخرجه أبو داود: ح ٤٢٩٢ ، ٤٢٩٣.
(٣) البخاري: ح ٢٩٢٢.
(٤) المجان: جمع مجن وهو الترس ، والمطرقة: هي التي ألبست وأطرقت طاقة فوق طاقة ، قالوا: معناه تشبيه وجوه الترك في عرضها وتلون وجناتها بالترسة المطرقة. انظر جامع الأصول: ١٠/٢٦.
(٥) مسلم: ح ٢٩١٢.
(٦) الأحلاس: جمع حلس ، وهو الكساء يكون على ظهر البعير لدوام هذه الفتنة ولزومها. مختار الصحاح: ١/٧١.
(٧) الحرب: بفتح الراء ذهاب المال والأهل. مختار الصحاح: ١/٦٣، جامع الأصول: ١٠/٢٦.

فتنة السراء ، دخنها[1] من تحت قدمي رجل من أهل بيتي ، يزعم أنه مني ، وليس مني ، وإنما أوليائي المتقون ، ثم يصطلح الناسُ على رجل كورك على ضلع[2] ، ثم فتنة الدهيماء[3] ، لا تَدَعُ أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة ، فإذا قيل: انقضتْ؛ تمادت ، يصبح الرجلُ فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، حتى يصير الناسُ إلى فسطاطين ، فسطاط إيمان لا نفاقَ فيه ، وفسطاط[4] نفاق لا إيمانَ فيه ، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجالَ من يومه ، أو من غد»[5].

١٠ ـ فتنة الردة والشرك في الأمة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يذهبُ الليلُ والنهار ، حتى تُعْبَدَ اللاتُ والعُزَّى» ، قلت: يا رسول الله ، إن كنت لأظنُّ حين أنزل الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[6] أن ذلك تام ، قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ، ثم يبعث الله ريحاً طيبة ، تتوفى كل من كان في قلبه حبة من خَرْدلٍ من إيمان ، فيبقى مَنْ لا خَيْرَ فيه ، فيرجعون إلى دين آبائهم»[7].

وعن ثوبان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلِّين ، فإذا وُضِع السيفُ في أمتي ، لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلتحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان ، وإنه يكون في أمتي ثلاثون كذابون ، كلهم

(١) إثارتها وهيجها. جامع الأصول: ١٠/ ٢٤.
(٢) كورك على ضلع: مثل ، أي: أنه لا يستقل بالملك، ولا يلائمه ، كما أن الورك لا تلائم الضلع. جامع الأصول: ١٠/ ٢٤.
(٣) الدهيماء: السوداء المظلمة. جامع الأصول: ١٠/ ٢٤.
(٤) الفسطاط: هي الخيمة الكبيرة. جامع الأصول: ١٠/ ٢٤.
(٥) أخرجه أبو داود: ح ٤٢٤٢.
(٦) الصف: ٩.
(٧) أخرجه مسلم: ح ٢٩٠٧.

يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ولا نبيَّ بعدي»[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: **«لا تقومُ الساعةُ حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**[2]**»**[3] .

تاسعاً: وصفه للفتن:

١ ـ وصفه ﷺ للفتن أنها تموج كما يموج البحر:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال: كنا عند عمر ، فقال: أيكم يحفظُ حديثَ رسول الله ﷺ في الفتنة؟ فقلت: أنا أحفظه كما قال ، قال: هات ، إنك لجريء ، وكيف قال؟ قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«فتنةُ الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره ، يُكَفِّرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»** ، فقال عمر: ليس هذا أريد ، إنما أريد التي تموجُ كموج البحر ، قال: قلت: ما لك ولها يا أمير المؤمنين؟ إن بينك وبينها باباً مغلقاً ، قال: فيكسر الباب أو يفتح؟ قال: قلت: لا ، بل يكسر ، قال: ذاك أحرى ألا يُغلق أبداً ، قال: فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم مَنْ بالباب؟ قال: نعم ، كما يعلم أن دون غدٍ الليلة ، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط ، قال: فهبنا أن نسأل حذيفة: من الباب ؟ فقلنا لمسروق: سله ، فسأله ، فقال: عمر[4] .

٢ ـ إخباره أن الفتن تعرض على القلوب كعرض الحصير:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً**[5] **، فأي قلب أشربها**[6] **نكت فيه نكته سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيها نقطة بيضاء ، حتى تصير القلوبُ**

---

(١) مسلم: ح ١٩٢٠ ، وأبو داود: ح ٤٢٥٢ .

(٢) كانت صنماً تعبدها دوساً بالجاهلية بتبالة موضع باليمن.

(٣) البخاري: ح ٧١١٦ ، ومسلم: ح ٢٩٠٦ .

(٤) مسلم: ح ١٤٤ في الفتن ، الترمذي: ح ٢٢٥٩ .

(٥) المعنى فيها أنها تحيط بالقلوب كالحصير المحبوس.

(٦) أشربها: إذ دخل فيه وقبله وسكن إليه كأنه قد شرب.

على قلبين: أبيض مثل الصفا؛ فلا تضره فتنة، ما دامت السموات والأرض، والآخر: أسود مرباداً[1]، كالكوز مجخياً[2] لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه»[3].

٣ ـ تشبيهه ﷺ للفتن أنها كرياح الصيف:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: سمعت النبي ﷺ وهو يتحدث عن الفتن ويعدُّهن: «**منها ثلاثة لا يكدن يذرن شيئاً، ومنها فتن كرياح الصيف[4]، منها صغار ومنها كبار**»[5].

٤ ـ تشبيهه ﷺ الفتن كقطع الليل المظلم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبحُ الرجلُ مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبحُ كافراً، يبيعُ دينَهُ بِعَرَضٍ من الدنيا**»[6].

عاشراً: أمره ﷺ بالاعتزال وعدم المشاركة في الفتن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**تكون الفتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرَّف لها تستشرفه[7]، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذْ به**»[8].

وحدَّث عامر بن سعد: أنَّ سعد بن أبي وقاص كان في إبله معتزلاً الفتن أيام قتال علي ومعاوية، فجاءه ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله

---

(١) المرباد: الذي في لونه ربدة، وهي بين السواد والغبرة. جامع الأصول: ١/ ٢٢.
(٢) المجخي: المائل عن الاستقامة والاعتدال. جامع الأصول: ١/ ٢٢.
(٣) رواه مسلم: ح ١٤٤ في كتاب الإيمان.
(٤) يريد أن فيها بعض الشدة، وإنما خص الصيف لأن رياح الشتاء أقوى.
(٥) أخرجه مسلم: ح ٢٨٩١.
(٦) مسلم: ح ١١٨ في كتاب الإيمان، والترمذي: ح ٢١٩٦.
(٧) أي: من تطلع إليها وتعرض لها أتته، ووقع فيها. جامع الأصول: ١٠/ ١١.
(٨) مسلم: ح ٢٨٨٦.

من شر هذا الراكب، فجاء فنزل، فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون في الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره، وقال: اسكت، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[1].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يوشك أن يكونَ خير مال المسلم غنم يتبع بها شَعَف**[2] **الجبال ومواقع القطر، يفرُّ بدينه من الفتن**»[3].

حادي عشر: وصية النبي ﷺ عند نزول الفتن واختلاط الأمور:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «شبك النبي ﷺ أصابعه قال: «**كيف أنت يا عبد الله بن عمر إذا بقيت في حثالةٍ قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فصاروا هكذا؟**»، قال: فكيف أصنع يا رسول الله؟ قال: «**تأخذ ما تعرف، وتدع ما تنكر، وتقبل على خاصتك، وتدع عوامَّهم**»[4].

* * *

---

(١) مسلم: ح ٢٩٦٥.

(٢) أعالي الجبال. النهاية: ١/ ٤٨٣.

(٣) البخاري: ح١٩.

(٤) رواه البخاري تعليقاً في كتاب المساجد، وأخرجه أبو داود: ح ٤٣٤٢، وأخرجه أحمد في مسنده: ح ٦٥٠٨ وهو حديث صحيح.

المبحث الثالث

أنواع وأقسام الفتن

فتنة الشهوات والشبهات:

السائر إلى الله والدار الآخرة، لا يتمُّ سيره، ولا يصلُ إلى مقصوده إلا بقوتين: قوة علمية وقوة عملية، فبالقوة العلمية يبصر بها الطريق، فهي كنورٍ عظيم بيده يمشي به في الليلة الظلماء، وبالقوة العملية يسير حقيقة إلى الله، فيضع عصاه على عاتقه، يشمِّرُ إلى الله والدار الآخرة. وقد أشار النبيُّ ﷺ إلى هاتين القوتين، حيث قال عن نفسه: «**إني لأعلمكم بالله وأخشاكم له**»[1]. فعنده ﷺ تمام القوة العلمية، وله كذلك تمام القوة العملية التي تتمثل في تمام الخشية.

ففتنة الشبهات تنتجُ من ضعف البصيرة وقلة العلم، وهي تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفرْ به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع.

وفتنة الشهوات تنتج من فساد القوى العملية وضعف العزيمة، فهي التي تعينه على الامتثال. وقد جمع الله بين الفتنتين في الذكر والتحذير منهما فقال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ

---

(١) البخاري: ح ٥٠٦٣.

﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوٓاْ﴾[1]. أي: تمتعوا بنصيبهم من الدنيا **وشهواتها**، **والخلاق**: هو النصيب المقدر، ثم قال: وخضتم كالذي خاضوا، فهذا الخوض في الباطل، وهو الشبهات.

فالأول فساد من جهة الشهوات، **والثاني** من جهة الشبهات، والأول ناجمٌ عن فسق الأعمال، والثاني ناجمٌ عن البدع والأهواء. ولهذا كان السلف يقولون: احذروا من الناس من صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه. وكانوا يقولون: احذروا فتنةَ العالم الفاجر والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون. وأصلُ كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع والهوى على العقل، فالأول أصلُ فتنة الشبهات والثاني أصلُ فتنة الشهوات، **ففتنة الشبهات** تدفعُ باليقين وفتنة الشهوات تدفعُ بالصبر، ولذلك جعل اللهُ سبحانه وتعالى إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2]. فدلت الآيةُ على أنه بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين، وجَمَعَ اللهُ بينهما في قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[3].

فبالحق تدفع الشبهات، وبالصبر تدفع الشهوات، وقد جمع الله بينهما كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾[4].

فالأيدي: هي القوى والعزائم في ذات الله، وبها تدفع الشهوات. **والأبصار**: هي البصائر في أمر الله، وبها تدفع الشبهات.

وفي حديث مرسل: «**إن الله يحبُّ البصر النافذ عند ورود الشبهات. ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات**»[5].

وإذا سلم العبدُ من فتنة الشبهات والشهوات حصل له أعظم غايتين

---

(١) التوبة: ٦٩.
(٢) السجدة: ٢٤.
(٣) العصر: ٤.
(٤) ص: ٤٥.
(٥) الفتاوى لابن تيمية: ٢٩/ ٤٤، ٢٠/ ٥٨.

مطلوبتين بهما سعادته وفلاحه وكماله ، وهما : الهدى والرحمة ، قال الله تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[1] . فجمع الله لنبيه الخَضِر بين الرحمة والعلم.

وقد نفى اللهُ سبحانه عن نبيه هاتين الفتنتين ، فقال تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[2] .

فالضلالُ هو فسادٌ في القوة العلمية ، والغيُّ فسادٌ في القوة العملية ، والضلالُ من وصف النصارى ، والغي من وصف اليهود الذين كانوا يعلمون الحق ولا يعملون به.

وعن أبي بُرْدَة الأسلمي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : «**إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ، ومضلاَّت الفتن**»[3] .

مسالك الشيطان في إضلال العباد :

والداعي إلى فتنة الشهوات والشبهات هو إبليس لعنه الله ، الذي أقسم بالله فقال : ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[4] .

ولقد تحقق ظنه في بني آدم إلا من رحم الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5] .

وللشيطان في إضلاله للعباد طرقٌ عديدة ، جمعها الإمام ابن القيم[6] في مدارج السالكين ، وذكر أن إبليس لعنه الله يتدرج مع العبد ويوقعه في سبع عقبات واحدة بعد الأخرى :

١ ـ **الكفر بالله وبدينه ولقائه** ، وبصفات كماله ، وبما أخبرت به رسله

---

(١) الكهف : ٦٥.
(٢) النجم : ٢.
(٣) رواه أحمد في مسنده : ح ١٩٨١١ ، ١٩٧٩٥ ، وقال المنذري : حسن. انظر : الترغيب والترهيب : ٣/ ٧٤.
(٤) الحجر : ٣٩.
(٥) سبأ : ٢٠.
(٦) مدارج السالكين : ٢٤٧ وما بعدها بتصرف.

عنه ، فإنه إن ظفر به في هذه العقبة بردتْ نارُ عداوته واستراح ، فإن اقتحم هذه العقبة ، ونجا منها ببصيرة الهداية ، وسلم معه نورُ الإيمان؛ طلبه على العقبة الثانية ، وهي:

٢ ـ **عقبة البدعة**: إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله تعالى به رسوله ﷺ ، وأنزل به كتابه. وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله من الأوضاع والرسوم المُحْدَثة في الدين؛ التي لا يقبلُ الله منها شيئاً. والبدعتان في الغالب متلازمتان ، قل أن تنفكَّ إحداهما عن الأخرى ، كما قال بعضهم: تزوجت بدعة الأقوال ببدعة الأعمال ، فاشتغل الزوجان بالعرس ، فلم يفجأهم إلا وأولاد الزنى يعيشون في بلاد الإسلام، تضج منهم العباد والبلاد إلى الله تعالى. فإن قطع هذه العقبة، وخلص منها بنور السنة ، واعتصم منها بحقيقة المتابعة ، وما مضى عليه السلف الأخيار من الصحابة والتابعين لهم بإحسان. وهيهات أن تسمح الأعصار المتأخرة بواحد من هذا الضرب! فإن سمحت به نَصَبَ له أهلُ البدع الحبائل ، وبغوه الغوائل ، وقالوا: مبتدع محدث. فإذا وفقه الله لقطع هذه العقبة؛ طلبه على العقبة الثالثة ، وهي:

٣ ـ **عقبة الكبائر** ، فإن ظفر به فيها زيَّنَها له ، وحسَّنها في عينه ، وسوَّف له ، وفتح له باب الإرجاء ، وقال له: الإيمان هو نفس التصديق فلا تقدح فيه المعاصي والأعمال السيئة. ويستدرجه الشيطان حتى يسلخه من الدين ، فينسلّ منه كما تنسلّ الشعرةُ من العجين.

فإذا قطع هذهِ العقبة بأن سَلَّمه الله منها ، أو تاب توبة نصوحاً تنجيه منها؛ طلبه على العقبة الرابعة ، وهي:

٤ ـ **عقبة الصغائر** ، فكال له منها بالقفزان ، وقال: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت من اللَّمم ، أو ما علمت بأنها تكفر باجتناب الكبائر وبالحسنات. ولا يزال يهوّن عليه أمرها حتى يصرّ عليها.

فإن نجا من هذه العقبة بالتحرز والتحفظ ، وداوم التوبة والاستغفار ، وأتبع السيئة الحسنة؛ طلبه على العقبة الخامسة ، وهي:

٥ ـ **عقبة المباحات** التي لا حَرَجَ على فاعلها ، فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات ، وعن الاجتهاد في التزوُّد لمعاده ، ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلى ترك السنن ، ثم من ترك السنن إلى ترك الواجبات ، فإذا انتبه العبدُ من هذه الغفلة ، فبخل بأوقاته ، وضنَّ بأنفاسه أن تذهبَ في غير ربح؛ طلبه الشيطان على العقبة السادسة ، وهي :

٦ ـ **عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات**، فأمره بها، وحسَّنها في عينه ، وزيَّنها له، وأراه ما فيها من الفضل والربح ليشغله عما هو أفضل منها ، وأعظم كسباً وربحاً. لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب طمع في تخسيره كماله وفضله ، فشغله بالمفضول عن الفاضل ، والمرجوح عن الراجح ، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه ، وبالمرضي عن الأرضى له.

فإذا نجا منها لم يَبْقَ هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوى واحدة لا بد منها. ولو نجا منها أحدٌ لنجا منها رُسُلُ الله وأنبياؤه ، وأكرم الخلق عليه ، وهي عقبةُ تسليط جنده عليه بأنواع الأذى ، باليد واللسان والقلب ، على حسب مرتبته في الخير. فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورَجِله، وظاهَرَ عليه بجنده ، وسلَّط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط ، وهذه العقبة لا حيلة له في التخلص منها ، فإنه كلما جَدَّ في الاستقامة والدعوة إلى الله ، والقيام له بأمره ، جَدَّ العدو في إغراء السفهاء به. فهو في هذه العقبة قد لبس لأمَةَ الحرب ، وأخذ في محاربة العدو لله وبالله. فعبوديته فيها عبودية خواص العارفين. وهي تسمى عبودية المراغمة ، ولا ينتبه لها إلا أولو البصائر التامة. ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه ، وإغاظته له. وقد أشار سبحانه إلى هذه العبودية في مواضع من كتابه.

ولقد جاء التحذيرُ من اتباع الشيطان وسلوك طريقه في آيات كثيرة من التنزيل ، كل ذلك لأن اتباعه يوقع الإنسانَ في شَرٍّ عظيم ، وضلال كبير.

يقول ربنا ـ جل شأنه ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[1] ، ويقول سبحانه: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[2] .

ويقول تعالى: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[3] .

وهاهو إبراهيمُ ـ عليه الصلاة والسلام ـ يُحَذِّر أباه من طاعة الشيطان حتى لا يقع في الفتنة ، فيقول له: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾[4] .

ولقد ثبت في الحديث ما يدلُّ على حرص الشيطان أن يفتن العبد ويضله، وأنه يفرح بذلك ، مما ينبه المسلمين جميعاً أن يحذروا من مكره وألاعيبه.

يقول نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إن إبليسَ يضعُ عرشه على الماء ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم ، فيقول: فعلت كذا وكذا ، فيقول: ما صنعت شيئاً ، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقتُ بينه وبين امرأته ، قال: فيدنيه منه ، أو قال: فيلتزمه ويقول: نعم ، أنت**»[5] .

* * *

وقد قسمتُ هذا المبحث إلى عدة مطالب:

المطلب الأول: فتنة الشهوات.

المطلب الثاني: فتنة الشبهات.

المطلب الثالث: فتنة أشراط الساعة.

المطلب الرابع: فتنة ما بعد الموت.

وفيما يلي نَشْرٌ لهذه المطالب:

---

(١) البقرة: ٢٠٨.
(٢) النور: ٢١.
(٣) الزخرف: ٦٢.
(٤) مريم: ٤٤.
(٥) مسلم: ح٢٨١٣.

المطلب الأول
فتنة الشهوات

تنتج هذه الفتنة من فساد القوة العملية كما سبق ، وهي التي بها يمتثل العبد الأوامر ، ويجتنب النواهي ، فإذا فسدت هذه القوة المتمثلة في الإرادة والعزيمة تثاقلت الجوارح عن فعل الطاعة وترك المعصية ، فوقعت في فتنة الشهوات ، وهي الوقوعُ فيما حرم الله ورسوله ﷺ. والشهوات المحرمة جعلها الشيطانُ طريقاً إلى النار؛ لذلك يجبُ الحذرُ منها.

فعن أبي هريرة أن النبيَّ ﷺ قال: «**حُفَّتِ الجنةُ بالمكاره وحُفَّتِ النارُ بالشهوات**» وفي رواية: «**حجبت**»[1].

وسوف نتحدث عن هذه الفتنة من خلال أربعة نقاط ، هي:

أولاً: فتنة المعاصي على العموم.

ثانياً: فتنة المال.

ثالثاً: فتنة الولد.

رابعاً: فتنة النساء.

---

(١) البخاري: ح ٦٤٨٧.

أولاً: فتنة المعاصي

الذنوبُ والمعاصي أصلها نوعان: تَرْك مأمور وفِعْل محظور، وهما الذنبان اللذان ابتلى الله سبحانه بهما أبوي الجن والإنس، وينقسمان إلى ذنوب ظاهرة بالجوارح وذنوب باطنة متعلقة بالقلب، هذا باعتبار المحل. وباعتبار المتعلق تنقسمُ إلى ذنوب في حق الله، وذنوب في حق الخَلْق. وإن كانت الذنوب في حق الخَلْق هي في حَقِّ الخالق أيضاً، وإنما سميت حقاً للمخلوق لأنه تجبُ بمطالبتهم، وتسقط بإسقاطهم.

وهذه الذنوبُ تنقسمُ إلى أربعة أقسام: ملكية وشيطانية وسبعية وبهيمية، لا تخرجُ عن ذلك.

فالذنوب الملكية أن يتعاطى ما لا يصلح من صفات الربوبية؛ كالعظمة والكبرياء والقهر والعلو واستعباد الخَلْق، ويدخل في ذلك الشرك بالله تعالى، والقول على الله بغير علم.

وأما الشيطانية فالتشبه بالشيطان في الحسد، والبغي، والخداع، والمكر، والغل.

وأما السبعية: فذنوب العدوان والغضب وسفك الدماء.

وأما البهيمية: فتتمثل في الشَّره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنها يتولد الزنى، والسرقة.

وهذه المعاصي كلما كثرت؛ تسببت في وقوع المحن والبلايا، ومنها تسليط الحكام الجائرين على الأمة، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[1]. فقد فَسَّر الإمامُ جعفر الصادق الفتنة في هذه

---

(١) الأنفال: ٢٥.

الآية بأنها تسليط الحكام الجائرين[1].

وفي الأثر عن مالك بن دينار رحمه الله أنه قال: يقول الله تعالى في الكتب القديمة: [أنا الله مالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبِّ الملوك، لكن توبوا إلي أعطفهم عليكم][2].

وكلما ضعف الإيمانُ خفت المعاصي في قلب المكلف، وكلما زاد الإيمان استعظم المكلف هذه الذنوب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال مخاطباً التابعين: (إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر، كنا نعدُّها في عهد رسول الله ﷺ من الموبقات)[3].

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أن الهجرة الحقيقية هي هجرة المعاصي والذنوب، فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[4].

المخرج من هذه الفتنة:

لا مَخْرَجَ من فتنة المعاصي إلا بالصبر والتصبُّر عنها، وهذا الصبر يقوى بأسباب عديدة[5]:

١ ـ **علم العبد بقبحها ورذالتها ودناءتها**، وأن الله إنما حرمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدنايا والرذائل. كما يحمي الوالد الشفيق ولده عما يضره. وهذا السبب يحمل العاقل على تركها ولو لم يعلّق عليها وعيد بالعذاب.

٢ ـ **الحياء من الله سبحانه**، فإن العبدَ متى علم بنظره إليه ومقامه عليه

---

(١) تفسير الآلوسي: ١٨/ ٢٢٠.

(٢) الحلية لأبي نعيم: ٣٧٨/٢، ورد مرفوعاً عند الطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء، قال الهيثمي: فيه إبراهيم بن راشد وهو متروك: ٥/ ٢٤٩.

(٣) البخاري: ح ٦٤٩٠.

(٤) البخاري: ح ٦٤٨٤.

(٥) طريق الهجرتين: ص ٢٧٠ فما بعدها.

وأنه بمرأى منه ومسمع ـ وكان حيياً ـ استحيا من ربه أن يتعرَّض لمساخطه.

٣ ـ **مراعاة نِعَمه عليك وإحسانه إليك**، فإن الذنوبَ تزيلُ النعم ولا بد، فما أذنب عبدٌ ذنباً إلا زالتْ عنه نعمة من الله بحسب ذلك الذنب، فإن تاب وراجع رجعت إليه أو مثلها، وإن أصرَّ لم ترجع إليه، ولا تزال الذنوب تزيل عنه نعمة نعمة حتى تسلبه النعم كلها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (١).

وأعظم النعم الإيمان، وذنب الزنى والسرقة وشرب الخمر وانتهاب النهبة يزيلها ويسلبها. وقال بعضُ السلف: أذنبت ذنباً فحرمت قيام الليل سنة. وقال آخر: أذنبت ذنباً فحرمت فهم القرآن. وفي مثل هذا قيل:

إذا كنــت فــي نعمــةٍ فَــارعَهَــا ... فــإنّ المعــاصــي تــزيــل النعــم

وبالجملة: فإنَّ المعاصي نارُ النعم، تأكلها كما تأكل النار الحطب، عياذاً بالله من زوال نعمته، وتحويل عافيته.

٤ ـ **خوف الله وخشية عقابه**، وهذا إنما يثبت بتصديقه في وعده ووعيده، والإيمان به وبكتابه وبرسوله، وهذا السببُ يقوى بالعلم واليقين، ويضعف بضعفهما. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (٢).

وقال بعضُ السلف: كفى بخشية الله علماً، وبالاغترار بالله جهلاً.

٥ ـ **محبة الله**، وهي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه؛ فإن المحب لمن يحب مطيع، وكلما قوي سلطان المحبة في القلب كان اقتضاؤه للطاعة وترك المخالفة أقوى. وإنما تصدر المعصية والمخالفة من ضعف المحبة وسلطانها، وفرقٌ بين من يحمله على ترك معصية سيده خوفه من سوطه وعقوبته، وبين من يحمله على ذلك حبه لسيده، وفي هذا قال عمر رضي الله عنه: نعم العبد صهيب لو لم يخفِ الله لم

---

(١) الرعد: ١١.

(٢) فاطر: ٢٨.

يعصه[1]. يعني أنه لو لم يخف من الله لكان في قلبه من محبة الله وإجلاله ما يمنعه من معصيته. فالمحب الصادق عليه رقيب من محبوبه يرعى قلبه وجوارحه، وعلامةُ صدق المحبة شهودُ هذا الرقيب ودوامه، وهاهنا لطيفة يجب التنبُّهُ لها، وهي أن المحبة المجردة لا توجب هذا الأثر ما لم تقترنْ بإجلال المحبوب وتعظيمه، فإذا قارنها بالإجلال والتعظيم أوجبت هذا الحياء والطاعة، وإلا فالمحبة الخالية عنهما إنما توجب نوع أنس وانبساط وتذكُّر واشتياق، ولهذا يتخلَّف عنها أثرها وموجبها، ويفتش العبد قلبه فيرى نوعَ محبة لله، ولكن لا تحمله على ترك معاصيه. وسبب ذلك تجردها عن الإجلال والتعظيم، فما عمر القلبَ شيءٌ كالمحبة المقترنة بإجلال الله وتعظيمه، وتلك من أفضل مواهب الله لعبده أو أفضلها، وذلك فَضْلُ الله يؤتيه من يشاء.

٦ ـ **شرف النفس** وزكاؤها وفضلها وأنفتها وحميتها أن تختار الأسباب التي تحطها وتضع قدرها، وتخفض منزلتها وتحقرها، وتسوي بينها وبين السفلة.

٧ ـ **قوة العلم بسوء عاقبة المعصية، وقبح أثرها، والضرر الناشئ منها**: من سواد الوجه، وظلمة القلب، وضيقه وغمّه، وحزنه وألمه، وانحصاره، وشدة قلقه واضطرابه، وتمزق شمله، وضعفه عن مقاومة عدوه، وتعريه من زينته بالثوب الذي جَمَّله الله وزينه به، والعصرة التي تناله، والقسوة والحيرة في أمره، وتخلِّي وليه وناصره عنه، وتولي عدوه المبين له، وتواري العلم الذي كان مستعداً له عنه، ونسيان ما كان حاصلاً له، أو ضعفه ولا بد، ومرضه الذي إذا استحكم به فهو الموت ولا بد، فإن الذنوب تميت القلوب، **ومنها**: ذله بعد عزه، **ومنها**: أنه يصير أسيراً في يد أعدائه بعد أن كان ملكاً متصرفاً يخافه أعداؤه، **ومنها**: أنه يضعف تأثيره فلا يبقى له نفوذ في رعيته ولا في الخارج، فلا رعيته تطيعه إذا أمرها، ولا ينفذ في غيرهم، **ومنها**: زوال أمنه وتبدله به مخافة، فأخوفُ

(١) طريق الهجرتين: ص ٢٧٠.

الناس أشدهم إساءة ، **ومنها**: زوال الأنس والاستبدال به وحشة ، وكلما ازداد إساءة ازداد وحشة ، **ومنها**: زوال الرضا واستبداله بالسخط ، **ومنها**: زوال الطمأنينة بالله والسكون إليه والإيواء عنده واستبدال الطرد والبعد منه.

ومنها: وقوعه في بئر الحسرات ، فلا يزالُ في حسرة دائمة كلما نال لذة نازعته نفسه إلى نظيرها إن لم يقضِ منها وطراً ، أو إلى غيرها إن قضى وطره منها ، وما يعجز عنه من ذلك أضعاف أضعاف ما يقدر عليه ، وكلما اشتد نزوعه وعرف عجزه اشتدت حسرته وحزنه ، فيا لها ناراً قد عذّب بها القلب في هذه الدار قبل نار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة.

ومنها: فقره بعد غناه. فإنه كان غنياً بما معه من رأس مال الإيمان وهو يتَّجر به ويربح الأرباح الكثيرة ، فإذا سلب رأس ماله أصبح فقيراً معدماً ، فإما أن يسعى بتحصيل رأس مال آخر بالتوبة النصوح والجد والتشمير؛ وإلا فقد فاته ربح كثير بما أضاعه من رأس ماله.

ومنها: نقصان رزقه ، فإن العبدَ يُحْرَمُ الرزق بالذنب يصيبه. **ومنها**: ضعف بدنه. **ومنها**: زوال المهابة والحلاوة التي لبسها بالطاعة فتبدل بها مهانة وحقارة. **ومنها**: حصول البغضة والنفرة منه في قلوب الناس ، **ومنها**: ضياع أعزّ الأشياء عليه وأعلاها ، وهو الوقت الذي لا عوض منه ، ولا يعود إليه أبداً.

ومنها: طمع عدوه فيه وظفره به ، فإنه إذا رآه منقاداً مستجيباً لما يأمره اشتدَّ طمعه فيه وحدث نفسه بالظفر به ، وجعْله من حزبه حتى يصير هو وليه دون مولاه الحق.

ومنها: الطبع والرين على قلبه ، فإنَّ العبدَ إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب منها صقل قلبه ، وإن أذنب ذنباً آخر نكت فيه نكتة أخرى ، ولا تزال حتى تعلو قلبه ، وذلك هو الرانُ ، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[1].

---

(١) المطففين: ١٤.

ومنها: أن يحرم حلاوة الطاعة، فإذا فعلها لم يجدْ أثرها في قلبه من الحلاوة والقوة ومزيد الإيمان والعقل والرغبة في الآخرة، فإن الطاعة تثمر هذه الثمرات ولا بد.

ومنها: أن تمنعَ قلبه من ترحُّله من الدنيا ونزوله بساحة القيامة، فإن القلبَ لا يزالُ مشتتاً مضيعاً حتى يرحل من الدنيا وينزل في الآخرة، فإذا نزل فيها أقبلت إليه وفودُ التوفيق والعناية من كل جهة، واجتمع على جمع أطرافه وقضاء جهازه وتعبئة زاده ليوم معاده. وما يترحل إلى الآخرة ويحضرها، فالتعب والعناء والتشتت والكسل والبطالة لازمة له لا محالة.

ومنها: إعراض الله وملائكته وعباده عنه، فإن العبد إذا أعرض عن طاعة الله، واشتغل بمعاصيه، أعرض اللهُ عنه، فأعرضت عنه ملائكته وعباده، كما أنه إذا أقبل على الله أقبل الله عليه، وأقبل بقلوب خَلْقه إليه.

ومنها: أن الذنب يستدعي ذنباً آخر، ثم يقوى أحدهما بالآخر فيستدعيان ثالثاً، ثم تجتمع الثلاثة فتستدعي رابعاً وهلم جرّاً حتى تغمره ذنوبه، وتحيط به خطيئته، قال بعضُ السلف: (إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها)[1].

ومنها: علمه بفوات ما هو أحب إليه وخير له منها من جنسها وغير جنسها، فإنه لا يجمعُ اللهُ لعبده بين لذة المحرمات في الدنيا ولذة ما في الآخرة. كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[2]، فالمؤمنُ لا يذهب طيباته في الدنيا، بل لا بد أن يترك بعض طيباته للآخرة، وأما الكافر فإنه لا يؤمن بالآخرة فهو حريصٌ على تناول حظوظه كلها وطيباته في الدنيا.

ومنها: علمه بأن أعماله هي زاده ووسيلته إلى دار إقامته، فإن تزوّد من

---

(١) الداء والدواء: ١/ ٦٤.
(٢) الأحقاف: ٢٠.

معصية الله أوصله ذلك الزاد إلى دار العصاة والجناة ، وإن تزوَّد من طاعته وصل إلى دار أهل طاعته وولايته.

ومنها: علمه بأن عمله هو وليه في قبره وأنيسه فيه وشفيعه عند ربه والمخاصم والمحاجّ عنه ، فإن شاء جعله له ، وإن شاء جعله عليه.

ومنها: علمه بأن أعمالَ البر تنهضُ بالعبد ، وتقومُ به ، وتصعدُ إلى الله به ، فبحسب قوة تعلُّقه بها يكون صعوده مع صعودها. وأعمالُ الفجور تهوي به ، وتجذبه إلى الهاوية ، وتجره إلى أسفل سافلين ، وبحسب قوة تعلقه بها يكون هبوطُه معها ونزوله إلى حيث يستقرُّ به ، قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾[2]. فلما لم تفتح أبوابُ السماء لأعمالهم بل أغلقت عنها ، لم تفتحْ لأرواحهم عند المفارقة بل أغلقت عنها. وأهل الإيمان والعمل الصالح لما كانت أبواب السماء مفتوحة لأعمالهم حتى وصلت إلى الله سبحانه ، فتحت لأرواحهم حتى وصلت إليه تعالى وقامت بين يديه ، فرحمها وأمر بكتابة اسمها في عليين.

ومنها: خروجه من حِصْن الله الذي لا ضيعة على من دخله ، فيخرج بمعصيته منه إلى حيث يصيرُ نهباً للصوص وقطاع الطريق. فما الظن بمن خرج من حصن حصين لا تدركه فيه آفة ، إلى خربة موحشة هي مأوى اللصوص وقطاع الطريق ، فهل يتركون معه شيئاً من متاعه؟.

ومنها: أنه بالمعصية قد تعرض لمحق بركته.

وبالجملةِ فآثارُ المعصية القبيحة أكثر من أن يحيطَ بها العبدُ علماً ، وآثار الطاعة الحسنة أكثر من أن يحيطَ بها علماً ، فخيرُ الدنيا والآخرة بحذافيره في طاعة الله ، وشرُّ الدنيا والآخرة بحذافيره في معصيته ، وفي بعض الآثار يقول الله سبحانه وتعالى: (من ذا الذي أطاعني فشقي بطاعتي؟

---

(١) فاطر: ١٠.
(٢) الأعراف: ٤٠.

ومن ذا الذي عصاني فسعد بمعصيتي؟!)[1].

٨ ـ **قصر الأمل وعلمه بسرعة انتقاله**، وأنه كمسافر دخل قريةً وهو مزمعٌ على الخروج منها، أو كراكب قال في ظِلِّ شجرة ثم سار وتركها. فهو لعلمه بقلَّة مقامه وسرعة انتقاله حريصٌ على ترك ما يقله حمله ويضره ولا ينفعه، حريصٌ على الانتقال بخير ما بحضرته، فليس للعبد أنفع من قصر الأمل، ولا أضرّ من التسويف وطول الأمل.

٩ ـ **مجانبة الفضول** في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه واجتماعه بالناس؛ فإن قوة الداعي إلى المعاصي إنما تنشأ من هذه الفضلات، فإنها تطلبُ لها مصرفها فيضيق عليها المباح فتتعداه إلى الحرام. ومن أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته وفراغه، فإن النفسَ لا تقعدُ فارغة، بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضرُّه ولا بُدَّ.

١٠ ـ **وهو الجامع لهذه الأسباب كلها: ثبات شجرة الإيمان في القلب**، فصبرُ العبد عن المعاصي إنما هو بحسب قوة إيمانه، فكلما كان إيمانه أقوى كان صبره أتمَّ، وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر. فإن مَنْ باشر قلبه الإيمان بقيام الله عليه، ورؤيته له، وتحريمه لما حرم عليه، وبغضه له، ومقته لفاعله، وباشر قلبه الإيمان بالثواب والعقاب والجنة والنار، امتنع من أن لا يعمل بموجب هذا العلم. ومن ظنَّ أنه يقوى على ترك المخالفات والمعاصي بدون الإيمان الراسخ الثابت فقد غلط، فإذا قوي سراج الإيمان في القلب، وأضاءت جهاته كلها به، وأشرق نوره في أرجائه، سرى ذلك النورُ إلى الأعضاء، وانبعث إليها، فأسرعتِ الإجابةُ لداعي الإيمان، وانقادت له طائعة مذلّلة غير متثاقلة ولا كارهة، بل تفرح بدعوته حين يدعوها، كما يفرح الرجلُ بدعوة حبيبه المحسن إليه إلى محل كرامته. فهو كلَّ وقت يترقّبُ داعيه، ويتأهّب لموافاته. والله يختصُّ برحمته من يشاء، والله ذو الفضلُ العظيمُ.

* * *

---

(١) طريق الهجرتين: ص ٢٨٩.

ثانياً: فتنة الأولاد

الأولادُ ثمرةُ الفؤاد وأفلاذُ الأكباد ، وحُبُّهم نوعٌ من الفطرة يلقيه الله في قلوب الآباء والأمهات ، يحملهم على بَذْل كلِّ ما يُستطاع بذله في سبيلهم ، من مال وصحة وغير ذلك. ولذلك حذّر الله من الافتتان بالولد فقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[2] .

يقول ابنُ مسعود في تفسير هذه الآية: (ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، فمن استعاذ منكم فليستعذْ بالله من مضلات الفتن)[3] .

وتتمثل فتنةُ الأولاد في أمور كثيرة منها:

١ ـ **عندما يفرطُ العبدُ في محبتهم ، وينشغلُ بهم** عن كثير من المصالح والخيرات. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾[4] .

وثبت عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه كان يخطبُ ، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسولُ الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ، ثم قال: «**صدق الله**

(١) الأنفال: ٢٨ .

(٢) التغابن: ١٥ .

(٣) الطبراني: ١٢/١٨ .

(٤) التغابن: ١٤ .

ورسوله ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ **نظرتُ إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران؛ فلم أصبرْ حتى قطعت حديثي ورفعتهما**»[١].

فإذا كان النبيُّ ﷺ قَطَع الخطبة محبة لهما وإشفاقاً عليهما، فقد تدفعُ المحبةُ للأولاد آبائهم على ترك كثير من الواجبات، والتلهي عن فعل الصالحات.

٢ ـ **الفتنة بالأولاد** تحمل الوالدين على **اقتراف الآثام** في سبيل تربيتهم والإنفاق عليهم وتوفير الثروة لهم، ولربما فتن الولد والديه بسبب فسقه وطغيانه، كما قال الله تعالى في قصة الغلام الذي قتله الخَضِرُ عليه السلام. ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾[٢].

قال في زاد المسير: قال الزَّجَّاجُ: (فرحا به حين ولد، وحزنا عليه حين قُتِل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرضَ المرء بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب)[٣].

٣ ـ ومن فتنة الأولاد **ما ورد في الحديث** عن النبي ﷺ أنه قال: «**الولد محزنة مجبنة، مجهلة مبخلة**»[٤]. ومعنى **محزنة**: أي مصدر حزن وهمّ إذا مرض أو لم يعطه حاجته، وهو **مجبنة** يمنع والده من الجهاد خوفاً عليه، **ومجهلة** يمنعه من طلب العلم والسعي إليه خوفاً عليه، وإشفاقاً عليه، **ومبخلة** يمنع والده من الإنفاق في سبيل الله.

وقد أخبر الله تبارك وتعالى: أن المال والولد ربما يكونان سببين في تعذيب صاحبهما إذا لم يطع الله فيهما قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[٥].

ولذلك لما كان الولد والمال فتنة في حَقِّ الأكثرين دعا النبي ﷺ

---

(١) البخاري: ح ٣٧٤٤.
(٢) الكهف: ٨٠.
(٣) زاد المسير: ٥/١٣٣.
(٤) الطبراني في معجمه الكبير: ٢٤/٢٤١، وهو في صحيح الجامع: ح ١٩٨٦.
(٥) التوبة: ٥٥.

للمؤمنين أن يقلل الله من فتنتهم ، فقد جاء في حديثٍ عنه ﷺ أنه قال: «**اللهم مَنْ آمن بي وصَدَّقني وعلم أنَّ ما جئتُ به هو الحق فأقللْ ماله وولده وعَجِّل قبضته ، اللهم ومن لم يؤمنْ بي ، ولم يصدِّقني ، ولم يعلم أنَّ ما جئت به هو الحق فأكثرْ ماله وولده وأطلْ عمره**»[1] .

والدعاء بتقليل المال ليس معناه الدعاء بالفقر ، ولكن معناه طَلَبُ الكفاف وهو الوسط ، والدعاء بتقليل الولد يحملُ على من يكون الولد مظنةً لفتنته ، وإضلاله ، وصَرْفه عن الدِّين .

الوسائل التي ينجو بها المكلَّفُ من فتنة الأولاد

١ ـ **الدعاء والتضرع** إلى الله عز وجل بإصلاحهم . قال الله تعالى واصفاً عِبادَ الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[2] .

قال تعالى عن نبيه زكريا عليه السلام أنه قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[3] .

٢ ـ **اختيار الأم الصالحة** التي هي مدرسةٌ إن أعددتها أعدت شعباً طيب الأخلاق ، وفي ذلك يقول النبيُّ ﷺ فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «**فاظفرْ بذات الدِّيْن تربتْ يداك**»[4] .

٣ ـ **التربية الإيمانية** للأولاد التي تغرسُ في قلوبهم حب الله ورسوله وحب خصال الخير ، وهذا من أوجب الواجبات على الآباء والأمهاء ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[5] .

---

(١) ابن ماجه: ح ٤١٣٣ ، والطبراني في الكبير: ح ٨٠٨ ، وانظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني: ٣/ ٢٥١ ، ح ٣٢٠٩.

(٢) الفرقان: ٧٤.

(٣) آل عمران: ٣٨.

(٤) البخاري: ح ٥٠٦٥.

(٥) التحريم: ٦.

يقول عليٌّ رضي الله عنه في تفسير الآية: (أي: علِّموهم وأدِّبوهم)[1].
وقد أخبر النبيُّ ﷺ أن الولدَ أمانةٌ في عنق والديه، وأن الله سائلاً كل راعٍ عَمَّا استرعاه، فمن ضَيَّع فله العقوبةُ، ومن حفظ فله المثوبة.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤولٌ عن رعيته، والرجلُ راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأةُ راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادمُ راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راعٌ ومسؤول عن رعيته**»[2].

وعندما يحسن الوالدُ تربيةَ ولده، يكون قرة عين له في الدنيا والآخرة.
سُئِل الحسن عن هذه الآية، أي: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[3]، قيل له: يا أبا سعيد! ما هذه القرة الأعين؟ أفي الدنيا أم في الآخرة؟ قال: لا بل والله في الدنيا.
قيل: ما هي؟ قال: والله أن يُرِيَ الله العبد من زوجته ومن أخيه ومن حميمه طاعة الله، لا والله ما شيء أحب إلى المرء المسلم من أن يرى ولداً أو والداً أو حميماً أو أخاً مطيعاً لله عز وجل[4].

يقول ابنُ القيم: مَنْ أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سُدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضُهم ولده على العقوق فقال: يا أبي عققتني صغيراً فعققتُكَ كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتُكَ شيخاً[5].

٤ - **تقوية الإيمان في نفوس الآباء والأمهات** حتى يكون الله ورسوله

---

(١) ابن كثير: ٤/٣٩١.
(٢) البخاري: ح ٢٥٥٤، مسلم: ح ١٨٢٩.
(٣) الفرقان: ٧٤.
(٤) ابن كثير: ٣/٣٤١.
(٥) تحفة المودود: ص ١٣٩.

أحبَّ إليه مما سواهما ، فلا يقدمون مالاً ولا ولداً على محبة الله ورسوله ، قال الله تعالى متوعداً من فضّل ماله وولده وزينة الحياة على طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1] .

وفي الحديث عن النبي ﷺ : «**لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه ووالده والناس أجمعين**»[2] .

وقد قال تعالى مبيناً أن العملَ الصَّالحَ خيرٌ من زينة الحياة من مالها وولدها: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[3] . والباقيات الصالحات هي جميع الأعمال الصالحة[4] .

* * *

---

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) البخاري: ح ١٤.

(٣) الكهف: ٤٦.

(٤) فتح القدير: ٣/ ٣٦١.

ثالثاً: فتنة المال

خَلَقَ اللهُ المالَ وجعله نِعْمةً من نعمه، وسَمَّاه خيراً، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[1]. وجعل له وظيفةً، وهو إنفاقه في طاعته لتحصيل خير الآخرة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾[2].

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ وظيفة المال، فعن أبي واقد الليثي قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أوحي إليه؛ أتيناه يعلمنا مما أوحي إليه، فجئته ذات يوم، فقال: **«إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولوكان لابن آدم وادٍ من ذهب لأحب أن يكونَ له ثانياً، ولو كان له الثاني لأحب أن يكون له ثالثاً، ولايملأ جوفَ ابن آدم إلا الترابُ، ويتوب الله على من تاب»**[3].

وقد حذَّر النَّبي ﷺ أمته من فتنة المال، فقال ﷺ: **«والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسطَ عليكم الدنيا، كما بسطتْ على مَنْ كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»**[4].

ولكنَّ العبدَ الصَّالحَ يستغلُّ المال فيما يعود عليه بالخير في الدنيا والآخرة؛ فيكون في حقه نعمة، فعن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ أن

---

(١) العاديات: ٨.

(٢) القصص: ٧٧.

(٣) أحمد في مسنده: ح٢١٩٥٥.

(٤) البخاري: ح ٣١٥٨.

النبي ﷺ قال: «**نِعْم المالُ الصَّالح للرجل الصَّالح**»[1].

ولما كانت غوائلُ المال وفتنه كثيرة حذَّر النبي ﷺ أمته من هذه الفتنة فعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في حظيرة غنم بأفسد لهما من حُبِّ المرء للمال والشرف**»[2].

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ هذا الدينارَ والدرهم أهلكا من كان قبلكم ولا أراهما إلا مهلكاكم**»[3].

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أن فتنةَ هذه الأمة هي فتنة المال، فعن كعب بن عياض رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال**»[4].

وقد يكره الإنسانُ قلة المال، وقد يكون ذلك خيراً له، فعن محمود بن اللبيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اثنتان يكرههما ابن آدم، يكره الموت، والموتُ خيرٌ له من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب**»[5].

غوائل جمع المال:

والمال وإن كانت محبته فطرية فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[6] وسَمَّاه الله خيراً، فقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾[7]، لكن للمال غوائل بجمعه من غير حِلِّه وإنفاقه في غير مصرفه الشرعي، وإليك

---

(١) البخاري في الأدب المفرد: ح٣٠٠، وأحمد في مسنده: ح٧١٨١٩، وإسناده صحيح، انظر مجمع الزوائد: ٤/ ٦٤.

(٢) الترمذي: ح٢٣٧٦، وقال: حسن صحيح.

(٣) الطبراني في الكبير: ١٠/ ١١١٧، وهو في صحيح الجامع: ح٢٢٤٥، وفي السلسلة الصحيحة: ح١٧٠٣.

(٤) الترمذي: ح٢٣٣٦، وقال: صحيح، انظر صحيح الترمذي: ٢/ ٢٧٣.

(٥) رواه أحمد في مسنده: ح٢٣٦٨٨، وهو في صحيح الجامع: ح١٣٩، وهو في الصحيحة: ح٣١٨.

(٦) العاديات: ٨.

(٧) البقرة: ١٨٠.

بعض هذه الغوائل على وجه التفصيل:

١ ـ أن يشتغلَ الإنسانُ بأمواله عن ذِكْر ربه ويغفلَ عن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(١).

وقد عاتب الله أصحابَ النبيِّ ﷺ على تلهيهم بأموالهم وتجاراتهم عن طاعة الله، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾(٢).

وقد مدح الله عباده الصالحين بأنهم لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذِكْر الله فقال تعالى:

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾(٣).

٢ ـ أن يمنعَ العبدُ حق الله تعالى في ماله وثروته وذلك بكنزه وحبسه بخلاً به وطمعاً، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾(٤).

٣ ـ أن يجحد الإنسان نعمة المال الذي رزقه الله تعالى، ويمنَّ بها عليه من بين سائر الخلق، وقال الله تعالى عن قارون. قال: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾(٥).

٤ ـ ومن غوائله ما قاله عيسى عليه السلام: (لا خيرَ في المال، قيل: ولِمَ يا نبي الله؟ لأنه: يجمع من غير حِلٍّ، قيل: فإن جمع من حله، قال: لا يؤدي حقه، قيل: فإن أدي حقه، قال: لا يسلم صاحبه من الكبر

(١) المنافقون: ٩.
(٢) الجمعة: ١١.
(٣) النور: ٣٧.
(٤) التوبة: ٣٤ ـ ٣٥.
(٥) القصص: ٧٨.

والخيلاء، قيل: إن سلم، قال: يشغله عن ذِكْر الله، قيل: إن لم يشغلْه عن ذكر الله، قال: يطيلُ عليه حسابه يوم القيامة)[1]. لكن طول الحساب لا يعني أفضلية الفقير الصابر على الغني الشاكر، فالصَّحيحُ أن التقوى هي معيار التفاضل بينهما.

٥ - **تقليل أجره يوم القيامة**، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (لا يصيب عبدٌ من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله، وإن كان كريماً)[2].

٦ - **يجرُّ إلى التنعم والإكثار من المباحات**، فيصير التنعُّم عنده مألوفاً معتاداً، ولا يصبر عنه، فربما لا يقدر على التوصل إليه، إلا بتقحُّم الشبهات، والكسب في الحرام، ولا يبلغ العبد كمال التقوى، حتى يدع ما لا بأس فيه حذراً مما به بأس.

٧ - **ضياع الأوقات النفيسة التي جعلها الله لتكونَ عوناً على الطاعات**، قيل لبعض السلف: إني جمعت مالاً، قال: هل جمعت عمراً تنفقه فيه؟ والوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وعمرُ الإنسان أنفاسٌ؛ فإذا خرجتِ الأنفاسُ فلا تعود.

٨ - **مخالطة أهل الدنيا ممن قست قلوبهم**، الذين هم عباد الدرهم والدينار، وفي هذه المخالطة من المفاسد ما الله به عليم.

٩ - **التحاسد والتباغض والتدابر**، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «**إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم، أي قوم أنتم؟**» قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال رسولُ الله ﷺ: «**أو غير ذلك: تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتحملون بعضهم على رقاب بعض**»[3].

---

(١) الإحياء: ٢/ ٢٢٠.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً، وهو حسن، انظر الترغيب والترهيب: ٤/ ٦١، ح ٤٧٠٩.

(٣) مسلم: ح ٧٣٥٣.

١٠ ـ ربما يجرُّه طلب المال إلى حبه وإيثاره على طاعة الله حتى يتحول عبداً له ، يحزن ويفرح من أجله ، وهذه أول درجات الانحراف عن عبودية الله ، قال ﷺ : «**تعس عبدُ الدرهم ، تعس عبدُ الدينار ، تعس عبدُ الخميصة ، تعس عبدُ القطيفة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك انتقش**»(١) .

كيفية النجاة من هذه الفتنة :

١ ـ أخذ المال من حِلِّه، ووضعه في حقه ، قال رسول الله ﷺ : «**من أخذه بحقه ووضعه في حقه ، فَنِعْمَ المعونةُ هو ، وإن أخذه بغير حقه ، كان كالذي يأكل ولا يشبع ، ويكون شهيداً عليه يوم القيامة**»(٢) .

وليعلم العبد أنه مسؤول عن ماله يوم القيامة من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، فليعدّ للسؤال جواباً؛ فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وعن جسده فيما أبلاه**»(٣) .

٢ ـ الأخذ منه بقدر الكفاية ، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**قد أفلح مَنْ أسلم ورُزِق كفافاً ، وقَنَّعه الله بما آتاه**»(٤) .

وقد دعا النبي ﷺ فقال: «**اللهمَّ اجْعَلْ رزقَ آل محمداً قوتاً**» أي: كفافاً(٥) .

٣ ـ القناعة والنظر إلى مَنْ هو دونك في المال حتى لا تزدري نعمة الله عليك ، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**إذا نظر أحدكم**

(١) البخاري: ح ٦٤٥٣ .
(٢) مسلم: ح ٧٢٨ .
(٣) الترمذي: ح ٢٤١٧ ، وقال: حسن صحيح ، انظر صحيح الترمذي: ٢/ ٢٩٠ .
(٤) مسلم: عن عبد الله بن عمر: ح ١٤٥٠ .
(٥) مسلم: عن أبي هريرة: ح ١٠٥٥ .

إلى مَنْ فضل عليهم في المال والخَلْق ، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه»[١] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**انظروا إلى مَنْ هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلا مَنْ هو فوقكم ، فهو أجدرُ ألا تزدروا نعمة الله عليكم»**[٢] .

٤ ـ **أن يطلبه بالنية الحسنة** ، وهي نية الاستعانة به على طاعة الله ، لا يطلبه بطراً ولا فخراً ولا رياء ولا تكثراً ، وقد روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**من طلب الدنيا حلالاً وتعففاً عن المسألة ، وسعياً على عياله ، وتعطُّفاً على جاره ، لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر»**[٣] .

٥ ـ **لا يشغله عن الواجبات فضلاً عن المستحبات** ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[٤] .

٦ ـ **أن يعلم المكلف أن ماله الحقيقي** هو الذي قدمه في سبيل الله . فقد قال ﷺ : «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟**» قالوا: يا رسول الله ! كلنا مالنا أحب إلينا من مال وارثه ، فقال ﷺ : «**فإن مال أحدكم ما قدَّم ، ومال وارثه ما أخَّر»**[٥] .

وعن عبد الله بن الشخير ـ رضي الله عنه ـ: أتيت النبي ﷺ ، وهو يقرأ: ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ قال: «**يقول العبد: مالي مالي قال: وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ، وما سوى ذلك فأنت تاركه للناس»**[٦] .

---

(١) البخاري: ح ٦٤٩ .
(٢) مسلم: ح ٢٩٦٣ .
(٣) أبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وسنده ضعيف ، كما قال العراقي .
(٤) المنافقون: ٩ .
(٥) البخاري: ح ٦٤٤٢ .
(٦) مسلم: ح ٢٩٥٨ .

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**يتبع الميتَ ثلاثة، فيرجع اثنان، ويبقى واحد، فيتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله**»[1].

وعن عائشة -رضي الله عنها- أنه ذبح شاة، فقال النبيُّ ﷺ: «**ما بقي منها؟**» قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال ﷺ: «**بقي كلها إلا كتفها**»[2].

والذي يعينه على ذلك أن يعلم أن الدنيا عرض الحاضر يأكل منه البر والفاجر، وأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، وأن الله بسط الدنيا لأعدائه اغتراراً، وزواها عن أوليائه اختياراً، وأن كثرة الأموال ليست دليلاً على رضا الله عز وجل، وأن يعلم أن الله اختار لنبيه الكفاف، وقد خيره ربه بين أن يكون عبداً نبياً أو ملكاً رسولاً، فقال: بل عبداً نبياً، بل عرض عليه ربه أن يجعل له بطحاء مكة ذهباً، فرفض وقال: بل أجوع يوماً وأشبع يوماً، صلوات ربي وسلامه عليه. فلنا الأسوة الحسنة فيه.

* * *

---

(١) مسلم: ح ٢٩٦٠.

(٢) الترمذي: ٢٤٧٠، وقال: صحيح.

رابعاً : فتنة النساء

أخبرنا الله جلَّ وعلا في القرآن أنَّ الناسَ مفتونون بحب الشهوات ، وذكر في مقدمتها فتنةً هي من أعظم الفتن ، إنها فتنةُ النساء ، التي تذهب بالعقول وتحير الأفئدة ، قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾[1] .

وقد جاء في الحديث عنه ﷺ قال: «**ما تركتُ بعدي فتنةً أضر على الرجال من النساء**»[2] .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء**»[3] .

وإن الناظر في واقع النساء اليوم ، وفي كل يوم يجد أن **خروجهن متبرجات سافرات هو سبب الفتنة بهن** ، يخلعن بهذا الفعل جلباب الحياء ، فيحطمن نخوة الشباب ، ويقضين على روح العزة في نفسه ، والرجولة في تصرفاته ، فيصبح أسير شهوته ، وعبد نفسه .

ولقد أخبرنا نبينا ﷺ بخروج مثل هذا الصنف من النساء الذي يضلُّ الناس ، ويجرفهم عن جادة الصواب ، فقال: «**صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات**

(١) آل عمران: ١٤ .

(٢) مسلم: ح ٢١٢٨ .

(٣) مسلم: ح ٢٧٤٢ .

عاريات ، مُميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البُخْتِ المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدْنَ ريحها ، وإن ريحها لتوجدُ من مسيرة كذا وكذا»(١) .

ولقد أجلتُ النظر في الأمور التي تكون تمهيداً لهذه الظاهرة المؤلمة ، وعاملاً رئيسياً في انتشارها ، **فوجدتها تكمنُ في النقاط التالية** :

١ ـ **بيوت الأزياء**، تلك المحلاتُ التي وَجَدَتْ في جسد المرأة تجارة رابحة، فموضةُ اليوم عند الركبة ، وغداً فوقها بخمسة سنتيمترات ، وبعد غد تزيد مساحة المعروض من خمسة إلى عشرين ، وهكذا دواليك ، وما على القطيع إلا أن ينفذ توجيهات وتعليمات بيوت أزياء الشيطان في باريس ونيويورك وغيرهما من (بؤرة التعرّي والرذيلة) .

٢ ـ **مصانع التجميل** ، التي لم تجدْ أكثر رواجاً من إنتاج الشعور والرموش الصناعية والمساحيق والمعاجين والأصباغ .

فهذا مسحوق للبشرة الشقراء ، وهذا للبيضاء ، وهذا المعجون يستعمل مساء ، وذاك صباحاً ، وذلك عند النوم ، وهذه صبغةٌ تصبغُ بها الأظفار الطويلة التي تكدس خلفها ملايين الجراثيم؛ حتى تغدو المرأة بعد استعمالها وكأنها أنشبت أظافرها في فريسة ، فلوثتها بالدماء .

٣ ـ **ومحال (الكوافير)** وما أدراك ما هي؟!

مستنقع للوباء الخُلُقي ، ووكالات أنباء لأسرار البيوت ، وساعات من العمر ـ لا ترجع ـ تقضيها المرأة رخيصة تحت (السشوار) ، ولمسات فاجرة على شعرها ووجهها من رجل أجنبي عنها ، وربما امتدت الأيدي بحجة التجميل إلى غير ذلك .

٤ ـ **مصانع الأحذية** ، وهي الأخرى لها (موضات) و(موديلات) فهذا حذاءٌ مكشوفٌ يبدي الأظافر الملوثة بالأصباغ ، وهذا نَعْلٌ ذهبيٌّ يلفُّ قدمي المرأة الرقيقتين بغلالة كأنها الذهب . . وهذا حذاءٌ يلبس من الساق إلى القدم ، وتلتف أليافه على الساق حتى تبدو السيقان أكثر جمالاً . . والحذاء

---

(١) مسلم : ح ٢١٢٨ .

أسود ، والساق بيضاء ، وبضدِّها تتميزُ الأشياء.

وهذه وسائلُ مهدت لظاهرة التبرج والسفور مما هو متعلق بمطالب الفتنة في جسد المرأة ، وليت الأمر وصل إلى هذا الحد في هذا العصر. إن التجارة لم تقتصرْ على ذلك ، بل امتدتْ إلى جسدها نفسه:

أ ـ فهذا محل تجاري تعمل فيه فتيات فاتنات لجذب العملاء!!

ب ـ وهذه مجلةٌ جنسيةٌ تعرضُ جسد المرأة شبه عار أو عار على صفحاتها ، لترفع رقم التوزيع.

ج ـ وهذه شركةٌ للسفر والسياحة ، تختارُ خادمات التي يقال لهن: مضيفات؛ لهن مقاييس جمالية معينة ، وذلك لتدخل تلك الخادمة المضيفة البهجة والسرور على المسافرين على خطوطها ، ولتجعل منها متحفاً للمساحيق والألوان على الراكبين حتى يخفف عنهم قطع الفيافي والقفار!!!

د ـ وهذا مستشفى يعالج فيه الرجال والنساء.. جلُّ عاملات التمريض فيه من الفتيات.

ولقد فطن أعداؤنا لهذه القضية ، واستخدموا المرأةَ كسلاح لتقويض كل القيم الأخلاقية في بلاد المسلمين ، وكانت المرأةُ رأسَ الحربة في هذه الهجمة الإباحية الخبيثة.

قال أحدُ كبار اليهود: «كأسٌ وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها في حب المادة والشهوات»[١].

وقال آخر: «يجب علينا أن نكسب المرأة ، فأي يوم مدت إلينا يدها؛ فزنى بالحرام ، وتبدد جيش المنتصرين للدين»[٢].

(لقد سار أعداؤنا في تنفيذ مخططاتهم التخريبية في بلادنا سيراً حثيثاً ، واستطاعوا أن يجندوا من أبناء المسلمين من يتولى تنفيذَ هذه المخططات ، وينافح عنها ، ويناضل من أجلها أشد ماتكون المنافحة والمناضلة ،

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام: ١/ ٢٨٧.

(٢) المرجع السابق.

وسخرت وسائل الإعلام على اختلافها من إذاعة وتلفاز وسينما وصحف.. إلخ لتحقيق أهداف هذه الهجمة الإباحية، ونجحوا في ذلك أيما نجاح، حتى أوصلوا الفسادَ إلى العذراء في خدرها، ووجدوا لهم آذاناً صاغية مطيعة، فخرجت جمعيات نسائية ماسونية، تبث سمومها في بنات المسلمين، وتزعم أنها تطالب بحقوقهن (المهضومة)، وبالمساواة مع الرجال في كل شيء، وانقلبت الأوضاع رأساً على عقب «وكانت الرياح صباً فصارت دبوراً»، فأصبح العهر تقدُّماً، والعفاف تخلُّفاً، والغيرة جموداً، والدياثة تطوُّراً، فلاحول ولا قوة إلا بالله.

إنه ما من شك ولا ريب أن التربيةَ السَّيئةَ هي التي دعت أولئك النسوة إلى السفور والعري، فإهمال التربية الإسلامية الموافقة للشرع سيساعد على تزايد عَدَدِ هؤلاء النساء)[1].

ومن الفتنة بالنساء الفتنة بالزوجات، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قال ابنُ كثير: المعنى أنه يتلهَّى به عن العمل الصالح، ولهذا قال: فاحذروهم؛ أي: على دينكم. قال مجاهد: المرأةُ تحملُ الرجل على قطيعة الرحم ومعصية ربه، فلا يستطيعُ الرجلَ مع حبه إياها إلا أن يطيعها.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: هذه الآية نزلت في أقوام أسلموا بمكة، فأرادوا أن يأتوا رسولَ الله ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم، فلما أتوا رسولَ الله ﷺ وجدوا الناس قد فقهوا في الدين؛ فهمُّوا أن يعاقبوهم، فأنزل الله هذه الآية[3].

وسائل النجاة من هذه الفتنة:

النَّجاةُ من هذه الفتنة يكونُ باتباع منهج الله الذي وضعه، وهذا المنهجُ

---

(١) الفتنة وموقف المسلم منها: ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥.

(٢) التغابن: ١٤.

(٣) الترمذي: ح ٣٣١٧، وقال: حسن صحيح، انظر ابن كثير: ٤/ ٢٥٠.

هو منهجٌ يحقق العفة والطهر والنقاء، ويبعد عن الريبة والرذيلة والفاحشة وبهذا تطهرُ مجتمعاتنا. ومن هذه الوسائل:

١ - **التزام الحجاب**، والمراد به أن ترتديَ المرأةُ لباساً يغطي جميع بدنها **بما فيه وجهها وكفيها**، ومن أبرز الأدلة على وجوب تغطية المرأة لوجهها وكفيها قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[1].

فقد روى البخاريُّ في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (يرحم اللهُ نساءَ المهاجراتِ الأُوَلِ؛ لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَقْنَ مُروطهن فاخْتمرن بها[2]. وفي رواية أخرى: أخذن أزرهن فشققنها من جهة الحواشي فاختمرن بها)[3]. قال ابن حجر في الفتح: فاختمرن بها؛ أي: غَطَّين وجوههن.

ومن الأدلة على وجوب تغطية الوجه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[4].

ففي هذه الآية خطابٌ في حق أزواج الرسول ﷺ؛ لكنه عام، لوجود العلة في كلِّ أحد، بل في حق غيرهن أشد، فطهارةُ القلب في حق الرجل والمرأة عامة في كل أحد، وهذه العلةُ تعمم الحكم، فالحكمُ يتبعُ العلة، بل في الآية ما يسمَّى عند أهل الأصول بدلالة الإيماء والتنبيه بمعنى: يا أيها الناس إذا كانت أزواج الرسول ﷺ وهن أطهر النساء، وإذا كان أصحاب الرسول ﷺ وهم أفضلُ القرون وأبعدهم عن الشر، إذا كان هذا في حقهم من الأمر، والسؤال من وراء الحجاب، وذلك أطهرُ لقلوبهم وقلوبهن، فغيرهم من الرجال، وغيرهن من النساء من باب أولى.

ومن الأدلة على وجوب الحجاب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ

---

(١) النور: ٣١.
(٢) البخاري: ح ٤٧٥٨.
(٣) البخاري: ح ٤٧٥٩.
(٤) الأحزاب: ٥٣.

﴿وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[1] .

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: (أمر الله نساء المؤمنين أن يغطِّين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبرزن عيناً واحدة) **ومعلوم أن تفسير الصحابي حجة إذا لم يكن مخالف وليس هنا مخالف**[2] .

ومن القرائن في الآية التي تدلُّ على أن الإدناء المراد به ستر الوجه قوله تعالى: ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ لأنه لا نزاعَ بين الأمة أن أزواجَ النبي ﷺ مأمورات بتغطية وجوههن ، كما أن سببَ نزول الآية وهو أن الفسَّاق كانوا يتعرضون للإماء ، ويتركون الحرائر ، فأمر الله نساء الرسول ﷺ والمؤمنات بالحجاب حتى لا يؤذين؛ دليل على أن الإدناء يشملُ ستر الوجه.

ومن الأدلة على وجوب تغطية الوجه ، قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾[3] .

ومعلومٌ بالبداهة عند المفسرين أنه ليس المراد بوضع الثياب أن يبقين عاريات ، وإنما هو كشفُ الوجه والكفين ، فالثياب المرخَّص في وضعها للعجائز ، هي الثياب التي تستر جميع البدن.

ومن الأدلة على وجوب الحجاب قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[4] .

ووَجْهُ الاستدلال من الآية ، أنه إذا كانت المرأةُ منهيةً عن الضرب بالأرجل خوفاً من افتتان الرجل بما يسمع من صوت الخلاخل ، فكيف بكشف الوجه الذي هو موضعُ الفتنة.

٢ ـ القرار في البيت: من الوسائل التي تنجِّي من هذه الفتنة ، هو الأمر ببقاء المرأة في بيتها وعدم خروجها إلا لحاجة أو ضرورة ، قال الله تعالى:

---

(١) الأحزاب: ٥٩.
(٢) إعلام الموقعين: ٤/١١٧.
(٣) النور: ٦٠.
(٤) النور: ٣١.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وفى الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**المرأةُ عورةٌ؛ فإذا خرجت استشرفها الشيطان حتى ترجع**»[1].

٣ ـ **الأمر بغضِّ البصر**، قال الله تعالى في حق الرجال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[2].

وقال الله تعالى في حق النساء: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[3].

فإنَّ غَضَّ البصر وسيلةٌ عظيمةٌ من وسائل حِفْظ الفَرْج، فإن البصرَ منفذٌ إلى القلب وإن أكثر الشرور مبدؤها النظر، قال النبيُّ ﷺ لعلي رضي الله عنه:

«**يا علي لاتتبعِ النظرةَ النظرة، فإن الأولى لك وليست لك الآخرة**»[4].

وعن جرير بن عبد الله، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن نظرة الفجأة، فأمرني أن أصرفَ بصري[5].

٤ ـ **ومن الوسائل النهي: عن مصافحة الأجنبية**؛ عن معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لأن يُطْعَنَ في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمسَّ امرأة لا تحلُّ له**»[6].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما مَسَّتْ يَدُ رسول الله ﷺ يدَ امرأة إلا امرأة يملكها[7].

---

(١) الطبراني في الكبير: ح ٩٤٧٤، قال الهيثمي: رجاله ثقات، وقال المنذري: إسناده حسن، وصححه الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة، وهو في صحيح الجامع: ح ٦٦٩٠.

(٢) النور: ٣٠.

(٣) النور: ٣١.

(٤) الترمذي: ح ٢٧٧٧، وقال: حسن غريب، أبو داود: ح ٢١٤٩.

(٥) مسلم: ح ٢١٥٩.

(٦) الطبراني: ٢٠/٢٢١، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني: رقم: ٢٢٦، ورجاله ثقات، قاله المنذري في الترغيب.

(٧) مسلم: ح ١٨٦٦.

فهذا رسولُ الله ﷺ أطهرُ الناس وأملكهم لإربه وشهوته ، ومع ذلك لا يصافح إلا محارمه.

٥ ـ **تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية** ، وقد ذكر القرطبيُّ أن الخلوةَ بغير المحارم من الكبائر ، وفي الحديث أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يخلونَّ رجلٌ بامرأة إلا معها ذو محرم**»[١].

وقال النبي ﷺ : «**ألا لايخلون رجلٌ بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»[٢].

وهذا النهيُ عام في كل أحد حتى أقارب الزوج ، فقد قال النبيُّ ﷺ : «**إياكم والدخول على النساء**» ، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**»[٣].

٦ ـ **نهي المرأة عن الخروج وهي متعطرة** ، حتى وهي ذاهبةٌ إلى أشرف البقاع وهي المساجد ، حيث قال ﷺ : «**إذا شهدتْ إحداكُنَّ المسجدَ فلا تمس طيباً**»[٤].

٧ ـ **ومنها نهي المرأة عن الخضوع بالقول** إذا تحدثت مع الأجانب ، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[٥].

والمرضُ هو مرضُ الشهوة ، بل إن المرأةَ لأجل ذلك منهية عن رفع صوتها في التلبية في الحج والعمرة سدّاً لمنافذ الفتنة.

٨ ـ ومن هذه الوسائل **نهي المرأة عن الاختلاط بالرجال**.

وقد اختلطتِ الرجالُ مع النساء في عهد الرسول ﷺ ذات يوم بالطريق ، فقال الرسول ﷺ للنساء: «**استأخرن فليس لكن أن تحققن**[٦] **الطريق** ،

---

(١) رواه البخاري: ح ٥٢٣٣.
(٢) رواه أحمد: ح ١٩٣٢ ، والحاكم ، وصححه ووافقه الذهبي.
(٣) البخاري: ح ٥٢٣٢ ، ومسلم: ح ٢١٧٢.
(٤) رواه مسلم: ح ٤٤٣.
(٥) الأحزاب: ٣٢.
(٦) أي: يركبن حقها أي وسطها. النهاية: ١/ ٢٢١.

عليكن بحافات الطريق ، فكانت المرأةُ تلتصقُ بالجدار حتى إنَّ ثوبَها ليتعلَّق بالجدار من لصوقها به»[1] .

ومن هذا الباب قال ﷺ : «خيرُ صفوفِ النساء آخرها، وشرُّها أولها»[2] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لو تركنا هذا الباب للنساء» قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات[3] .

وقالت أم سلمة رضي الله عنها: (كان الرسولُ ﷺ يسلِّم فينصرف النساء فيدخلن بيوتهن من قبل أن ينصرف رسولُ الله ﷺ والرجال)[4] .

هذا كله في مواضع العبادات ، وفي أفضل القرون فكيف بحالنا في هذه الأزمنة؟!

٩ ـ ومن الوسائل منع الغناء ، والغناءُ بريدُ الزنى ، وهو يدعو إلى الفاحشة ومقدماتها بما فيه من سهرات فاجرة وأصوات تقارنها الشياطين ، والأمرُ في تحريم الغناء الماجن أمرٌ معلوم ، فعن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ: قال رسولُ الله ﷺ : «ليأتين أقوام من أمتي يستحلُّون الحر والحرير والخمر والمعازف»[5] .

١٠ ـ ومن الوسائل أن الإنسان إذا وجد من امرأة ما يسره من جمال ، أو غيره أن يأتيَ أهله ليذهب ما فيه ، قال ﷺ : «إذا رأى أحدكم من امرأة ما يسره ، فليأتِ أهله فإنه يذهب ما فيه»[6] .

١١ ـ ومن الوسائل التي شرعها الشارعُ للحفاظ على العفة نهي المرأة

---

(١) رواه أبو داود: ح ٥٢٧٢ ، هو في صحيح الجامع رقم: ح ٩٢٩ ، وابن حبان في صحيحه.

(٢) رواه مسلم: ح ٤٤٠ .

(٣) رواه أبو داود: ح ٥٧٠ ، ٤٦٢ ، وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري: ح ٨٧٥ .

(٥) رواه البخاري: ح ٥٥٩٠ .

(٦) رواه مسلم: ح ١٤٠٣ .

عن **الضرب بالأرجل** ، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[1] .

فهذا النَّهْيُ للمرأة أن تضربَ الأرضَ بأرجلها سَدّاً للذريعة حتى لا تلفت أنظار الرجال ، فيكون بذلك الشر.

١٢ ـ ومن الوسائل تحريم سفر المرأة إلا مع ذي محرم ، فالمرأةُ ضعيفةٌ لا تكاد تقي نفسها ، والسفر مظنة لبعض الشرور ، والسفر بدون محرم يعرضها إلى الاختلاط بالرجال ومحادثتهم ، وهذه وسيلةٌ إلى الشر ، وإذا كان معها محرم كفاها هذه الحاجات ، قال رسولُ الله ﷺ : «**لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**» فقال رجل: يا رسول الله ! إن امرأتي خرجت حاجّة وإني اكتتبت بغزوة كذا وكذا ، قال: «**فانطلق فحج مع امرأتك**»[2] .

فهذا عامٌّ في كل امرأة صغيرة كانت أو كبيرة ، فلكلِّ ساقطةٍ لاقطةٌ.

١٣ ـ ومن الوسائل نهي المرأة عن وصف محاسن المرأة لزوجها ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (نهى رسولُ الله ﷺ عن أن تخبَرَ المرأةُ زوجَها بمحاسن امرأة أخرى)[3] .

وهذا النهيُ حتى لا يكون ذلك الكلام سبباً في أن يقعَ في قلب الرجل شيئاً تجاه المرأة الأخرى ، وينصرف عن زوجته ، ويحدث الشر.

١٤ ـ ومنها أن تقوم المرأة بحقوق زوجها وخاصة في قضاء وطره ، وأن تتجنب كل التجنب عن الامتناع حيث يطلب ذلك ، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأتِ فبات غضبان عليها؛ لعنتها الملائكة حتى تصبح**»[4] .

---

(١) النور: ٣١.

(٢) رواه البخاري: ح ٥٢٣٣ ، ومسلم: ح ١٣٤١ .

(٣) رواه البخاري: ح ٥٢٤٠ .

(٤) رواه البخاري: ح ٥١٩٣ .

وقال ﷺ : «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها ، لايرضى عنها**»[1] .

١٥ ـ ومنها ما جاء في ذم الدياثة والديوث، فإن هذا من أسباب الفساد ، والديوثُ: هو الذي لا يغارُ على محارمه ، فقد يرى امرأته تخرج بزينتها ، ولا ينكر عليها ، وقد قال ﷺ في ذم الديوث وعقوبته: «**ثلاثة لا ينظر الله تعالى إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه ، والمرأة المُتَرجِّلة ، والديوث**»[2] .

١٦ ـ ومنها مجالسة أهل الخير ، والبعد عن مجالسة أهل الشر. فإن كثيراً من انحراف الشباب عن العفة بسبب الجليس السوء ، ولذلك قال ﷺ : «**المرءُ على دِيْن خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[3] . وقد حَثَّ النبيُّ ﷺ على اختيار الجليس الصالح ، فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لاتصاحبْ إلا مؤمناً ، ولا يأكلْ طعامك إلا تقي**»[4] .

١٧ ـ ومنها ترك وتجنب الانفراد والوحدة من غير حاجة أو في غير طاعة الله. فإن الوحدة والانفراد لغير هذه الأمور ، سبب لحضور الشيطان ، ووسوسته لهذا الشخص لفعل مايحرم عليه ، ومحاولة إثارة بعض الخواطر المحرمة ، فلذلك مما ينصح به ترك الوحدة والانفراد إلا عند الضرورة ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ «**نهى عن الوحدة: أن يبيت الرجل وحده ، أو يسافر وحده**»[5] .

١٨ ـ ومن الوسائل التي شرعها الإسلامُ للحفاظ على العفة ، **الأمر بالزواج في حق كلا الجنسين** ، قال ﷺ : «**يا معشر الشباب من استطاع**

---

(١) مسلم: ح ١٤٣٦ .
(٢) رواه أحمد: ح ٥٣٧٢ ، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.
(٣) الترمذي: ح ٢٣٧٨ ، وقال: صحيح ، وأحمد في مسنده: ح ٨٠٣٤ .
(٤) الترمذي: ح ٢٣٩٥ ، وقال: حسن.
(٥) رواه أحمد: ح ٥٦٠٤ ، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند ، وكذلك صححه الألباني.

منكم الباءة فليتزوجْ؛ **فإنه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج**»[١]. فالزواجُ المبكرُ في حق الرجل والمرأة من أعظم وسائل الحفظ، وأما المعاذيرُ التي يعتذرُ بها الشباب؛ من إكمال الدراسة أو تأمين المستقبل، أو غير ذلك، فهي أعذارٌ لم ينزل الله بها من سلطان، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾[٢].

١٩ ـ ومن الوسائل التي شرعها الشارعُ للحفاظ على العفة: **التأدب بآداب الاستئذان**. فإن المجتمعَ المتأدبَ بآداب الاستئذان، من أبعد المجتمعات عن الشرور. فبالاستئذان تُحْفَظُ العورات، قال ﷺ: «**إنما جُعِلَ الاستئذانُ من أجل البصر**»[٣].

قال اللهُ تعالى مبيناً وجوب الاستئذان عند الدخول في بيوت الغير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾[٤].

بل ومن أجل المحافظة على حقوق النساء وعوراتهم، جاز لصاحب البيت إذا وجد أحد ينظر إلى بيته بدون إذنه، أن يفقأ عينه التي نظر بها، قال ﷺ: «**لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن، فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يَكُنْ عليك جناح**»[٥].

٢٠ ـ ومن هذه الوسائل **التفريق بين النائمين في المضاجع**: في سن العاشرة يجب التفريقُ بين النائمين، حتى لايحصل منهم حركة أو تصرف، يكون سبباً فيما لا تحمد عقباه، قال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفَرِّقُوا بينهم في المضاجع**»[٦].

---

(١) البخاري: ح ٥٠٦٦، ومسلم: ح ١٤٦٦.
(٢) الطلاق: ٤.
(٣) البخاري: ح ٦٢٤١.
(٤) النور: ٢٧.
(٥) البخاري: ح ٦٩٠٢.
(٦) أحمد: ح ٦٧٦٨، وأبو داود: ح ٤٩٥، وهو في صحيح الجامع: ح ١٠٢١.

٢١ ـ ومنها عدم السفر في بلاد التحلل والفساد؛ فإن كثيراً من أسباب انحراف البعض عن العفة، سفره لبعض البلدان الكافرة والمتحللة، ولذلك لا يجوزُ السَّفَرُ إلى بلاد الكفار إلا لضرورة حَدَّدها أهلُ العلم، واشترطوا لذلك شروطاً معروفة تراجع في مظانِّها، ففي الحديث عن جرير بن عبد الله، أن النبي ﷺ قال: «**أنا بريء من كل مسلم يقيمُ بين ظهراني المشركين**» قالوا: يا رسول الله! ولم؟ قال: «**لا تراءى ناراهما**»[1].

وعن سمرة أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تساكنوا المشركين، ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم، أو جامعهم؛ فهو مثلهم**»[2].

٢٢ ـ ومن هذه الوسائل تربية الشارع أفراد الأمة، **على الغيرة على المحارم**، وهي ضِدُّ الدياثة، وقد جاء في الحديث عندما قال سعد ـ رضي الله عنه ـ: (لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف)، قال ﷺ: «**أتعجبون من غَيْرة سعد؟! والله؛ لأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ مني**»[3].

وقال ﷺ: «**إن الله يغار، وإن المؤمنَ يغار**»[4].

فبوجود الغيرة لدى المسلم يحفظ هو نفسه عن الفواحش؛ لأنه كما لا يرضى في أهله الفاحشة، ويغار على أهله من ذلك، فهو لا يرضاها في غيرهن من المسلمات[5].

* * *

(١) الترمذي: ح ١٦٠٤، وقال البخاري: الصحيح أنه مرسل.
(٢) الترمذي: ح ١٦٠٥.
(٣) مسلم: ح ١٤٩٩.
(٤) البخاري: ح ٥٢٢٣، ومسلم: ح ٢٧٦١.
(٥) انظر هذه الوسائل في كتاب: معالم على طريق العفة.

المطلب الثاني
فتنة الشبهـــات

وتنتج هذه الفتنة من فساد القوة العلمية لدى المكلَّف ، التي بها يبصر مسالك الطريق ، فيقعُ في الضلال ، وقد تناولتُ هذا المطلبَ فى نقاط متعددة :

أولاً : فتنة الأهواء والبدع.

ثانياً: فتنة التفرّق والاختلاف في صفوف الأمة.

ثالثاً : فتنة تسلط الكفار على المسلمين.

رابعاً: فتنة تفوق الكفار في أمور الدنيا.

خامساً: فتنة موالاة الكفار.

سادساً: فتنة الضراء.

سابعاً: فتنة السراء.

أولاً: فتنة البدع والأهواء:

من أعظم الفتن فتنة الإحداث في الدين ، والتعبد لله بعبادات ماأنزل الله بها من سلطان ، فإن من أصول التوحيد: ألا يعبد إلا الله ، ولا يعبد إلا بما شرع ، وهذا معنى الشهادتين ، وقد قال الله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[1] .

---

(١) الشورى: ٢١.

وقد قرر العلماء أن الأصلَ في العبادات الحظر ، حتى يدل الدليلُ إلى الإباحة والإذن ، لقوله ﷺ : «**من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رَدٌّ**»[1] .

وفي رواية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ**»[2] .

والبدعُ سببٌ للتفرق ، وإلقاء العداوة والبغضاء بين أفراد الأمة؛ لأن فيها تركاً للمشروع ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾[3] .

والمتتبعُ لظهور البدع يرى أن البدعَ فرقت الأمة ، وشغلتها عن جهاد عدوها ، وذلك بانشغال الأمة بعضها مع بعض. وأولُ بدعة ظهرت في الإسلام بدعة الخوارج؛ الذين خرجوا على علي -رضي الله عنه- وقاتلوه في النهروان ، ثم ظهرت بدعة الشيعة، الذين تشيعوا لعلي -رضي الله عنه- وغلوا فيه حتى نسبوه إلى الألوهية ، وظهرت في أواخر عصر الصحابة بدعةُ القدرية ، القائلين بنفي القدر ، وأن الأمر أنف ، وتبرأت الصحابة منه ، ثم ظهرت بدعة التجهُّم في نفي الصفات في عصر التابعين ، وتلتها بدعةُ الاعتزال والإرجاء ، ثم تشعبت البدعُ بعد ذلك ، وانتشرت في جسد الأمة.

وقد أخبر النبيُّ ﷺ بافتراق الأمة ، ووقوعها في البدع المخالفة للشرع ، ففي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»[4] .

وفي رواية: «**كلها في النار إلا واحدة؛ وهي الجماعة**»[5] .

وفي رواية: «**كلها في النار إلا واحدة**» قيل: وما هي؟ قال: «**ما أنا عليه**

---

(١) البخاري: ح ٢٦٩٧.
(٢) مسلم: ح ١٩١٨.
(٣) المائدة: ١٤.
(٤) أبو داود: ح ٤٥٩٦ ، والترمذي: ح ٢٦٤٠ ، وقال: حسن صحيح.
(٥) ابن ماجه: ح ٣٩٩٢ ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي.

وأصحابي»[1]. والحديث عن البدع يشتمل عشرة فروع، وهي كما يلي:

١ ـ تعريف البدعة:

أصلُ مادة (بدع) هي للاختراع من غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2].

وأما تعريفها في الاصطلاح:

فهي عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه[3].

٢ ـ البدع كلها مذمومة من جهة النظر والشرع:

أما من جهة النظر فلأن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان، ولأن المبتدع معاند للشرع، مشاقّ لله ورسوله، ولأن المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع، ولأنه متبع للهوى.

وأما من جهة النقل فقد قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[4].

قال مجاهد: (لاتتبعوا السبل: أي البدع والشبهات)[5].

وعن العرباض بن سارية أن النبي ﷺ خطبهم خطبة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مُودِّع، فماذا تعهدُ إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة لولاة الأمر وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسَّكوا بها،**

---

(١) الترمذي: ح ٢٦٤٠، وقال: حسن غريب.

(٢) الأنعام: ١٠١.

(٣) الاعتصام: ١/٥٣.

(٤) الأنعام: ١٥٣.

(٥) ابن كثير: ٢/١٩٧.

وعضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومُحْدَثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة»[1] .

وأما ما جاء عن الصحابة ، فقد قال ابنُ مسعود رضي الله عنه ـ: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم) ، وعنه ـ رضي الله عنه ـ: (اقتصادٌ في سُنَّة خيرٌ من اجتهاد في بدعة)[2] .

وكان سفيانُ الثوري ـرحمه اللهـ يقول: (لا يستقيم قولٌ إلا بعمل ، ولا قول ولا عمل إلا بنية ، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا باتباع السُّنة)[3] .

٣ ـ البدع وما فيها من آفات محظورة ، ومعاني مذمومة:

اعلمْ أنَّ البِدَعَ لا يُقْبَلُ معها عبادة من صلاة وصيام ولا صدقة ولا غيرها ، ومُجالس صاحبها تُنزع منه العصمة ، ويوكل إلى نفسه ، والماشي إليه وموقره معين على هدم الإسلام ، فما الظن بصاحبها؟ وهو ملعون على لسان الشريعة ، وعلى مبتدعها إثم من عمل بها ، وليس له توبة إلا إذا شاء الله ، ويلقى عليه الذل والغضب من الله ، ويبعد عن حوض رسول الله ﷺ ، ويُخاف أن يكون معدوداً في الكافرين الخارجين عن الملَّة إن كانت البدعةُ مُكَفِّرة ، ويخاف عليه سوء الخاتمة ، ويسود وجهه يوم القيامة ، وقد تبرأ منه الرسولُ ﷺ والمسلمون ، ويخاف عليه الفتنة في الدنيا زيادة على عذاب الآخرة ، وهي مظنةٌ للعداوة والبغضاء ، ومانعةٌ من الشفاعة المحمدية ، ورافعةٌ للسُّنن التي تقابلها[4] .

٤ ـ كل بدعة ضلالة:

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (كل بدعة كلية عامة شاملة مصورة بأقوى أدوات الشمول والعموم ، والذي نطق بهذه الكلمة يعلم مدلولها ، وهو أفصح الخلق ، وأنصح الخلق للخلق ، لا يتلفظ إلا بشيء يقصد

---

(١) الترمذي: ح ٢٦٧٦ ، وقال: صحيح ، أبو داود: ح ٦٤٠٧ .
(٢) الاعتصام: ١/١٠٠ .
(٣) الاعتصام: ١/١٤١ .
(٤) الاعتصام: ١/١٤٣ .

معناه ، أفبعد هذا يمكن أن نقسم البدعة إلى ثلاثة أقسام أو خمسة أقسام ؟! فهذه الجملة ـ وهي قوله ﷺ : «**كل بدعة ضلالة**» ـ سيف صارم لايستطيع أن يقابله أحد فيقول: إن هناك بدعة حسنة[1].

وما استدل به المجيزون للبدعة الحسنة كله مردود عليه في موطنه ، ومن أقوى ما استدلوا به حديث النبي ﷺ : «**من سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة**»[2].

فالجوابُ عن هذا الحديث من ثلاثة أوجه:

١ ـ سبب الحديث يوضح أن المعنى من ابتدأ عملاً صالحاً ، مثل الصدقة ، فتتابع الناس عليه.

٢ ـ المعنى: من أحيا سُنَّةً كانت موجودة ، فعدمت ، فإحياؤها على هذا يكون من السنن الإضافية.

٣ ـ قوله في الحديث: «**سَنَّ في الإسلام**» والبدع ليست من الإسلام ، وقوله في الحديث: «**حسنة وسيئة**» ومعلوم أنه لا يعلم تفاصيل الحسن والسَّيِّئ إلا من الشرع؛ لأن العقل لا مدخلَ له في التحسين والتقبيح استقلالاً ، فعلم أن المراد بِسَنِّ السُّنة هو العمل الصالح ، كالصدقة وغيرها المعلوم حُسْنها بالشرع[3].

وأما قول عمر: «نعمت البدع هذه» يريد بها البدعة اللغوية؛ بدليل أن صلاة التراويح سَنَّها رسولُ الله ﷺ جماعة ، ولم يواظبْ عليها خشية الافتراض ، ثم لمَّا زال السبب بموته ﷺ أرجعها عمر مرة ثانية.

٥ ـ حال المبتدعين:

١ ـ اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة والمكذوبة.

٢ ـ ردهم للأحاديث التي جرت غير موافية لأغراضهم ومناهجهم.

---

(١) الإبداع: ص ٢٤.
(٢) مسلم: ح ١٠٠٧.
(٣) الإبداع: ص ٩٠.

٣ ـ الجهل بأدوات الشرع من اللغة والأصول وغير ذلك.

٤ ـ تركهم للمحكم، واتباع المتشابه بخلاف الراسخين في العلم.

٥ ـ تحريفهم للأدلة عن مواضعها تحريفاً معنوياً، فهم يعتقدون ثم يستدلون.

٦ ـ الغُلُوّ في تعظيم الشيوخ، والمبالغة في التقليد المذموم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[1]. وعن ابن عمر ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال: «**لا تطروني، كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[2].

٧ ـ الاحتجاج بالمنامات، ومعلوم أن المنامات لايستدلُّ بها، ولكن هي للبشارة والنذارة.

٦ ـ أنواع البدع:

البدع في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية، كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة، وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة عملية في العبادات، كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أنواع:

النوع الأول: ما يكون في أصل العبادة، بأن يحدث عبادة ليس لها أصلٌ في الشرع، كأن يُحْدِث صلاةً غير مشروعة، أو صياماً غير مشروع، أو أعياداً غير مشروعة، كأعياد الموالد وغيرها.

النوع الثاني: ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

النوع الثالث: مايكونُ في صفة أداء العبادة؛ بأن يؤديها على صفة غير

---

(١) النساء: ١٧٦.

(٢) البخاري: ح ٣٢٦١.

مشروعة ، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة ، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حَدٍّ يخرج عن سُنَّة الرسول ﷺ وهي الإضافية.

النوع الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه المشرِّع ، كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام ، فإن أصل الصيام والقيام مشروع ، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

٧ ـ البدع كلها مذمومة بجميع أقسامها ، سواء كانت حقيقية أم إضافية، اعتقادية أم عملية، كلية أم جزئية؛ لأن الأدلة لم تفرق بل أطلقت.

واعلمْ أنه لاتتمُّ المتابعة للنبي ﷺ إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة: في سببه وجنسه وقدره وكيفيته وزمانه ومكانه[١].

والبدعة الإضافية ـ وهي التي تخالفُ أصلَ المشروع في وصفه ـ يكفي في رَدِّها أن نقول: كلُّ ما تركه النبي ﷺ وأصحابه مع قيام مقتضى الفعل وانتفاء المانع يكون فعله بدعة ، وتركه سُنَّة ، ونقول كما قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾[٢] : (وأما أهل السُّنَّة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: فهو بدعة ، لأنه لوكان خيراً لسبقونا إليه؛ لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها)[٣].

وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٤]:

استنبط الشافعي ومن معه: (أن القراءة لا يصلُ إهداء ثوابها؛ لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ، ولهذا لم يندبْ رسولُ الله ﷺ أمته لها ، ولا حَثَّهم عليها ، ولا أرشدهم بنصٍّ ولا إيماء ، ولم ينقلْ ذلك عن الصحابة ، ولو

---

(١) الإبداع: ص ٢٤.

(٢) الأحقاف: ١٠.

(٣) ابن كثير: ٤/١٥٦.

(٤) النجم: ٣٩.

كان خيراً لسبقونا إليه ، وباب القربات يقتصرُ فيه على النصوص ، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء)[1].

٨ ـ حكم البدع في الدين بجميع أنواعها:

كلُّ بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة ، لقوله ﷺ: «**وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كلَّ محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة**»[2] ، وقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ**» ، وفي رواية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ**»[3]. فدلَّ الحديثُ على أن كل محدث في الدين فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة مردودة ، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات مُحَرَّمة ، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة:

فمنها: ما هو كفر صُراح كالطواف بالقبور تقرباً إلى أصحابها ، وتقديم الذبائح والنذور لها ، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم ، وكمقالات غُلاة الجهمية والمعتزلة.

ومنها: ما هو من وسائل الشرك ، كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها.

ومنها: ما هو فِسْقٌ اعتقادي كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية.

ومنها: ما هو معصية كبدعة التبتل والصيام قائماً في الشمس ، والخصاء بقصد قَطْع شهوة الجماع[4].

٩ ـ موقف أهل السنة والجماعة من المبتدعة ومنهجهم في الرد عليهم:

ما زال أهلُ السنة والجماعة يردون على المبتدعة ، وينكرون عليهم

---

(١) ابن كثير: ٤/٣٥٨.

(٢) سبق تخريجه: ص ٧٩ ـ ٨٠.

(٣) سبق تخريجه ، ص ٧٨.

(٤) الإرشاد: ص ٢٩٥ فما بعدها.

بدعهم، ويمنعونهم من مزاولتها، وإليك نماذج من ذلك:

١ - عن أم الدَّرداء قالت: (دخل عليَّ أبو الدرداء مُغْضَباً فقلت له: مالك؟ فقال: والله ما أعرفُ فيهم شيئاً من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعاً)[١]. قال صاحبُ الفتح: (مراد أبي الدرداء أن أعمال المذكورين حصل في جميعها النقص والتغيير إلا التجميع في الصلاة، وهو أمر نسبي، فكيف بمن جاء بعدهم من الطبقات إلى هذه الأزمان؟!)[٢].

٢ - عن عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يُحدِّث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: (أخرج عليكم أبو عبد الرحمن بعد؟) قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا عليه جميعاً، فقال: (يا أبا عبد الرحمن! إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً) قال: وما هو؟ قال: (إن عشت فستراه) قال: (رأيت في المسجد قوماً حِلَقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مئة، فيكبرون مئة، فيقول: هللوا مئة، فيهللون مئة، فيقول: سبِّحوا مئة، فيسبحون مئة، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء، ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقةً من تلك الحِلَق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامنٌ أن لا يضيعَ من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ، وآنيته لم تُكْسَرْ، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حَدَّثنا أن قوماً يقرؤون

---

(١) البخاري: ح ٦٥٠.
(٢) فتح الباري: ٢/١٣٨.

القرآن لا يجاوز تراقيهم ، وايم الله لا أدري لعل أكثرهم منكم ، ثم تولى عنهم ، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج)[١].

٣ ـ جاء رجلٌ إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال: من أين أحرم؟ فقال: (من الميقات الذي وقَّت رسولُ الله ﷺ وأحرم منه) ، فقال الرجل: فإن أحرمتُ من أبعد منه؟ فقال مالك: (لا أرى ذلك) فقال: ما تكره من ذلك؟ قال: (أكره عليك الفتنة) قال: وأي فتنة في ازدياد الخير؟ فقال مالك: (فإن الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢] . وأي فتنة أعظم من أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله ﷺ)[٣].

وهذا نموذج ، ولا زال العلماء ينكرون على المبتدعة في كل عصر ، والحمد لله.

١٠ ـ مسائل تتعلق بالبدع وحديث تفرق الأمة:

١ ـ البدعة إن لم يكفر أصحابها فهم ما زالوا في دائرة الإسلام ، لهم علينا حقوق ، وهم جزء من جسد هذه الأمة ، وإن ابتدعوا فلا نخذلهم ، ولا نسلمهم للكفرة ، ويبقى سائرُ الجسد يتداعى له بالسهر والحمى؛ إلا أن يبتر من الأمة بكفر ، أو شرك ، أو ردة ، أو نفاق[٤].

٢ ـ ليس كل من خالف في شيء من العقيدة الصحيحة يجب أن يكون هالكاً في الآخرة. قال ابن تيمية: (ليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكاً ، فإن المنازع قد يكون مجتهداً مخطئاً يغفر الله خطأه ، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحُجَّة ، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته ، وإذا كانت ألفاظُ الوعيد

(١) الدارمي: ح ٢٠٨.

(٢) النور: ٦٣.

(٣) الإرشاد: ص ٣٠٠ فما بعدها.

(٤) الفتاوى: ٣/٣٤٦.

المتناولة له لا يجبُ أن يدخل فيها المتأول، والقانت، وذو الحسنات الماحية والمغفور له، وغير ذلك، فهذا أولى)[1].

٣ ـ **لا يكفر أحد بمجرد اتباعه فرقة معينة**. يقول ابن تيمية: (من قال: إن الاثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفراً مخرجاً عن الملة؛ فقد خالف الكتاب والسُّنة وإجماع الصحابة، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كَفَّر كلَّ واحد من الاثنتين وسبعين فرقة)[2].

٤ ـ **الدعاء للمؤمنين يشمل اثنتين وسبعين فرقة**. يقول ابن تيمية: (وإذا قال المؤمن: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، يقصد كل من سبقه من قرون الأمة بالإيمان، وإن كان قد أخطأ في تأويلٍ تأوَّله، فخالف السنة، أو أذنب ذنباً، فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان، فيدخل في العموم، وإن كان من الاثنتين والسبعين فرقة، فإنه ما من فرقة إلا وفيها خَلْقٌ كثير ليسوا كفاراً، بل مؤمنون فيهم ضلال وذنب يستحقون به الوعيد، كما يستحقه عصاة المؤمنين)[3].

٥ ـ **إذا لزم الهجر للمبتدع فإنما هو للتأديب لا للإتلاف**: يقول ابن القيم: (ويكون هجرانه له دواء، بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء، ويزيد في الكمية عليه فيهلكه، إذ المراد تأديبه لا إتلافه)[4].

فالفردُ المسلمُ تدورُ عقوبته مع مايحقق مصلحته، حتى وهو يعاقب بالهجر أو بغيره، إنصافاً لحق الإسلام الذي يجمعنا به. يقول ابن تيمية: (بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتألف أقواماً ويهجر آخرين)[5].

ولذلك كان الإمامُ أحمد ـ رحمه الله ـ يرى ذلك في أهل البصرة، حيث

---

(١) الفتاوى: ٣/ ١٧٩.
(٢) الفتاوى: ٧/ ٢١٨.
(٣) منهاج السنة: ٥/ ٢٤٠.
(٤) زاد المعاد: ٣/ ٢٠.
(٥) الفتاوى: ٢٨/ ٢٠٦.

كانت الشوكة والقوة لأهل البدعة ، فكان يرى أن المداراة والتأليف أنفع من الهجر والمفارقة[1] .

١١ ـ أمثلة من البدعة :

أ ـ **بدعة تقديم العقل علىٰ النقل**: زاعمين أن الأدلة النقلية غير كافية ، وهذا غُلُوٌّ وضلال ، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2] .

والعقلُ الصَّريحُ لا يتعارضُ مع النقل الصحيح ، فإذا تعارضا فإما أن يكون العقل غير صريح ، أو أن النقل غير صحيح. وهذه البدعة يكفي في رَدِّها قولُ النبي ﷺ : «**لا يؤمن أحدُكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به**»[3] .

وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4] .

والأصل أن تُجرى النصوص على ظاهرها مالم يمنع مانع ، وعلى هذا دَرَجَ أهلُ العلم والفضل ، حتى نبغتْ هذه الفرقُ الضالة فأوّلتِ النصوصَ ، وقدّمت عليها العقل ، فأنكروا كثيراً من الأمور الغيبية ، التي ثبتت بالنصوص مثل الميزان والصراط وعذاب القبر وغير ذلك ، وردُّوا أحاديث صحيحة لم تستسغها عقولهم. والعقل ـ كما يقول أئمتنا ـ كالدابة توصلك إلى باب السلطان ولا تدخل معك ، وحقيقةُ الإسلام هو الاستسلامُ لرب العالمين بدون السؤال عن الحكمة والعِلَّة ، قال الله تعالى واصفاً المؤمنين: ﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[5] .

---

(١) الثوابت والمتغيرات: ص ٢٢٠.
(٢) المائدة: ٣.
(٣) أخرجه أبو نعيم فى كتاب الأربعين ، وأخرجه الشيخ أبو الفتح في كتاب الحجة ، وحسنه النووي فى الأربعين النووية.
(٤) النور: ٥١.
(٥) البقرة: ٢٨٥.

ب ـ **بدعة فَصْل الدين عن الدولة**: واعتقاد أن الدينَ إنما جاء لينظم العبادة بين المكلَّف وربه ، وأما أمور الدنيا فلا علاقة للدين بها ، كما هو شأن العلمانيين ، ويكفي في رَدِّ هذه البدعة؛ أن أطول آية في كتاب الله هي آية الدَّيْن ، جاءت لتنظيم معاملة المكلَّفين. وقد أحاطت الشريعةُ بعلم كل شيء ، فما من شيء يحتاجُ إليه المكلَّفون في شؤون دنياهم وأخراهم إلا بينته بياناً مُفَصَّلاً ، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾(١) . وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾(٢) .

وثبت عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه أنه قال: (ما مات رسولُ الله ﷺ إلا وقد ذَكَر لنا من كل شيء علماً ، حتى الطائر يطير بجناحيه ذكر لنا فيه علماً)(٣). وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه لليهودي لما قال له: أعلَّمكم رسولُ الله كل شيء؟ فقال له سلمان: (نعم علَّمنا رسول الله كل شيء حتى الخراءة، نهانا رسول الله ﷺ أن نستقبل القبلة ببول أو غائط)(٤).

ج ـ **التعبد بعبادات ما شرعها الله عز وجل**: مثل صلاة الرغائب ، وصلاة النصف من شعبان ، وصلاة الفاتح ، وغير ذلك ، مما انتشر وذاع بين المسلمين ، ويكفي في رد هذه العبادات المبتدعة أن نقول: لو كانت هذه الأمورُ تقربنا إلى الله عز وجل لشرعها لنا رسولُ الله ﷺ ، ولسبقنا إليها أصحابه ، ولا يصلح آخرُ هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وما لم يكن يومئذ ديناً لم يكن اليوم دِيْناً ، ومن زعم أن هناك بدعة حسنة في الدين فكأنما زعم أن محمداً ﷺ قد خان الأمانة ، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾(٥) .

---

(١) الأنعام: ٨٣.
(٢) النحل: ٨٩.
(٣) أحمد في مسنده: ح ٢١٤٩٥ ، والهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٦٣ عن أبي ذر ، ٨/ ٢٦٤ عن أبي الدرداء.
(٤) مسلم: ح ٢٦٢.
(٥) المائدة: ٦٧.

ثانياً: فتنة التفرق والاختلاف في صفوف الأمة:

إنَّ من أعظم المزالق وأخطر المصائب الاختلاف بين أهل الحق، وخاصة الذين تجمعهم عقيدةٌ واحدة، وغاية واحدة، وذلك بسبب بُعْدهم عن المنهج الشرعي الصحيح الذي يَتَّسِمُ بالشمولية والتوازن، وجَلْب المصالح، ودفع المضارّ، وإعطاء كل ذي حق حقه.

قال العلامة القراني صاحب أضواء البيان: (ومن هدي القرآن للتي هي أقوم؛ بيانه كيف تحلّ مشكلة اختلاف القلوب الذي هو سبب للفشل، قال الله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[1]. فبينت الآيةُ أن سَبَبَ الاختلاف ضَعْفُ العقل، ولا حَلَّ لهذه المشكلة إلا بإنارة العقل بالوحي؛ لأنه بالوحي تستضيء الأبصار بعد ظلمتها، وتحيا القلوب بعد موتها، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾[2][3].

وقد حَذَّر النَّبيُّ ﷺ من هذه الفتنة، فعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلُّون في جزيرة العرب، ولكن رضي بالتحريش بينهم**»[4].

وقبل أن نتعرفَ على أسباب هذه الفتنة، نريد أن نقدم بمقدمات ينبغي الإلمام بها:

أ - **الخلاف أمر قدري محتوم لا مفرّ منه**. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[5]. أي: للاختلاف خَلَقَهم على أحد التفسيرين[6].

---

(١) الحشر: ١٤.
(٢) الأنعام: ١٢٢.
(٣) أضواء البيان: ٣/٤٥٦ بتصرف.
(٤) مسلم: ح ٢٨١٢.
(٥) هود: ١١٨ - ١١٩.
(٦) وهو تفسير الحسن. انظر ابن كثير: ٢/٤٨٢.

وقد سأل الرسولُ ﷺ ربَّه ثلاثَ مسائل: سأله ألا يهلك الأمة بسنة عامة، ولا يُسلِّط عليها عدواً من غيرهم فيهلكهم، فأعطاه الله هاتين المسألتين، وسأله ألا يجعل بأسَهم بينهم، فلم يستجبْ له[1].

ولما نزل قولُه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾[2]. قال رسولُ الله ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»، ولما نزلت الآية: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: «**هذه أهون**»[3].

ب ـ اعتقاد حتمية الخلاف لا يعني الاستسلام له ولا الاسترسال له، لأن الله أمرنا بالاعتصام بحبله، ونهانا عن التفرُّق والاختلاف. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (هذا مع أن الله أمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن البدعة والاختلاف، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[4]. وقد قال النبيُّ ﷺ: «**عليكم بالجماعة فإن يَدَ الله مع الجماعة**»[5][6].

ج ـ معنى الاختلاف وأقسامه: الاختلافُ في اللغة: يعني عدم الاتفاق على شيء، وفي اصطلاح الفقهاء: أن يذهب كلُّ عالم إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، وهو ضد الاتفاق[7].

وينقسم الخلافُ إلى قسمين:

١ ـ **اختلاف تنوُّع**: لا تكون فيه الأقوالُ متناقضة، بل كل الأقوال صحيحة، مثل وجوه القراءات، وأنواع التشهُّدات، وصفة الآذان، وغير ذلك، ومن هذا الباب تنوُّع الأعمال الصالحة، وانشغال كل مكلف بعمل

---

(١) مسلم: ح ٢٨٩٠.
(٢) الأنعام: ٦٥.
(٣) البخاري: ح ٤٦٢٨.
(٤) الأنعام: ١٥٩.
(٥) الترمذي: ح ٢١٦٥ عن عمر رضي الله عنه.
(٦) الفتاوى: ٢٢/٢٥٤.
(٧) بصائر ذوي التمييز: ٢/٥٦٢.

صالح يبرز فيه ، والجماعاتُ الإسلامية في الوقت المعاصر فيها شيء من هذا النوع من الاختلاف. ولكن ينبغي أن يحذر من محاذير:

* أن يكون انشغالُ الأفراد والجماعات بما يرونه أفضل الأعمال سبباً لتركهم الواجبات الأخرى؛ التي تمثل الحد الأدنى من الالتزام بالإسلام.

* أن تحتقر الجماعةُ الأعمال الأخرى التي تقوم بها الجماعة الثانية.

* أن يتم عَقْدُ الولاء والبراء على هذه الأعمال المتنوعة وتقديمه على أصل الولاء لدين الله ، والمنهج الإسلامي الصحيح.

٢ ـ **اختلاف تضاد**: أن تكون الأقوالُ متعارضة ، وهذا الخلافُ وَقَعَ في أصول الدين ، وفى المسائل العملية ، وهو على قسمين:

* **خلاف سائغ غير مذموم** سواء كان في الأمور العلمية أو العملية. وهو ما لا يخالف نصّاً من كتاب ، أو سُنَّة صحيحة ، أو إجماع قديم ، أو قياس جَلِيّ ، وليس معنى كون الخلاف سائغاً أن يختار المكلفُ حسب التشهي ما شاء من الأقوال ، فهذا سبيلٌ إلى الزندقة والانحلال ، وقد نقل ابنُ عبد البَرِّ إجماعَ العلماء أنه لا يجوز تتبعُ رُخَص العلماء ، فضلاً عن الزلات والسقطات[١].

* **اختلاف تضادّ غير سائغ**: حَدَّه بعضُهم بأنه الخلاف في العقائد، لكن الصحيح أنه ما خالف نصاً من كتاب أو سُنَّة أو إجماع أو قياس جلي، سواء كان في الأمور العلمية أو العملية ، وهذا مذمومٌ؛ لأن الله أمر بالاعتصام ، فقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[٢] . وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ ﴾[٣] . قال ابن عباس في تفسير الآية: ﴿ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾ أهل السنة والائتلاف ، ﴿ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ : أهل البدعة والاختلاف[٤].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: ٢/٩١.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) آل عمران: ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٤) ابن كثير: ١/٣٩٨.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا مَنْ ولاَّه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثاً: قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال**»[1] .

د ـ الفرق بين الخلاف والافتراق. هناك كثيرٌ من طلبة العلم لا يفرقون بين الاختلاف والافتراق ، ويرتبون على مسائل الاختلاف أحكامَ الافتراق ، وهذا خطأ فاحش أصلهُ الجهل بأصول الافتراق ، ومتى يكون ، وكيف يكون[2] .

ومن أهم هذه الفروق:

١ ـ **الافتراق أشد أنواع الاختلاف** ، بل هو من ثمار الخلاف ، إذ قد يصلُ الاختلافُ إلى حَدِّ الافتراق ، فالافتراقُ اختلافٌ وزيادة.

٢ ـ **ليس كلُّ اختلافٍ افتراق** بل كل افتراق اختلاف ، فكثيرٌ من المسائل الخلافية بين المسلمين ، لا يجوز الحُكْمُ على المخالف فيها بالكفر ولا المفارقة ، ولا الخروج من السُّنَّة ، ولهذا يقول ابنُ تيمية: (والنزاع في الأحكام قد يكون رحمة ، إذا لم يُفْضِ إلى شر عظيم ، دون خفاء الحكم ، ولهذا صنف رجلٌ كتاباً سَمَّاه كتاب الاختلاف ، فقال أحمد رحمه الله: بل سَمِّه كتاب السعة. وإن الحق في نفس الأمر واحد ، وقد يكون من رحمة الله بعض خفائه لما في ظهوره من الشدة عليه ، ويكون من باب قوله تعالى: ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[3][4] .

٣ ـ **الافتراق لا يكونُ إلا على أصول كبرى في أصول الدين التي لا يسع** الخلافُ فيها ، والتي تثبت بنصٍّ قاطع ، أو بإجماع ، أو استقرت منهجاً علمياً لأهل السُّنة والجماعة ، لا يختلفون عليها ، فمن خالف فيه فهو

---

(١) مسلم: ح ١٩١٥.
(٢) انظر الفروق في كتاب الافتراق: ص ٨ ـ ٩.
(٣) المائدة: ١٠١.
(٤) الفتاوى: ١٤/١٥٩.

مفترق. قال الشاطبي: (إنما تصير الفرقةُ فرقةً بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات، ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات)[1].

٤ ـ **الاختلاف يكون عن اجتهاد وحُسْن نية**، ويُؤْجَر عليه المخطئ ما دام متحرياً للحق بخلاف الافتراق.

٥ ـ **الافتراقُ يتعلَّق به الوعيد**، وكله شذوذ، وأما الاختلاف فليس كذلك.

هـ ـ أسباب اختلاف التضاد:

أما اختلاف التضاد السائغ، فأسبابه تنحصرُ في ثلاثة:

* عدم وصول الدليل إلى الإمام[2].

* عدم ظهور المعنى له.

* اعتقاده أن هذا الدليلَ منسوخٌ أو معارضٌ بدليل آخر.

وأما الاختلاف غير السائغ فأسبابه كثيرة منها[3]:

* **أن كثيراً من المكلَّفين يجهلون الشرع**، وهذا داء أصاب الخوارج، فإن اختلافهم مع الصحابة كان سببه الجهل، فقد وصفهم النبيُّ ﷺ بأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدِّيْن كما يمرق السهمُ من الرمية[4].

* **الظلم والبغي**: قد يقع الخلافُ بسبب أن بعض الأمة يبغي على البعض، وبسبب الظلم والبغي يقع النهيُ عن أمور شرعها الله على سبيل الوجوب والاستحباب، وقد يؤمر بأشياء نهى الله عنها، وقد وقع أهلُ

(١) الاعتصام: ٢/ ٢٠٠.
(٢) رفع الملام: ص ١٠.
(٣) الافتراق: ص ٦٨ وما بعده، وآداب الخلاف: ص ٢٥ وما بعده.
(٤) مسلم.

الكتاب في ذلك ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ ﴾[1] .

* **الهوى واتباع الظن**: والهوى هو ما تهواه النفس ، وإن لم يكن الهوى محكوماً بالكتاب والسنة ، فإنه يكون مذموماً ، وكثيراً من الفِرَق الضَّالة كالخوارج والمعتزلة ضَلَّت بسبب اتباع الهوى ، وقد قال الله تعالى محذراً من ذلك: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[2] . وقد حمل اليهودَ على الكفر اتباعُ الهوى ، مع علمهم بأنه رسولٌ من الله عز وجل ، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3] .

* **الغرور بالنفس**: الذي يُوَلِّدُ الإعجابَ بالرأي ، والكبر على الآخرين، فيصرُّ الإنسانُ على قوله ، ويستخف بأقوال الآخرين ، مهما كان دليلها وحُجَّتها ، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ ﴾[4] .

* **الحرص على الزَّعامة والرئاسة والقيادة والمنصب والجاه**: وهو الداء الدَّويُّ ، والشهوة الخفية التي تفتكُ بالإيمان وتحرقُ الحسنات ، فهل جهل أبو جهل وكفر إلا ببحثه عن المجد المزعوم؟ وهل أهلك عبد الله بن سبأ إلا حب الرئاسة؟ وهل صرف هِرَقْلَ عن الإيمان بالله عز وجل إلا حُبُّ الرئاسة؟ وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما ذئبان جائعان أُرْسِلا في حظيرة غنم بأفسد لهما من حِرْص المرء على المال والشرف لدينه**»[5] . وآخر ما يخرج من قلوب الصالحين حب الرئاسة.

* **سوء الظن بالآخرين**: فهو ينظرُ للجميع بالمنظار الأسود ، فأفهامهم سقيمة ، ومقاصدهم سيئة ، وأعمالهم خاطئة ، بدلاً من أن تكونَ العلاقةُ

---

(١) آل عمران: ١٩.
(٢) ص: ٢٦.
(٣) البقرة: ٨٩.
(٤) يوسف: ٥٣.
(٥) الترمذي: ح ٢٣٧٦ ، وقال: حسن صحيح.

مع الآخرين ، هو الحب والإخاء والتعاون وحُسْنِ الظن ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (١) . وقد قالﷺ : «**إياكم والظن فإنَّ الظَّنَّ أكذبُ الحديث**»(٢) .

* **التعصب الأعمى لعالم أو مذهب أو جماعة من الناس** ، مع أن الله تعالى لم يجعلِ العصمةَ إلا للكتاب والسنة ، وما أجمعتْ عليه الأمة. يقول ابنُ مسعود رضي الله عنه: (من كان مستنّاً فليستنَّ بمن قد مات فإن الحي لاتُؤْمَنُ عليه الفتنة)(٣) . وقد قال الإمام أحمد: (لا تقلدوني ، ولا تقلدوا مالكاً ، ولا الشافعي ، ولا سفيان ، ولكن خذوا حيث أخذوا)(٤) . وقد قال ابنُ تيمية: (لا يجوزُ لأحد أن يجعلَ الطاعةَ في الدين لشخص ، إلا لرسول اللهﷺ ، ولا لقول إلا لكتاب الله عز وجل ، ومن نصب شخصاً كائناً من كان ، فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل ، فهو من الذين فَرَّقُوا دينهم وكانوا شِيَعاً ، وإذا تفقَّه الرجلُ ، وتأدَّب بطريقة قوم من المؤمنين مثل اتباع الأئمة ، والمشايخ ، فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم المعيار ، فيوالي من وافقهم ، ويعادي من خالفهم ، وليس لأحدٍ أن يدعو إلى مقالة أو يعتقدها لكونها قول أصحابه ولا يناجز عليها ، بل لأجل أنها مما أمر الله به ورسوله ، وأخبر اللهُ بها ورسوله ، أو لكون ذلك طاعة لله ولرسولهﷺ (٥) . وقد قال النبيﷺ لما اختصم المهاجرين والأنصار ، فقال أحدهم: يا للمهاجرين! وقال الآخر: ياللأنصار! فقالﷺ : «**أفبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟! دَعُوها فإنها مُنْتِنة**»(٦) .

* **التصدُّر قبل كمال الأهلية**: وهذا معنى قولهﷺ : «**إن الله لا يقبضُ العلمَ انتزاعاً ينتزعه من قلوب الناس ، ولكنْ يقبضُ العلمَ بقبض العلماء ،**

(١) الحجرات: ١٢.
(٢) مسلم: ح ٢٥٣٦.
(٣) حلية الأولياء: ١/ ٣٥.
(٤) إعلام الموقعين: ٢/ ٣٠٢.
(٥) الفتاوى: ٢/ ٩٠٨.
(٦) مسلم: ح ٢٥٨٤.

حتى إذا لم يَبْقَ عالم ، اتخذ الناسُ رؤساء جهالاً فَسُئِلُوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا»(١) . وقد قال الإمامُ مالك: (ما أفتيتُ حتى شهد لي سبعون من أهل المدينة)(٢) . وانظر إلى وَرَع السلف ـ رحمهم الله ـ إذ يقول الشعبيُّ رحمه الله: (إن المسألة لتعرضُ على أحدكم فيفتي فيها لو عُرِضَتْ على عمر لجمع لها أهلَ بدر)(٣) . وقد سُئل ابنُ مسعود عن قضية فأفتى فيها بعد سَنَةٍ ثم قال: (التمستُ مسألتكم في كتاب الله وسُنَّة رسول الله فما وجدتها، فأقول فيها برأيي ، فإن أصبتُ فمن الله ، وإن أخطأتُ فمن نفسي والشيطان)(٤) .

* **عدم التثبت في نقل الأخبار وسماعها وروايتها:** ورحم الله أسلافنا حيث يقولون إذا حدثوا بأمر: سَمُّوا لنا رجالكم ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء. والمتأمل يجدُ أن كثيراً من الخلافات بين الجماعات سببها عدم التثبت فيما يقال ، أو يذاع من الأخبار والأقوال.

* **مؤامرات الأعداء وأهل النفاق:** فعداوتهم لنا معلومة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾(٥) . فهم يشيعون بين أهل الإيمان الأراجيفَ والأقاويلَ ، ويشعلون نار الفتنة بينهم ، وقد حَذَّر اللهُ تعالى من اتباع سبيلهم ، والاستماع إلى أقوالهم ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ﴾(٦) .

٦ ـ المخرج من هذه الفتنة:

١ ـ **الإخلاص والتَّجرُّد من الهوى:** ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(٧) . وقد قال النبي ﷺ : **«إنما الأعمالُ بالنيات ، وإنما لكل امرئ**

---

(١) البخاري: ح ١٧٥ ، مسلم: ح ٢٦٧٣ .
(٢) نزهة الفضلاء: ص ٦٢١ .
(٣) جامع بيان العلم: ٢/ ٥٧ .
(٤) جامع بيان العلم: ٢/ ٩٧ .
(٥) البقرة: ٢١٧ .
(٦) آل عمران: ١٠٠ .
(٧) البينة: ٥ .

ما نوى»[1]. فالواجبُ على طالب العلم أن يفتشَ في نفسه إذا ظهر الخلافُ بين المسلمين، هل يريدُ بعمله هذا وَجْهَ الله والدار الآخرة، أم يريد أموراً أخرى.

٢ ـ **ردّ الأمر عند الاختلاف للكتاب والسنة**: وقد قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾[2]. ولا يُقدَّم على النصوص آراءَ الرجال، واجتهاداتهم، فقد قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: (توشك أن تتنزل عليكم حجارةٌ من السماء، أقولُ لكم: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر)[3].

٣ ـ **إحسان الظن بالمخالف**، وعدم اتهام نيته، والطعن والتجريح في شخصه. يقول ابنُ تيمية: (لو كان كلّما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يَبْقَ بين المسلمين عصمة، ولا أخوة، ولقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما سيدا المسلمين يتنازعان في أشياء لا يقصدان إلا الخير)[4].

٤ ـ **التزام الحوار بالتي هي أحسن**، والبعد عن المراء واللَّدَد في الخصومة، فقد أمرنا اللهُ تعالى بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، أفلا نرحمُ أهلَ ملتنا ونجادلهم بالتي هي أحسن؟! قال الله تعالى: ﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[5]. وانظر إلى أسلوب القرآن في خطابه للمشركين، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[6]. وهذا أسلوبٌ قرآنيٌّ يتنزلُ فيه القرآن مع المشركين حتى يراجعوا أنفسهم، وقد أمر اللهُ نبيه موسى عليه السلام أن يقولَ لفرعون قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى، وهذا ابنُ السماك[7] ـ رحمه الله ـ أحدُ

---

(١) البخاري: ح ١.
(٢) النساء: ٩٩.
(٣) رواه مسلم في كتاب المناسك: رقم ١٢٤٢.
(٤) الفتاوى: ٢٤/١٧٣.
(٥) العنكبوت: ٤٦.
(٦) سبأ: ٢٤.
(٧) هو محمد بن صبيح بن السماك، قال عنه أبو نعيم في الحلية: إنه الزاهد العابد، ومن =

علماء السلف يختلفُ مع إخوانه في مسألة ، فيغلظ له أخوه عند افتراقهما الكلام ، ويقول له: غداً نتعاتب ، فيقول ابن السماك: بل غداً نتغافر.

٥ ـ **الابتعاد عن الجزئية في التعامل مع نصوص الشرع وأقوال أهل العلم والدعوة** ، فلا بد للحكم على مسألة من جمع جميع النصوص حتى يكون الحكمُ صحيحاً ، وكذلك لا بُدَّ من الرجوع إلى أصول الجماعة ، حتى نستطيع أن نحكمَ عليها بحكم عام ، فمن الظلم أن نحكمَ على جماعة من خلال أقوال بعض أفرادها.

٦ ـ **التفريق بين مواضع الإجماع ومواضع الخلاف** وبين ما يجوزُ فيه الخلاف وما لا يجوز ، وأن يكون عندنا سعةٌ في الصدر ، وتقبُّلٌ لأقوال الآخرين ، طالما هي في حدود الشرع. يقول ابنُ تيمية ـ رحمه الله ـ: (من خالف الكتابَ المستبين أو السُّنَّة المستفيضة ، أو ما أجمع عليه سَلَفُ الأمة يعامل بما يعاملُ به أهل البدع، وأما المسائلُ التي وَقَعَ فيها الخلافُ قديماً، وهو خلافٌ سائغ ، فالأمر فيه سعة)[1]. ويقول يحيى بن سعيد الأنصاري: (ما برح أولو الفتوى يفتون فيحلُّ هذا ويحرم هذا ، فلا يرى المحرمُ أن المحللَ هَلَكَ بتحليله ، ولا يرى المحلُّ أن المحرِّمَ هَلَكَ لتحريمه)[2]. وقد قال الأوزاعيُّ رحمه الله: (وأما المسألة التي اختلف فيها السَّلف ، فلا أنهى إخواني عنها)[3].

٧ ـ **اعتبار المآلات والنظر في المقاصد**: فمن طلب الحق فأخطأه ليس كمن تعمَّد الباطل فأصابه ، والأمور بمقاصدها ، ولعل في قصة الرجل الذي أحرق نفسه بعد أن أسرفَ على نفسه ، وأمر أولاده أن يذروه في البحر عِظة، فقد غَفَر اللهُ له ذلك بسبب حُسْن مقصده. فالدُّعاةُ وطلبة العلم

= أقواله: (همةُ العاقل فى النجاة والهرب ، وهمة الأحمق في اللهو والطرب) ومن أقواله: (عجباً لعين تلذ بالرقاد وملك الموت معه على الوساد) ، الحلية: ٨/ ٢٠٣ ـ ٢١٧.

(١) الفتاوى: ١٤/ ١٧٢.

(٢) جامع بيان العلم: ٢/ ٨٠.

(٣) جامع بيان العلم: ٢/ ٨١.

يشفع لهم إن أخطؤوا حُسْن مقاصدهم ، كذلك النظر إلى المآلات ، فكم من أمر إذا نظرت إليه بذاته رأيته مردوداً ، لكن لعواقبه الحميدة يكون مشروعاً ، كذلك كم من أمر لا يقرُّ لذاته ، لكن لما يترتب على إنكاره من المآلات والمفاسد؛ فإنه يحتملُ ويصبرُ عليه؛ ولذلك من شروط تغيير المنكر ألا يؤدي إلى منكر أكبر منه ، ولذلك حَرَّمَ الشرعُ الخروجَ على الولاة الظلمة الفسقة ليس إقراراً لظلمهم ، لكن لما يترتب على الخروج عليهم من المفاسد من سفك الدماء ، والتفرق ، ونَشْر الفوضى بين الأمة.

٨ ـ **مراعاة عوارض الجهل والإكراه والتأويل السائغ:** فقد يكون الخطأ سببه الجهل ، أو الإكراه ، أو التأويل ، أو التأويل السائغ ، وقد اعتبرت الشريعةُ هذه العوارضَ مع المكلفين ، أفلا نعتبرها مع المخالفين لنا؟! فالشريعةُ جاءتْ لرحمة الخَلْقِ ، وعبادة الحق سبحانه ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، وارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء.

٩ ـ مراعاة الإنصاف في تقويم وتجريح المخالف:

أ ـ الإنصاف في تقويم المخالف:

* **الإنصاف أن المخالفَ لا يهدرُ بهفوته ولا يتبع فيها.** يقول ابنُ القيم: (مَنْ له عِلْم بالشرع والواقع يعلمُ قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة ، وهو من الإسلام وأهله بمكان ، قد تكون منه الهفوةُ والزلة ، هو فيها معذورٌ ، بل ومأجورٌ على الاجتهاد ، فلا يجوزُ أن يتبع فيها ، ولا يجوز أن تهدرَ مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين)[١].

* **إغفال الهفوات لمن غلب خيره:** يقول ابنُ حَجَر مُعَلِّقاً على حديث النبي ﷺ: «**ما خَلأَت القصواءُ ، وما ذاك لها بخُلُقٌ ، ولكن حَبَسها حابسُ الفيل**»[٢]. يقول ابنُ حَجَر معلقاً على الحديث: (جوازُ الحكم على الشيء

---

(١) إعلام الموقعين: ٣/ ٣٥٩.

(٢) البخاري: ح ٢٧٣١.

بما عُرِف من عادته ، وإن جاز أن يطرأ عليه غيره ، فإذا وقع من شخص لطيفة جميلة لا يعهدُ منه مثلها ، لا ينسب إليها ، ويردّ على من نسبه إليها)[١] . ويقول الكيا الهراسي: (هفواتُ الكبار على أقدارهم ، ومن عُدَّ خطؤه عظم قدره)[٢] .

* **لا نؤثم ولا نعصم:** يقول ابن تيمية: (وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين، فتارة يغلون فيه، ويقولون: إنهم معصومون، وتارة يجفون عنهم ، ويقولون: إنهم بادون بالخطأ ، وأهلُ العلم والإيمان لا يعصمون ولا يأثمون)[٣] . ويقول ابنُ تيمية أيضاً: (ومن جعل كل مجتهد في طاعة أخطأ في بعض الأمور ، مذموماً معيباً ممقوتاً ، فهو مخطئ ضالٌّ مبتدع)[٤] .

* **الإنصاف باعتبار المحاسن والمساوئ:** يقول أحمد ـ رحمه الله ـ في إسحاق بن راهويه: (لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق ، وإن كان يخالفنا في أشياء؛ فإن الناس لم يزلْ يخالف بعضهم بعضاً)[٥] .

* **الإنصاف باعتبار المحاسن بتغليب المحاسن:** يقول ابن تيمية: (لو قدر أن العالم كثير الفتاوى أخطأ في مئة مسألة لم يكن ذلك عيباً)[٦] . ويقول سعيد بن المسيب: (فليس من شريف ولا عالم ولا ذي سلطان إلا وفيه عيب لا بُدَّ ، ولكن من الناس من لا تُذْكَر عيوبه؛ مَنْ كان فَضْلُه أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله)[٧] . ويقول حافظ الحكمي في حق الصحابة:

---

(١) فتح الباري: ٥/ ٤٢٠ .
(٢) إرشاد الفحول: ص ٣٢٥ .
(٣) الفتاوى: ٣٩/ ٦٩ .
(٤) الفتاوى: ١١/ ١٥ .
(٥) نزهة الفضلاء: ص ٨٤٠ .
(٦) الفتاوى: ٢٧/ ٣٠١ .
(٧) نزهة الفضلاء: ٧٢٠ .

(ولهم من الفضائل والسوابق ، مايذهب سيئ ما وقع منهم إن وقع ، وهل يغير يَسِيرُ البحر إذا وقعت فيه؟!)[1].

* **إنصاف المخالف بعدم الاستخفاف به ، بل يرحمه ويدعو له:** يقول ابنُ تيمية: (وإذا نظرتَ إلى المبتدعة بعين القدر ، والحيرة مستولية عليهم ، والشيطان مستحوذ عليهم ، رحمتهم ، وترفَّقْتَ بهم)[2]. واعلمْ أنَّ تخطئةَ الرأي لا تقتضي الطعن بصاحبه ، يقول ابنُ تيمية: (الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل ، لا بجهل وظلم ، كحال أهل البدع)[3]. ويقول ابنُ القيم رحمه الله: (ومن العجب أنَّ الإنسانَ يهونُ عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنى والسرقة وشرب الخمر ، ومن النظر المحرم ، وغير ذلك ، ويصعب عليه التحفظ من حركات لسانه ، ولم تَرَ من رجل متورع عن الفواحش والظلم ، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات لا يبالي ما يقول)[4].

ب ـ الإنصاف في تجريح المخالف:

بإسقاط شهادات الأقران وشهادة المبغضين ، وبعدم تضخيم الأخطاء. يقول الذهبيُّ: (كلامُ الأقران إذا تبرهن لنا أنه هوى وعصبية لا يلتفت إليه ، بل يُطْوى ولا يُرْوَىٰ)[5].

ويؤكد الذهبي هذا المعنى فيقول: (وبكل حال كلام الأقران بعضهم في بعض يحتمل ، وطَيُّه أولى من بَثِّه ، إلا أن يتفق المعاصرون على جرح شيخ فيعتمد قولهم)[6].

---

(١) أعلام السنة المنشورة: ص ١٣٥.
(٢) الفتاوى: ٥/١١٩.
(٣) منهاج السنة: ٢/٣٤٣.
(٤) الداء والدواء: ص ١٨٧.
(٥) نزهة الفضلاء: ص ٧٤١.
(٦) نزهة الفضلاء: ص ٨٤٦.

ج ـ الإنصاف في تحقيق المصالح الشرعية:

وذلك بحفظ حَبْل الود: يقول ابنُ تيمية: (كانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولُهم في المسائل العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين)[1].

ولذلك فمصلحة التأليف أعظم من فعل سُنَّة خلافية، كما ترك ابنُ مسعود رضي الله عنه قصر الصلاة في مِنى مع عثمان رضي الله عنه، خوفاً من الاختلاف، يقول ابنُ تيمية: (لو كان الإمامُ يرى استحباب فعل شيء والمأمومون لا يستحبونه، فَتَركه لأجل الاتفاق والائتلاف كان قد أحسن)[2].

ويقول ابنُ تيمية أيضاً: (الاعتصامُ بالجماعة والائتلاف من أصول الدين، والفرع المتنازع فيه من الفروع الخفية، فكيف يقدح في الأصل بحفظ الفرع؟)[3]. وقد عدَّ رسولُ الله ﷺ في عيوب النساء أنهن يكفرن العشير، فما يليق نسيانُ الإحسان، وإنكار الفضل، وجحود المعروف لمن أراد الإنصاف.

د ـ الإنصاف في مراعاة الحكمة في مخاطبة المخالف:

والقرآنُ جادلَ الكُفَّارَ بالحكمة، وأمر بمجادلة المشركين بالتي هي أحسن، وانظر الى قولِ النَّبيِّ ﷺ لعتبة بن ربيعة لما كان مشركاً، وقد كان يعرضُ عليه عروضاً لترك رسالته: «**أفرغت يا أبا الوليد؟**» وذلك لينفتح قلبه وأذناه لسماع الحق.

فعلينا مخاطبة الناس بما ينفعهم، وتجنب مايفتنهم، يقول عليٌّ رضي الله عنه: (حَدِّثُوا الناسَ بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله؟!)[4].

---

(١) الفتاوى: ٢٤/ ١٧٢.
(٢) الفتاوى: ٢٢/ ٢٦٨.
(٣) الفتاوى: ٢٢/ ٢٥٤.
(٤) الفتح: ١/ ٣٠٠.

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: (ما من رجل يحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة)[1].

هـ ـ الإنصاف في الموازنة بين المصالح والمفاسد:

* **إسلامُ الكافر على يد مبتدع أولى من بقائه على الكفر.** يقول ابن تيمية: (وكذلك بعضُ الملوك قد يغزو غزواً يظلم فيه المسلمين والكفار، ويكون آثماً بذلك، ومع هذا فيحصل فيه نفعٌ كثير، كانوا كفاراً فصاروا مسلمين)[2].

* **توبة الفاجر بسماع أحاديث ضعيفة خير من بقائه على فجوره:** يقول ابنُ تيمية: (وكذلك كثير من الأحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب، والفضائل والأحكام والقصص، قد يسمعها أقوام، فينتقل بها إلى خير مما كانوا عليه، وهذا كالرجل يسلمُ رغبةً في الدنيا ورهبة من السيف، ثم إذا أسلم وطال مُكثه بين المسلمين؛ دخل الإسلامُ في قلبه، فانتقل إلى خيرٍ مما كان عليه، وخَفَّ الشر الذي كان فيه)[3].

* **الصلاة خلف المبتدع أولى من ترك الجماعة:** يقول ابنُ تيمية: (فإن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومطلوبها ترجيح خير الخيرين إذا لم يمكن أن يجتمعا جميعاً، ودفع شَرِّ الشَّرَّين إذا لم يندفعا جميعاً، ولهذا كان الصحابةُ يصلُّون خلف الحَجَّاج والمختار، وغيرهما الجمعة والجماعة، فإنَّ تفويتَ الجمعة والجماعة أعظمُ فساداً من الاقتداء فيها بإمام فاجر، لا سيما والتخلف عنهما لا يدفع فجوره)[4].

يقدم لولاية أمور الناس أمثل الفسقة إذا لم يوجد العدل. يقول عز الدين ابن عبد السلام: (لو تعذر العدالة في جميع الناس لما جاز تعطيل

---

(١) المرجع السابق.
(٢) الفتاوى: ٣/٩٦.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المسائل الماردينية: ٦٣ ـ ٦٤.

المصالح ، بل قدمنا أمثل الفسقة فأمثلهم وأصلحهم للقيام بذلك ، فأصلحهم ، بناءً على أنه إذا أمرنا بأمر أتينا منه بما قدرنا عليه وسقط عنا ما عجزنا عنه ، ولا شك أن حِفْظَ البعض أولى من تضييع الكل ، ولمثل هذا قلنا: إذا عَمَّ الحرام بحيث لا يوجدُ حلالٌ ، فلا يجبُ على الناس الصبر إلى تحقق الضرورة ، لما يؤدي إليه من الضرر العام)[1]. وقد قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[2]. وقد قال ﷺ: «**إذا أمرتُكم بأمر فائـتُوا منه ما استطعتم**»[3].

* **الواجبُ الآكدُ والمحرم الأدنى يبدأ به عند التزاحم والتحتم**: يقول ابنُ تيمية: (فإذا ازدحم واجبان لايمكن جمعهما ، فقدم أوكدهما ، ولم يكن الآخرُ في هذه الحال واجباً ، ولم يكن تاركُه لأجل فعل أوكد تاركاً واجباً على الحقيقة ، وكذلك إذا اجتمع محرمان ، لا يمكن ترك أعظمهما إلا بفعل أدناهما، لم يكنْ فِعْلُ الأدنى في هذه الحال محرماً في الحقيقة)[4].

* **تحتمل مفسدة الاستعانة بالمبتدعة في تحصيل واجب أعظم**: يقول ابنُ تيمية: (لو ترك رواية الأحاديث عن مبتدعة البصرة ، لا ندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم ، ثم قال: فإذا تعذَّر إقامةُ الواجبات من العلم والجهاد، وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة ضررها دون مضرة ترك ذلك الواجب، كان تحصيل المصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة خير من العكس)[5].

* **عدم جواز الإنكار في مسائل الاجتهاد لا يعني عدم جواز النصيحة.**

* **نور معه ظلمة خير من ترك النور بالكلية**: يقول ابنُ تيمية: (فإذا لم يحصل النورُ الصافي بألا يوجد إلا النور الذي ليس بصافٍ ، وإلا بقي

---

(١) قواعد الأحكام: ٢/ ٣٧.
(٢) التغابن: ١٦.
(٣) البخاري: ح ٧٢٨٨ ، ومسلم: ح ١٣٣٧.
(٤) الفتاوى: ٢٠/ ٥٧.
(٥) الفتاوى: ٢٨/ ٢١٢.

الإنسانُ في الظلمة ، فلا ينبغي أن يعيبَ الرجل ، وينهى عن نور فيه ظلمة إلا إذا حصل نورٌ لاظلمةَ فيه ، وإلا فكم ممن عدل عن ذلك ، يخرج عن النور بالكلية)[1] .

* **لا يهجر المبتدع إذا فوت الهجر بعض المصالح**: يقول ابنُ تيمية: (فإذا لم يكنْ في هجران المبتدع انزجارُ أحد ، ولا انتهاء أحد ، بل بطلانُ كثير من الحسنات المأمور بها؛ لم يكن هجراً مأموراً به)[2] .

و ـ الإنصاف في الإنكار على المخالف:

* **عدم الإنكار في المختلف فيه من مسائل الاجتهاد**: يقول ابنُ القيم: (وما إذا لم يكنْ في المسألة سُنة ولا إجماع ، وللاجتهاد فيها مسار ، لم تنكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً)[3] .

* **الإنكار في مسائل الخلاف وعدم الإنكار في مسائل الاجتهاد**: يفرق العلماءُ بين مسائل الخلاف ومسائل الاجتهاد ، يقول شيخُ الإسلام رحمه الله: (مسائل الاجتهاد مَنْ عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر ، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه ، وإذا كان في المسألة قولان ، فإن كان الإنسانُ يظهر له رجحانُ أحد القولين عمل به ، وإلا قلد بعض العلماء الذين يُعْتَمَدُ عليهم في بيان أرجح القولين)[4] .

* **عدم الإنكار على من كان حديثَ التوبة والإسلام إلا بعد تمكُّنه من العلم والعمل**: ولا يكون ذلك من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات ؛ لأن الوجوب والتحريم مشروط بإمكان العلم والعمل ، وقد فرضنا انتفاء هذا الشرط ، فتدبَّرْ هذا ، فإن العجز مُسْقِط للأمر والنهي ، وإن كان واجباً في الأصل[5] .

---

(١) الفتاوى: ١٠/ ٣٦٤.
(٢) الفتاوى: ٢٨/ ٢١٢.
(٣) إعلام الموقعين: ٣/ ٣٦٥.
(٤) الفتاوى: ٢٠/ ٢٠٧.
(٥) الفتاوى: ٢٠/ ٦٠.

* **عدم الإنكار حيث لا يجدي الإنكار إلا عند مظنة القبول**: يقول ابنُ تيمية: (فإذا كان المأمور أو المنهي لا يتقيد بالمأمور ولا بالمنهي عنه، إما لجهله، وإما لظلمه، ولا يمكنُ إزالة جهله وظلمه، فربما كان الأصلح، الكفّ والإمساك عن أمره ونهيه، كما قيل، إنَّ من المسائل مسائل جوابها السكوت، كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء، والنهي عن أشياء حتى علا الإسلام وظَهَر)[1].

ويرى العِزُّ بن عبد السلام: (أنه إذا كان لا يجدي الإنكارُ فإنه يتحول من الوجوب إلى الاستحباب، قال: وقد كان رسولُ الله ﷺ يدخل إلى المسجد الحرام وفيه الأنصابُ والأوثانُ، ولم يكن ينكر ذلك كما رآه، وكذلك لم يكنْ كلما رأى المشركين ينكر عليهم، وكذلك كان السلفُ لا ينكرون على الفَسَقة والظَّلَمة فسوقَهم، وظلمهم، وفجورهم كلما رأوهم، مع علمهم أنه لا يُجْدي إنكارهم. فقد يكون من الفَسَقةِ من إذا قيل له: اتق الله أخذته العِزَّةُ بالإثم، فيزداد فسوقاً إلى فسوقه، وفجوراً إلى فجوره)[2].

* **عدم الإنكار إلا إذا كان الانتقال من منكر أكبر إلى أخف**: وفي ذلك قصة شيخ الإسلام ابن تيمية مع التتر الذين كانوا يشربون الخمر، ولم ينههم عنها خوفاً من أن يفيقوا فيسفكوا الدماء، ويهتكوا الأعراض، وهي معلومةٌ لدى الجميع.

ز ـ موقف المسلم من الخلاف:

المكلَّفون ثلاثةُ أصناف:

أ ـ **المجتهد** وواجبه النظر والاستدلال بالأدلة، ولا يسعه التقليد، إلا عند العجز وضيق الوقت.

ب ـ **العامي** الذي ليس عنده علم جملة وتفصيلاً، وهذا واجبه التقليد،

---

(١) الفتاوى: ٢٠/٥٩.

(٢) قواعد الأحكام: ١/١٠٩.

وسؤال أهل العلم، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

ج ـ **المتبع**، وهو الذي لم يبلغْ رتبةَ الاجتهاد، ولكن عنده فهم بالدليل، ويستطيع أن يُرجِّحَ بين أقوال أهل العلم بالمرجِّحات المعتبرة. فهذا إن استطاع أن يرجِّحَ بين الأقوال، فواجبه النظر مثل المجتهد، وإذا لم يستطعِ الترجيح، فواجبه تقليد أهل العلم، مثل العامي[2].

ح ـ قضية الاختلاف بين الإفراط والتفريط:

من مواقف **الإفراط** في هذه القضية بعض الأمور، مثل:

* **التعصب** من بعض العوام لبعض المذاهب وغيرها، التعصب الباطل؛ مما يُولِّد الشِّقاق والنزاع.

* **مايسلكه البعضُ من تفضيل مذهب على مذهب**، حتى جَرَّ البعض إلى وضع أحاديث مكذوبة ترفعُ من شأن إمامه، وتحقر مذهب الآخرين.

ومن مواقف التفريط بعض الأمور:

* اعتبار البعض **أن الخلاف الفقهي الواقع من الخلاف** في الدين، وأنه هو التفرق الذي ذَمَّه اللهُ ورسولهُ.

* ما يصوِّره البعضُ أن **العامي المقلِّد للإمام تاركٌ للكتاب والسنة**، مُقَدِّمٌ الرجالَ على الدين، ويجعلونه مثل النصارى الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

* مايفعله بعضُهم من **الطعن في بعض المذاهب الفقهية**، وتنفير الناس منها؛ وذلك بجمع بعض الزَّلَّات والسَّقطات العلمية للأئمة حتى ينفر الناسُ عنهم.

* **الفهم الخاطئ لأقوال بعض الأئمة مثل قولهم**: (إذا صَحَّ الحديثُ

---

(1) النحل: ٤٣.
(2) أضواء البيان: ٧/ ٤٣١، وجامع بيان العلم: ٢/ ١١١.

فهو مذهبي) فهو يرى أنه يجوزُ له أن يأخذَ بكل حديث صحيح وإن خالف أقوالَ الأئمة المعتبرين.

يقول الإمامُ الذهبي: (لا يصحُّ **معارضة قول الإمام بحديث** إلا بشروط:

١ ـ صحة الحديث من غير علة.

٢ ـ أن يأخذ به سَلَفٌ من الثقات.

٣ ـ أن يرقى إلى درجةِ معارضةِ دليلِ الإمام.

٤ ـ لا يكون الحديثُ مما اتفق السلفُ على عدم العمل به؛ كحديث النبي ﷺ: «**فإن شرب الرابعة فاقتلوه**[١][٢]»[٣].

ثالثاً: فتنة تسلط الكافرين على المؤمنين:

من الفتن الكبيرة: ما نراه في عالمنا الآن، وقبل ذلك من **تسلُّط الكُفَّار على المؤمنين إيذاءً وقتلاً واستضعافاً وتحكُّماً** في موارد البلاد ومقدراتها، وأحوالها، وشؤونها السياسية والاقتصادية والعسكرية، وقد تولى القرآنُ الردَّ على هذه القضية، فقال تعالى ردَّاً على الصحابة في غزوة أحد، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾[٤]: **أي بسبب مخالفتكم لأمر النبي ﷺ**، **وهذه سُنَّةُ الله** أن الانحراف عن دين الله سَبَبٌ لتسلُّط الكفار على المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾[٦].

وقد وَرَدَ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «**خمسُ خصال أعوذُ بالله أن تدركوهنّ.. وذكر منها: ولم ينقضوا عهد اللهَ وعهد**

---

(١) الترمذي: ح ١٤٤٤.

(٢) ينظر هذا الموضوع في كتاب فقه الائتلاف: ص ١٢١ وما بعدها.

(٣) نزهة الفضلاء: ص١١٨.

(٤) آل عمران: ١٦٥.

(٥) الشورى: ٣٠.

(٦) النساء: ٧٩.

رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدواً من غيرهم ، فأخذ ما في أيديهم»[1] .

وقد ثَبَتَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إذا تبايعتم بالعينة**[2] ، **وأخذتم أذنابَ البقر ، ورضيتم بالزَّرْع ، سلَّط اللهُ عليكم ذلاً لا ينزعه عن رقابكم حتى تراجعوا دينكم**»[3] . وقد بكى أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ لما فتحت قبرص؛ ولما سأل عن ذلك ، قال: (ما أهونَ الخَلْق على الله إذا أضاعوا أمراً، بينما هي أمةٌ قائمة، ظاهرة، ضيَّعتْ أمر الله، فصارتْ إلى ما ترى)[4] .

والجَزاءُ من جنس العمل ، فمن ضَيَّع الله ضَيَّعه الله ، وقد ثبت عن ثوبان رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**يُوشِكُ أن تداعى عليكم الأمم ، كما تتداعى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها**» ، قلنا: يا رسول الله! أمن قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم كثير ، ولكنكم غُثاءٌ كغُثاء السَّيل ، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن**» ، قالوا: وما الوهنُ يا رسول الله؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[5] .

وحينما يتسلَّط الكافرون على المؤمنين يحاولون أن يُوقِعُوهم في أعظم فتنة ، ألا وهي فتنةُ الكفر والردَّة عن دين الله عز وجل ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾[6] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[7] .

وللكفار في ذلك وسائل متعددة:

١ ـ **محاولة إيقاع المسلمين في الردَّة الفعلية** بوسائل الترغيب والترهيب ، مثلما فعلوا مع خَبَّاب بن الأرتّ ، وبلال وغيرهم من

---

(١) ابن ماجه: ح ٤٠١٩ ، وذكره الألباني في صحيح ابن ماجه: ح ٣٢٤٦.

(٢) بيع ربوي، وهو أن تباع السلعة بثمن نسيئة ، ثم تشترى نقداً ، بأقل من ذلك من نفس البائع ، انظر شرح الممتع: ٨/ ٤٣٢.

(٣) أبو داود: ح٣٤٦٢.

(٤) الإمام أحمد ، وذكره ابن القيم في كتاب الداء والدواء: ص ٤٧ .

(٥) أبو داود: ح ٤٢٩٧ ، وقد صححه الألباني.

(٦) البقرة: ٢١٧ .

(٧) البقرة: ١٢٠ .

الصحابة ، ومثل ما جاء عن ملك الروم مع عبد الله بن حُذافة السهمي ، أراد أن يتنازلَ له عن نصف ملكه ، ويتنصر ، لكنه لم يستطعْ.

٢ ـ **إيقاعهم في نواقض الإسلام من حيث لا يشعرون** ، وذلك من خلال الغزو الفكري المنظم حيث يتحكَّمون في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة ، يبثُّون من خلالها سُمومَهم وأفكارهم التي تناقضُ الإسلام ، ولكن يحسِّنونها في أعين البلهاء حتى تروجَ عليهم ، فانتشرت عند المسلمين المذاهب الفكرية الكفرية ، وهم لا يشعرون ، مثل الشيوعية والاشتراكية ، والديمقراطية ، والعلمانية ، وتردَّدتْ على الألسن قضيةُ تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، ومبدأ: لا سياسةَ في الدين ولا دينَ في السياسة ، ودَعْ ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر ، واستبدلت شرائعُ الله بشرائع وضعية ، وهم مع ذلك يحسبون أنهم على الإسلام.

٣ ـ **إغراق الأمة بالشَّهوات التي تشغلها عن دينها** ، مثل إشغال الأمة بالرياضة والفن ، واسْتُخْدِمَتِ المرأةُ كسلاح فَتَّاك لإغواء الأمة وإيقاعها في الرذيلة ، وأصبحت رجالات الكرة ، وأرباب الفن هم الذين يُقدَّمون للناس على أنهم هم القدوات ، حتى ضلَّت الأمة عن سواء السبيل ، وصدق الله إذ يقول: ﴿ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾[1] .

٤ ـ **حماية المزارات والقبور والذبح لها والنذر لها** ، وإفهام الناس أنها من التوسل المشروع في بلاد المسلمين؛ حتى زاد عَدَدُ المشاهِد في بلاد المسلمين على خمسة عشر ألف مشهد.

٥ ـ **محاولة صرف الناس عن القرآن** ، وذلك بتغريب المناهج وجعلها مناهج عِلْمانية ، لا أصلَ لها بالدين ، حتى يقولوا مفكروهم: (ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوربة السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان) ، وقال آخر: (يجبُ أن نزيلَ القرآن العربي من وجودهم ،

(١) النساء: ٢٧.

ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم)[1].

٦ ـ الصدّ عن سبيل الله ومحاربة رجال الإسلام ودعاته، والزَّج بهم في غياهب السجون والمعتقلات، ولا ذنبَ لهم إلا أن قالوا: ربنا الله. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

واعلم أن تسلُّطَ الكفار على المؤمنين يجري وَفْق سنن الله الكونية وحكمته الشرعية، فهم في قبضة الله عز وجل نَواصيهم بيده، وهُمْ مقهورون مربوبون، لا يستطيعون حَوْلاً ولا قوة إلا أن يأذن الله تعالى. يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾[3].

المخرجُ من هذه الفتنة:

واعلمْ أنَّ هذه الفتنةَ لن تستمرَّ وتدوم، بل الأيامُ دُوَلٌ يقلِّبها الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[4].

لكن لا يرتفعُ هذا التسلط من الكافرين على المؤمنين إلا أن تراجعَ الأمةُ دينها، وتحققَ صِفَةَ الإيمان بالله، وصِفة الجندية لله عز وجل، عند ذلك تكون أهلاً أن يتنزلَ عليها نصرُ الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[6].

ولا يكون إلا بالجهاد في سبيل الله، بشتى أنواعه، وسوف نفردُ للجهاد بحثاً بمشيئة الله.

رابعاً: فتنة تفوقُ الكفار في أمور الدنيا:

من الفتن أن نرى كثيراً من المسلمين **مفتونين بما وصل إليه الغربُ من**

---

(١) انظر كتاب: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله: ص ٥٩.

(٢) التوبة: ٣٢.

(٣) محمد: ٤.

(٤) آل عمران: ١٤٠.

(٥) الصافات: ١٧٣.

(٦) الروم: ٤٧.

تحضر ورقي ومدنية ، متناسين كُفْرهم وشِرْكهم ووقوعهم في معصية الله رب العالمين. وهذا من ضعفِ اليقين والإيمان بالله ، وحتى تزولَ هذه الفتنةُ من قلوب كثير من المسلمين ، فإننا نذكر بهذه الحقائق:

١ ـ أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين **عن تقلُّب الكفار في البلاد** ، ونهاهم أن يبهروا بحضاراتهم ، قال الله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١٩٦ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[1] .

قال ابنُ كثير في تفسير الآيتين: (أي: لا تنظر إلى هؤلاء الكفار وهم مُتْرَفُون بهذه النِّعم والغبطة والسرور ، فعمَّا قليلٍ يزولُ هذا كله عنهم ، ويصبحون مرتهنين بأعمالهم السيئة)[2] .

وقال تعالى محذِّراً من الاغترار بحضارات الكفار: ﴿مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾[3] .

وقد أخبر الله تعالى أن هذا التفوقَ للكفار متاعٌ قليل ، وأنه زائل لا محالة ، قال الله تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[4] .

ونهى الله رسوله ﷺ أن يتعجَّلَ إهلاكَ الكافرين ، فقال له: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾[5] .

٢ ـ نهى الله رسوله ﷺ **أن ينظر إلى نعيمهم** وطرفهم وسعة أرزاقهم ، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[6] .

يقول ابنُ كثير في تفسير الآية: (لا تنظرْ إلى هؤلاء المترفين وأشباههم وما هم فيه من النعيم ، فإنما هو زهرةٌ زائلة ونعمةٌ حائلة ، لنختبرهم

---

(١) آل عمران: ١٩٦ ـ ١٩٧ .
(٢) ابن كثير: ١/٤٥٢ .
(٣) غافر: ٤ .
(٤) لقمان: ٢٤ .
(٥) الطارق: ١٧ .
(٦) طه: ١٣١ .

بذلك ، وقليل من عبادي الشكور)[1] .

وقد أخبر الله نبيه بعد أن نهاه أن ينظرَ إلى هؤلاء المترفين ونعيمهم ، قال له: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[2] . والمعنى: أي ما آتيناك من القرآن والنبوة والشرع ، أعظم مما آتيت هؤلاء الكافرين.

وفي الصَّحيح عن عمر رضي الله عنه: لما دخل على رسول الله ﷺ في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه ، حين آلى منهن ، فرآه متوسِّداً مضطجعاً على حصير ، وليس في البيت إلا صبرة من قرص وأهبة معلقة ، فابتدرت عينا عمر بالبكاء ، فقال له رسولُ الله ﷺ : «ما يبكيك يا عمرِ؟» فقال: يا رسول الله ! إن كسرى وقيصر فيما هم فيه ، وأنت صفوةُ الله من خَلْقه ، فقال: «**أو في شك يا بن الخطاب ، أولئك قوم عُجِّلَتْ لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا**»[3] .

٣ ـ أخبر الله نبيه أن هذا النعيم والترف والتقدُّم هو من باب **الاسْتدراج** والمكر به ، قال الله تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾[4] . وقد قال تعالى مبيناً أن هذا التفوقَ والبَسْطَ في الأرزاق للكافرين ، إنما هو استدراجٌ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[5] .

يقول ابنُ كثير في تفسير الآية: (فتحنا عليهم أبوابَ الخير اسْتدراجاً منا وإملاء لهم ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الأموال والأولاد والأرزاق أخذناهم بَغْتةً على غَفْلة ، فإذا هم آيسون من كل خير)[6] .

---

(١) ابن كثير: ٣/ ٢٧٩.

(٢) الحجر: ٨٧.

(٣) ابن ماجه: ح ٤١٥٣ ، وابن حبان: ح ٤١٨٨ ، والحاكم: ٤/ ١٠٤ ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) القلم: ٤٤ ـ ٤٥.

(٥) الأنعام: ٤٤.

(٦) ابن كثير: ٢/ ١٣٧.

وعن عقبة بن عامر أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا رأيتم الله يعطي العبدَ من الدنيا وهو مقيمٌ على معاصيه؛ فإنما هو اسْتدراجٌ ـ ثم تلا قوله تعالى ـ:** ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[1]»[2]. قال بعضُ السَّلَفِ في تفسير الآية السابقة: (كلما أحدثوا ذنباً أحدثَ اللهُ لهم نِعْمةً).

٤ ـ **أخبر الله نبيه أن هذا الإملاءَ والتَّوسعةَ عليهم ليس لكرامتهم على الله**، ولكن ليزدادوا إثماً على إثمهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ﴾[3].

فالدنيا لا تساوي عند الله جناحَ بعوضة، ولذلك بذلها لأعدائه اغتراراً، وزَوَاها عن أوليائه اختباراً، قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[4].

٥ ـ **هذا التقدمُ والحضارةُ إنما وَصَلُوا إليها وَفْق سنن الله الكونية التي لا تُحابي أحداً**، فلكلِّ مجتهد في الدنيا نصيب بإذن الله، قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[5].

وهم مع ذلك محاسبون على هذه الأرزاق والتوسعة بخلاف المؤمنين؛ فإنهم لا يُحاسبون؛ لأنهم يشكرون الله ويؤمنون به، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[6].

فدلَّ مفهومُ الآية على أنَّ غيرَ المؤمنين عليهم جناحٌ فيما يأكلون ويطعمون، وقد أخبر الله أن المؤمنين غير محاسبين على هذه النعم؛ لأنهم

---

(١) الأنعام: ٤٤.
(٢) الإمام أحمد: ح ١٧٣١٣.
(٣) آل عمران: ١٧٨.
(٤) المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦.
(٥) الإسراء: ١٨.
(٦) المائدة: ٩٣.

أهلُ الشكر ، قال تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1] .

٦ ـ وقد أخبر الله تعالى أن هذا العلمَ والتقدُّم الحضاري ، **لا يساوي شيئاً في ميزان الله** ، فهو والجهلُ عند الله سواء ، لأنه علم لم يدلَّ على الله ، قال الله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ﴾[2] . أما علم الدين فهو العلمُ الحقيقيُّ الذي يعطيه الله من يحب ، فمن أعطاه الله الدينَ فقد أحبه[3] .

٧ ـ ذكر أهلُ العلم أن الله يفتحُ على الكافرين أبواب الخير كلها ، إلا بابين: باب الأمن ، وباب البركة؛ فهما من حَظِّ المؤمنين ، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[4] .

والبركةُ تكون إذا رضي الله ، فإذا رضي الله فليس لبركته نهاية ، والكفار لا يَرْضَى الله عنهم ما داموا مخالفين له .

٨ ـ هذه الحضارةُ وهذا التقدمُ المتأمل فيه ينظر: ماذا **حقق له من راحة البال وانشراح الصدر وطمأنينة القلب؟** ولذلك نسبة الأمراض العصبية والنفسية والعقلية تزدادُ عنده ، وكذلك الانتحار والاغتصاب والجريمة والمسكرات في زيادة ، وعدد المَصَحَّات النفسية والعقلية في ازدياد ، فماذا جلب لهم هذا التقدم؟ وماذا فعلت لهم هذه الحضارة؟

قال الحسنُ البصري واصفاً أهل الكفر والعصيان: (إنهم وإن هَمْلَجَتْ بهم البراذينُ ، وطقطقتْ بهمُ البغالُ؛ فإنَّ ذُلَّ المعصية لا يفارقُ قلوبهم ، أبى الله إلا أن يذلَّ من عصاه)[5] .

فانشراحُ الصدر ، وطمأنينة القلب ، وراحة البال من نصيب المؤمنين ،

---

(١) الأعراف: ٣٢.
(٢) الروم: ٦ ـ ٧.
(٣) أضواء البيان: ٦/٤٧٦ .
(٤) الأنعام: ٨٢.
(٥) الجواب الكافي: ص ٦٧ .

قال الله تعالى مبيناً أن **راحة البال** من نصيب المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾[1] .

وقال تعالى في **طمأنينة القلب**: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[2] .

وقال في **انشراح الصدر**: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾[3] . وأخبر الله تعالى أن الحياة الطيبة ، وهي حياة الرضا عن الله وانشراح الصدر وقرة العين هي من نصيب المؤمنين ، قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾[4] .

قال بعضُ السلف: نحنُ في سعادة لو يعلم بها أبناءُ الملوك لجالدونا عليها بالسيوف. وقال غيره: (أهلُ الليل في ليلهم ألذُّ من أهل الطرب في طربهم). وقال غيره: (مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها ، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: ذكر الله وطاعته)[5] .

وبعكس ذلك نرى أن القرآنَ أخبر أن **الكبتَ والذُّلَّ والضَّنك والعذاب النفسي** ، من نصيب الكافرين ، ولو ملكوا من الدنيا ما ملكوا ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾[6] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾[7] .

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾[8] .

وقال جَلَّ ذِكْره: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي

---

(١) محمد: ٢ .
(٢) الرعد: ٢٨ .
(٣) الزمر: ٢٢ .
(٤) النحل: ٩٧ .
(٥) انظر هذه الأقوال فى إغاثة اللهفان: ١/ ٨٥ .
(٦) المجادلة: ٥ .
(٧) المجادلة: ٢٠ .
(٨) طه: ١٢٤ .

﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[1] .

حكم الافتتان والثناء على حضارة الكافرين :

لا شكَّ أن الإعجابَ والثناء على عقائدهم الدينية كفر مُخْرِج عن المِلَّة ، أما الثناء على تقدُّمهم وحضاراتهم والإعجاب بها ، فله حالان[2] :

١ ـ **أن يكون له سبب**؛ مثل أنه يريد أن يؤلفَ قلوبهم ، ويدعوهم إلى الله عز وجل فيثني عليهم ، فلا بأس بذلك ، مثل ما كان رسولُ الله ﷺ يكني رأس النفاق عبد الله بن أبي ابن سَلُول بأبي الحباب[3] تأليفاً لقلبه ، ودفعاً لشره ، ومثل ما كتب النبي ﷺ إلى هرقل كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام (فوصفه فيه بأنه عظيم الروم)[4] .

٢ ـ **إن كان الإعجاب والثناء بغير سبب** فإنه ممنوعٌ؛ لأنه يدخل السرور على قلوبهم ، ونحن مأمورون بإغاظتهم ، كذلك هذا الثناء هو ذريعةٌ إلى الافتتان بدينه وعقائده ، وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لا تقولوا للمنافق سيدنا ، فإنه إن يكُ سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل**»[5] .

المخرج من هذه الفتنة :

١ ـ **استشعار العزة الإيمانية** وأن نعمةَ الإيمان لا يعادلها شيء ، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[6] .

وقد ربَّى القرآن الأمة المحمدية على استشعار هذه العزة وهذا العلو ، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[7] .

فأنتَ الأعزُّ سنداً ومصدراً وتشريعاً ومنهجاً ، **وهم همجٌ رعاعٌ كالأنعام**

---

(١) التوبة: ٥٥ .

(٢) من شريط: شرح نواقض الإسلام العشرة للشيخ عبد الله السعد (علاَّمة الرياض).

(٣) البخاري: ح٦٢٠٧ ، تحت ترجمة باب كنية المشرك.

(٤) البخاري: ح ١٣٩٦ .

(٥) أبو داود: ح ٤٩٧٧ ، والبخاري في الأدب المفرد: ح ٧٦٠ .

(٦) المنافقون: ٨ .

(٧) آل عمران: ١٣٩ .

بل هم أضلُّ سبيلاً ، لا وزنَ لهم عند الله عز وجل ، ولا قيمة ، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾(١) .

والكون كله يبغضهم ويدعو عليهم ، قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾(٢) . قال بعضُ السلف: اللاعنون هم دواب الأرض تلعن العصاة والكفار من بني آدم يقولون: حرمنا القطر من السماء بشؤم معصية بني آدم(٣) .

وفي الحديث أن جنازةً مَرَّتْ بالنبي ﷺ فقال: **«مستريحٌ ومستراحٌ منه»، قالوا: من المستريح يا رسول الله ومن المستراح منه؟ قال** ﷺ : **«المؤمن يستريح من نصب الدنيا وتعبها ، والمستراح منه الكافر ، تستريحُ منه البلاد والعباد والشجر والدواب»**(٤) .

وقد أخبر الله تعالى أن الكفارَ إذا ماتوا لا تبكي عليهم السماء ولا الأرض ، لأنها لا تحبهم ولا تنسجمُ معهم ، قال تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾(٥) .

وأما المؤمن فإنه يبكي عليه مصلاه في الأرض، ومصعد عمله في السماء، أربعين صباحاً ، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه فى تفسير الآية(٦) .

٢ ـ الأخذ بالأسباب المادية لسبقهم ، والوصول إلى أبعد مما وصلوا إليه طالما لا تعارض الشرع ، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾(٧) .

---

(١) الكهف: ١٠٥ .
(٢) البقرة: ١٥٩ .
(٣) ابن كثير: ٢٠٦/١ .
(٤) مسلم: ح ٩٥٠ .
(٥) الدخان: ٢٩ .
(٦) ابن كثير: ١٤٢/٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما .
(٧) الأنفال: ٦٠ .

وقد خندق النبيﷺ حول المدينة خندقاً في غزوة الأحزاب ، وهي وسيلةٌ فارسية .

بعض مظاهر الإعجاب والافتتان بحضارة الكافرين :

١ ـ **السفر لبلادهم** لمجرد السياحة والنزهة ، وقد أفتت اللجنةُ الدائمةُ للإفتاء بالمملكة العربية السعودية بتحريمه .

٢ ـ **التَّسمِّي بأسمائهم** ، والتشبه بهم في زيِّهم ولباسهم ، وهو ممنوعٌ وأقل أحواله الكراهية ، لحديث النبيِّﷺ : «**مَنْ تَشَبَّه بقومٍ فهو منهم**»[1] .

٣ ـ **الثقة المطلقة بأجهزة إعلامهم** وتصديقهم فيما يقولون من الأخبار ، دون تحرٍّ وتثبت ، ومن العجب أننا نعلمُ أنهم كذبةٌ على الله وعلى أنبياء الله ، فكيف لا يكذبون على خلقه؟!

٤ ـ **تفضيل بضائعهم ومنتجاتهم** على بضائع ومنتجات المسلمين ، وإن كانت في الجودة أحسن؛ افتتاناً بهم؛ وهذا من ضعف الإيمان واليقين ، مع العلم بأنَّ شراءَ بضائعهم ومنتجاتهم يقوِّي اقتصادهم ، وفيه من المحاذير ما فيه .

خامساً : فتنة مولاة الكافرين :

مِنْ أعظم الفتن التي ابتلي بها كثير من الناس ، موالاةُ المؤمنين للكافرين ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [2] .

فالآيةُ تبين أن المجتمعَ الكافر يوالي بعضُه بعضاً ، فإذا لم يواجه الكفار بمجتمع ولاء بعضهم لبعض ، فستقع الفتنة ، وهي اختلاطُ الحق بالباطل والمؤمن بالكافر ، وتنعدمُ كثير من العبادات الكبار كالجهاد والهجرة ،

(١) الإمام أحمد : ح ٥٦٧١ ، أبو داود : ح ٤٠٢٤ .
(٢) الأنفال : ٧٣ .

ونحو ذلك التي هي من مقاصد الشرع والدين تفوت إذا لم يتخذِ المؤمنون وحدهم أولياء بعضهم لبعض[1].

ومعنى الموالاة: المحبة والتقريب والنُّصْرة من أجل الدين، وضدها المعاداةُ، وهي البعدُ والبغض.

والولاءُ والبراء في الله عز وجل هي ملَّةُ إبراهيم عليه السلام والذين معه الذين أمرنا بالاقتداء بهم، حيث يقولُ تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[2].

وهي من دين نبينا محمد ﷺ. قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[3].

وقد جهل كثيرٌ من الناس هذا الأصلَ العظيم، حتى صرنا نسمع بعضَ المنتسبين إلى العلم والدعوة يقول عن النصارى: إنهم إخواننا، ويا لها من كلمة خطيرة.

بعض مظاهر موالاة الكفار:

١ - **التشبه بهم في الملبس والكلام** وغيرهما؛ لأن التشبهَ بهم في الملبس والكلام وغيرهما يدلُّ على محبة المتشبه للمتشبه به، ولهذا قال النبي ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[4]، **فيحرم التشبهُ بالكفار فيما هو من خصائصهم** ومن عاداتهم وعباداتهم وسَمْتهم وأخلاقهم كحلق اللحى، وإطالة الشوارب، والرطانة بلغتهم إلا عند الحاجة، وفي هيئة اللباس، والأكل والشرب، وغير ذلك.

٢ - **الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين** لأجل

---

(١) السعدي: ٣/ ١٩٩.
(٢) الممتحنة: ٤.
(٣) المائدة: ٥١.
(٤) سبق تخريجه: ص ١١٩.

الفرار بالدين ، لأن الهجرةَ بهذا المعنى ، ولهذا الغرض واجبةٌ على المسلم ، وهي باقيةٌ إلى يوم الدين؛ لأن إقامته في بلاد الكفر تدلُّ على موالاة الكافرين ، ومن هنا حرم اللهُ إقامةَ المسلم بين الكفار إذا كان يقدر على الهجرة ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(1) ، فلم يعذر الله المستضعفين عن إقامة الدين بسبب إقامتهم في بلاد الكفار إلا الذين لا يستطيعون الهجرة، وكذلك يعذرُ مَنْ كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ، ونشر الإسلام في بلادهم ، بل قد تستحب إقامته أو تجب.

٣ ـ **ومن مظاهر موالاة الكفار: السفر إلى بلادهم لغرض النزهة** ومتعة النفس ، والسفر إلى بلاد الكفار الأصلُ فيه أنه محرم إلا عند الضرورة أو ما ينزل منزلتها من الحاجيات كالعلاج ، والتجارة ، والتعليم للتخصصات النافعة؛ التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم ، فيجوز بقدر الحاجة ، وإذا انتهت الحاجةُ وَجَبَ الرجوعُ إلى بلاد المسلمين ، ويشترط كذلك لجواز هذا السفر أن يكون المسلم مُظهِراً لدينه ، معتزاً بإسلامه ، مبتعداً عن مواطن الشر ، حذراً من دسائس الأعداء ومكائدهم ، وكذلك يجوزُ السفر ، أو يجب إلى بلادهم إذا كان لأجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام(2).

٤ ـ **ومن مظاهر موالاة الكفار:** إعانتهم ، ومناصرتهم على المسلمين ، ومدحهم ، والذَّب عنهم ، وهذا من نواقضِ الإسلام ، وأسباب الردة ، نعوذ بالله من ذلك.

٥ ـ **ومن مظاهر موالاة الكفار: الاستعانة بهم** ، والثقة بهم ، وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين ، واتخاذهم بِطانةً ومستشارين ، قال

---

(1) النساء: ٩٧ ـ ٩٩.

(2) الإرشاد: ص ٢٨٠ وما بعدها.

الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ ﴾(١) .

٦ ـ ومن مظاهر موالاة الكفار: التأريخ بتأريخهم، خصوصاً التأريخ الذي يُعَبِّر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي، والذي هو عبارةٌ عن ذكرى مولد المسيح عليه السلام، والذي ابتدعوه من أنفسهم، وليس هو من دين المسيح عليه السلام، فاستعمالُ هذا التاريخ فيه مشاركةٌ في إحياء شعارهم وعيدهم، ولتجنب هذا لما أراد الصحابة رضي الله عنهم وَضْع تاريخٍ للمسلمين في عهد عمر رضي الله عنه عدلوا عن تواريخ الكفار وأرَّخوا بهجرة الرسول ﷺ، مما يدلُّ على وجوبِ مخالفة الكفار في هذا وفي غيره؛ مما هو من خصائصهم، والله المستعان.

٧ ـ ومن مظاهر موالاة الكفار: مشاركتهم في أعيادهم، أو مساعدتهم في إقامتها، أو تهنئتهم بمناسبتها، أو حضور إقامتها، وقد فسّر قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾(٢) . أي: ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعيادَ الكفار.

٨ ـ ومن مظاهر موالاة الكفار: مَدْحُهم، والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم، دون نظر إلى عقائدهم الباطلة، ودينهم الفاسد.

٩ ـ ومن مظاهر موالاة الكفار: التسمي بأسمائهم، بحيث يسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء أجنبية، ويتركون أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم، والأسماء المعروفة في مجتمعهم، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**وأحب**

(١) آل عمران: ١١٨ ـ ١٢٠.
(٢) الفرقان: ٧٢.

الأسماء عبد الله وعبد الرحمن»[1] ، وبسبب تغيير الأسماء فقد وُجِد جيلٌ يحمل أسماء غريبة ، مما يسببُ الانفصالَ بين هذا الجيل والأجيال السابقة ، ويقطع التعارفَ بين الأسر التي كانت تعرفُ بأسمائها الخاصة.

١٠ ـ **ومن مظاهر موالاة الكفار: الاستغفار لهم ، والترحم عليهم** ، وقد حرم الله ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ لأن هذا يتضمَّن حبهم ، وتصحيح ما هم عليه[2].

تنبيهان:

أولاً: يخلط كثيرٌ من الناس بين التولي والموالاة والاستعانة بالكافر واستئجاره ، فالتولي مكفر والموالاة غير جائزة ، والاستعانة بالكافر جائزة بشروطها ، فهذه ثلاثُ مسائل:

أما التولي: فهو الذي نزل فيه قولُ الله جلَّ وعلا: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

وضابط التولي: هو نُصْرَةُ الكافر على المسلم وقت حرب بين المسلم والكافر ، قاصداً ظهور الكفار على المسلمين.

فأصل التولي: المحبةُ التامةُ ، أو النصرة للكافر على المسلم ، فمن أحبَّ الكافر لدينه ، فهذا قد تولاه تولياً ، وهذا كفر.

وأما موالاة الكفار ، فهي مودتهم ، ومحبتهم لدنياهم ، وتقديمهم ، ورفعهم ، وهي فسقٌ وليست كفراً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم

---

(١) الترمذي: ح ٢٨٢٣ ، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) الإرشاد: ص ٢٨٠ فما بعدها.

(٣) المائدة: ٥١.

بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ . . إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (١) .

وسبب نزولها أن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى قريش بأن النبيَّ ﷺ سيغزوهم ، فعلم النبيُّ ﷺ ذلك ، وجاء بحاطب وقال له: «**ما حملك على ما صنعت؟**» قال: والله ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله ، أردت أن تكونَ لي عند القوم يدٌ يدفعُ الله بها عن أهلي ومالي»(٢) .

فمن هذا يتبين أن مودة الكافر والميل له لأجل دنياه ليس كفراً؛ إذا كان أصل الإيمان والاطمئنان به حاصلاً لمن كان منه نوعُ موالاة .

وأما الاستعانةُ بالكافر أو استئجاره ، فهذا قال أهل العلم بجوازه في أحوال مختلفة ، يفتي أهلُ العلم في كل حال ، وفى كل واقعة ، بما يرونه يصحُّ أن يُفْتَى به(٣) .

المخرج من هذه الفتنة:

* **بث هذا المفهوم الصحيح ، وهو الولاءُ والبراءُ في الأمة** ، وإعلام الأمة أنه معلمٌ أساسي للإيمان ، حتى عَدَّه بعضُ العلماء شرطاً من شروط لا إله إلا الله ، ولذلك يقول النبيُّ ﷺ : «**أوثق عرا الإيمان الموالاةُ في الله ، والمعاداةُ في الله ، والحبُّ في الله ، والبغضُ في الله**»(٤) . بل لا يكملُ الإيمانُ إلا بهذا المعلم كما جاء عن النَّبيِّ ﷺ : أنه قال: «**مَنْ أحبَّ لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان**»(٥) .

* **تقوية الإيمان في نفوس الأمة** ، وبيان أن هؤلاء الكفار لا يملكون مع الله شيئاً؛ فهم مربوبون ونواصيهم بيد الله ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً

---

(١) الممتحنة: ١ .
(٢) البخاري: ح ٤٣٩٠ .
(٣) الضوابط الشرعية: ص ٥٠ فما بعدها .
(٤) الحاكم: ٢/ ٤٨٠ ، والطبراني في الكبير: ح ١٠٥٣١ ، عن ابن مسعود ، وحسنه الألباني ، وهو في الصحيحة: ح ٩٩٨ .
(٥) الترمذي: ح ٢٥٢١ ، أحمد: ح ٥٦٢٣ ، أبو داود: ح ٤٦٨١ ، وصححه الألباني وهو في السلسلة الصحيحة: ح ٣٨٠ .

ولا ضراً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، يحتاجون إلى من يُدبِّر أمورهم ، ومعرفة أن الأمر كله بيد الله ، ما من شيء إلا عنده خزائنه ، وما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها.

* ولذلك رَدَّ الله على مَنِ اتخذ الكفار أولياء **بحجَّة أنهم يخشون أن تصيبهم دائرة** ، فقال الله تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾[1] . وردَّ الله عز وجل على مَن اتخذهم أولياء بحجَّة أن **عندهم العزة والغلبة** ، فقال اللهُ تعالى لهم: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[2] . وهكذا يتقوى الإيمان ، وتتحرر النفوسُ من هذه الأوهام ، وتجعل ولاءها لله ولرسوله وللمؤمنين ، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3] .

ثانياً: اعلمْ أنَّ موالاة الكافر ظلماتٌ بعضها فوق بعض ، ولا نستطيع أن نحكم عليها جميعاً بحكم واحد ، فمنها ما هو كفر ، ومنها ما هو من كبائر الذنوب ، ومنها ما هو من الصَّغائر[4]:

١ ـ فمنها ما هو كفر محض وانسلاخ من الدين مثل:

أ ـ التولي المطلق.

ب ـ مودتهم لأجل دينهم وسلوكهم ، والرضا بأعمالهم ، وتمني انتصارهم على المسلمين.

ج ـ التشبه بهم إعجاباً ، واستحساناً في قضايا التوحيد والعبادات ، وكذلك التشبه المطلق بهم.

٢ ـ ومنها ما هو كبيرة من الكبائر ، يكفر إذا استحلَّها مثل:

أ ـ اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين.

---

(١) المائدة: ٥٢.
(٢) النساء: ١٣٩.
(٣) المنافقون: ٨.
(٤) الولاء والعداء: ص ٦٨.

ب ـ مداهنتهم والتذلُّل لهم ، وملاينة الحربيين منهم.

ج ـ المبالغة في تعظيمهم ، ورفع شأنهم.

د ـ الدخول في سلطانهم بدون حاجة ، ولا اقتضاء مصلحة عامة.

هـ ـ مشاركتهم في أعمالهم الدينية وطقوسهم؛ على سبيل المجاملة لا الاعتقاد ، والاستغفار لموتاهم.

٣ ـ ومنها ماهو أقل من ذلك ، نحو:

أ ـ مدحهم والثناء عليهم بدون مسوغ شرعي بغضِّ النظر عن دينهم.

ب ـ العمل لديهم مع وجود الإهانة والاحتقار.

٤ ـ وهناك أشياء مباحة لا تُـعَـدُّ موالاة:

أ ـ معاملتهم بالحسنة واللطف لا سيما المسالمين منهم.

ب ـ الصدقة على محتاجيهم.

ج ـ الإهداء إليهم وقبول هديتهم.

د ـ تعزيتهم في مصائبهم على الوجه المشروع.

هـ ـ رد التحية عليهم ، ورد السلام إذا سلموا تسليماً صحيحاً.

و ـ معاملتهم في العقود المالية المباحة.

ز ـ تأجيرهم المساكن والدور بشرط ألا تتخذ بؤرةً للفساد.

ح ـ السفر إليهم لأغراض مباحة ، مع القدرة على إظهار الدين.

ط ـ الإقامة عندهم لغرض صحيح ، مع القدرة على إظهار الدين.

ي ـ شمولهم بالرحمة العامة؛ كما في الحديث الصحيح: «**لا يرحمُ اللهُ من لا يرحمُ الناس**»[1].

ف ـ ائتمان بعضهم على بعض الأمور العادية ، وهذه وما أشبهها كلها مباحة ، بشرط ألا تتجاوز الحدود والقيود ، التي وُضِعَتْ لكلٍّ منها.

---

(١) مسلم: ح ٢٣١٩.

وبهذا يتبين لنا أن القولَ بإطلاق تحريم الموالاة؛ بحيث يشملُ الصور المباحة التي ذكرناها ، أنه أمر يفقدُ الدقة والموضوعية ، وكذلك التساهل في العلاقة مع غير المسلم؛ فإنه يخلُّ بالعقيدة[1] .

سادساً: فتنة الضراء:

هذه الفتنةُ ألصقُ بفتنة الشبهات ، لأنَّ الشيطانَ يُلَبِّسُ على المكلَّف ويُشكِّكه في حكمة الله في هذا البلاء ، ويحمله على الجزع والسخط والتشكي من القضاء والقدر ، وهذا يتعارضُ مع أصلٍ من أصول الإيمان؛ ألا وهو الإيمانُ بالقضاء والقدر ، حلوه ومره ، وخيره وشره.

فالدنيا دار المصائب والشرور ، وليس فيها لذةٌ على الحقيقة ، إلا وهي مشوبة بالكدر ، فما يُظَن في الدنيا أنه شرابٌ فهو سراب ، وعمارتها وإن حسنت صورتها خراب ، والعجب كل العجب ممن يده في سلة الأفاعي كيف ينكر اللسع ، وأعجب منه من يطلب من المطبوع على الضُّر النفع ، والدنيا ما صَفَتْ لأحد ، ولو صفتْ لأحد لَصَفَتْ لرسل الله وأنبيائه ، ولكن هم أشدُّ الناس ابتلاء ، كما جاء في الحديث: «**أنه ﷺ سئل أي الناس أشد بلاء؟ فقال: الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يُبتلى الرجلُ على حسب دينه ، فإن كان في دينه صُلْباً اشتد بلاؤه** ، وإن كان في دينه رقة ، **ابتلاه الله على حسب دينه ، فما يبرح البلاءُ بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة**»[2] .

وقد قال اللهُ تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3] .

قال ابنُ كثير في تفسير الآية: (أخبرنا الله أنه يبتلي عباده ، أي: يختبرهم ، ويمتحنهم ، فمن صبر أثابه ، ومن تسخط أحلَّ به عقابه)[4] .

---

(١) انظر هذا المبحث في كتاب الولاء والعداء: ص٦٨ ، فما بعدها.
(٢) الترمذي: ح ٢٣٩٨ ، وابن ماجه: ح ٤٠٢٣.
(٣) البقرة: ١٥٥.
(٤) ابن كثير: ١/ ٢٥٣.

والناسُ أمام فتنةِ الضَّرَّاء على أربعة مراتب:

١ ـ **التسخط**: وهي **إما أن يكونَ بالقلب** كأن يسخط على ما قدر الله عليه، وقد يؤدي به إلى الكفر، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾[١].

ويكون بالجوارح، كاللطم، وشق الجيوب، ونتف الشعور، وغير ذلك، وكله مُحَرَّم.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**ليس منا مَنْ ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوىٰ الجاهلية**»[٢].

٢ ـ الصبر: وهو كما قال الشاعر:

الصَّبـرُ مثـلُ اسمـه مُـرٌّ مـذاقتـه   لكـن عـواقبـه أحلـى مـن العَسَـلِ

وقد يصبرُ العبدُ، ولكن الشيء ثقيلٌ عليه، ويكرهه ولكن يتحمَّله، وليس وقوعه وعدمه سواء بل يكرهه، لكن إيمانه يحميه من السخط.

٣ ـ الرضا: وهو أعلى من ذلك، وهو أن يكونَ الأمران عنده سواء، لأنه رجلٌ يسبح في القضاء والقدر، يرضى به في كلِّ الأحوال، فالرضا هو بابُ الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين، وأهل الرضا تارة يلاحظون قدر الله وخيرته لعبده في البلاء، وأنه غير مُتَّهم في قضائه، وتارة يلاحظون عظمته وجلاله وكماله، فيستغرقون في مشاهدة ذلك، حتى لا يشعروا بالألم.

٤ ـ الشكر: هو أعلى المراتب، فإذا عرف العبد أنَّ المصيبةَ سَبَبٌ لتكفير السيئات، وربما لزيادة الحسنات، شكر الله على ذلك[٣].

فعن أنس رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبده خيراً،**

---

(١) الحج: ١١.

(٢) البخاري: ١٢٩٧.

(٣) القول المفيد لابن عثيمين: ٢/٢١٥.

عجل له العقوبة في الدنيا ، واذا أراد بعبده شراً ، أمسك عنه بذنبه ، حتى يوافى به يوم القيامة»[١] .

وثبت في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**إنَّ عِظَم الجزاء من عِظَم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط»**[٢] .

وثبت في الحديث أيضاً أن النبيَّ ﷺ قال: «**ما يصيب المؤمنَ من هَمٍّ ، ولا غَمٍّ ، ولا شيء إلا كَفَّر الله بها . . . حتى الشوكة يشاكها»**[٣] .

المخرج من هذه الفتنة[٤]:

مما يعين العبدَ على الصبر على فتنة الضراء أمورٌ عديدة:

أحدها: شهود جزائها ، وثوابها.

الثاني: شهود تكفيرها للسيئات ، ومحوها لها.

الثالث: شهود القدر السابق الجاري بها ، وأنها مقدرةٌ في أم الكتاب قبل أن تُخْلَق ، فلا بد منها ، فجزعُه لا يزيده إلا بلاء.

الرابع: شهوده حق الله عليه في تلك البلوى ، وواجبه فيها الصبر بلا خلافٍ بين الأمة ، أو الصبر والرضا على أحد القولين ، فهو مأمورٌ بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى، فلا بُدَّ له منه، وإلا تضاعفتْ عليه.

الخامس: شهود ترتُّبها عليه بذنبه ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[٥] . فهذا عامٌّ في كلِّ مصيبة دقيقة وجليلة ، فشغلهُ شهودُ هذا السبب بالاستغفار؛ الذي هو أعظم الأسباب في

---

(١) الترمذي: ح ٢٣٩٦ ، وقال: حسن غريب.
(٢) الترمذي: ح ٢٣٧١ ،.وقال: حسن غريب.
(٣) مسلم: ح ١٩٩٢.
(٤) طريق الهجرتين: ص ٢٧٥ وما بعدها.
(٥) الشورى: ٣٠.

دفع تلك المصيبة ، قال عليُّ بن أبي طالب: ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا رفع بلاء إلا بتوبة.

السادس: أن يعلمَ أنَّ اللهَ قد ارتضاها له ، واختارها ، وقسمها ، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه ، فإن لم يوفِ قدر المقام حقه فهو لضعفه ، فلينزل إلى مقام الصبر عليها ، فإنْ نزل عنه نزل إلى مقام الظلم ، وتعدَّى الحق.

السابع: أن يعلمَ أن هذه المصيبة هي دواءٌ نافع ، ساقه إليه الطبيبُ العليم بمصلحته ، الرحيم به ، فليصبر على تجرعه ، ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه ، فيذهب نفعه باطلاً.

الثامن: أن يعلمَ أن في عُقْبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم تحصلْ بدونه ، فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته؛ فلينظرْ إلى عاقبته ، وحسن تأثيره. قال الله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] . وقال الله تعالى: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[2] . وفي مثل هذا قال القائل:

لعلَّ عَتْبَكَ محمودٌ عواقِبُهُ ... ورُبَّما صَحَّتِ الأجسامُ بالعِلَلِ

التاسع: أن يعلمَ أن المصيبةَ ما جاءت لتهلكه وتقتله ، وإنما جاءت لتمتحنَ صبره وتبتليه ، فيتبين حينئذٍ هل يصلحُ لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟ فإن ثبت اصطفاه ، واجتباه ، وخلع عليه خلع الإكرام ، وألبسه ملابس الفضل ، وجعل أولياءه وحزبه خدماً له ، وعوناً له ، وإن انقلب على وجهه ، ونكص على عقبيه طرد ، وصفع قفاه ، وأقصي ، وتضاعفت عليه المصيبة ، وهو لا يشعرُ في الحال بتضاعفها وزيادتها ، ولكن سيعلم بعد ذلك بأن المصيبةَ في حقه صارت مصائب ، كما يعلم الصابرُ أن المصيبة في حقه صارت نعماً عديدة ، وما بين هاتين

---

(١) البقرة: ٢١٦.
(٢) النساء: ١٩.

المنزلتين المتباينتين إلا صَبْرُ ساعة ، وتشجيع القلب في تلك الساعة. والمصيبةُ لا بُدَّ أن تقلع عن هذا وهذا ، ولكن تقلع عن هذا بأنواع الكرامات والخيرات ، وعن الآخر بالحرمان والخذلان؛ لأنها تقدير العزيز العليم ، وفضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم.

العاشر: أن يعلمَ أن الله يُربِّي عبدَه على السراء والضراء ، والنعمة والبلاء ، فيستخرج من عبوديته في جميع الأحوال ، فإن العبدَ على الحقيقة مَنْ قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال ، وأما عَبْدُ السراء والعافية الذي يعبدُ الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه ، فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته ، فلا ريبَ أن الإيمانَ الذي يثبت على محل الابتلاء والعافية هو الإيمانُ النافع وقت الحاجة ، وأما إيمانُ العافية فلا يكادُ يصحب العبد ، ويبلغه منازل المؤمنين ، وإنما يصحبه إيمانٌ يثبت على البلاء والعافية. فالابتلاءُ كِيرُ العبد ، ومَحَكُّ إيمانه ، فإما أن يخرج تبراً أحمر ، وإما أن يخرجَ زغلاً محضاً ، وإما أن يخرجَ فيه مادتان ذهبية ونحاسية ، فلا يزال به البلاءُ حتى يخرج المادة النحاسية من ذهبه ، ويبقى ذهباً خالصاً ، فلو علم العبدُ أن نعمة الله عليه في البلاء ليس بدون نعمة الله عليه في العافية لشغل قلبه بشكره ولسانه ، اللهمَّ أعنِّي على ذكرك وشكرك وحُسْن عبادتك ، فهذه الأسبابُ ونحوها تثمر الصبر على البلاء ، فإن قويتْ أثمرت الرضا والشكر[1].

* ومما يتسلَّى به المصاب أن يعلم أن المصيبةَ تفتحُ عليه أبواباً من العبادات الظاهرة والباطنة ، كالدعاء والإخلاص والإنابة ، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[2][3].

* ومما يتسلَّى به المصابُ أن يعلم أن المصائب والشدة تمنع من الفخر والخيلاء والتكبر والتجبر. قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ

(١) طريق الهجرتين: ص ٢٧٥ ، فما بعدها.
(٢) العنكبوت: ٦٥.
(٣) تسلية المصاب: ص ٢٥ وما بعدها.

ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[1] . وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2] . فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتسلَّى عبده ـ في كل حين ـ بأنواع من أدوية المصائب، تكون حميةً من هذه الأدواء، وحفظاً لصحة العبودية، واستفراغاً من المواد الفاسدة المهلكة، فسبحان من يرحم ببلائه.

* ومما يتسلَّى به المصابُ عن ألم المصيبة، أن يتدبر عِزَّ الربوبية، وذلَّ العبودية، فيعلم أن الله عز وجل يبتلي من شاء من عباده بما شاء من ألوان البلاء، لا رادَّ لقضائه، ولا معقِّبَ لحكمه، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[3] . فالله عز وجل له الملكُ كله، وله الحمدُ كله، وقد أذل الخَلْقَ وقهرهم، كما قال تعالى:

﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[4] . وهذا من تمام الإيمان بربوبيته عز وجل، ومشيئته النافذة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ويتدبر العبدُ كذلك ذلَّ العبودية، وكيف أنه عَبْدٌ مدبَّر مقهور، ناصيته بيد غيره، يتصرف فيه مالكه كيف يشاء، ويبتليه بما شاء، وليس له إلا الرضا والتسليم، بل والمحبة والإيمان الكامل بكمال العدل والحكمة، وإليه الإشارةُ بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[5] . ولا شك أن تدبُّر هذه المعاني يخففُ من ألم المصيبة، ويفتحُ على العبد أبواباً من المعرفة بالله عز وجل، والتسليم له، وكذلك المعرفةُ بنقص العبد وفقره وذلِّه، والأول يُورِثُ كمال الحب، والثاني يورث تمامَ الذل، وهما شِقَّا العبادة، كمال الحب مع تمام الذل، كما يقال: العارف يخرجُ من الدنيا وما قضى وطره من شيئين: ثناؤه على الله، وبكاؤه على نفسه.

---

(١) العلق: ٦ ـ ٧.

(٢) الشورى: ٢٧.

(٣) الأنبياء: ٢٣.

(٤) هود: ٥٦.

(٥) البقرة: ١٥٦.

* ومما يتسلى به المصاب أن يتذكَّرَ ما في البلاء من لطائف وفوائد:

ـ فمنها: تذكير العبد بذنوبه، فربما تاب منها إلى الله عز وجل. قال بعضُ السلف: إن العبد ليمرضُ فيذكر ذنوبه، فيخرج منه مثلُ رأس الذباب من خشية الله، فيغفر له.

ـ ومنها: زوال قسوة القلوب، وحدوث رقَّتها، وانكسار العبد لله عز وجل، وذلك أحبُّ إلى الله من كثيرٍ من طاعات الطائعين.

ـ ومنها: أنها توجب من العبد الرجوع إلى الله عز وجل، والوقوف ببابه، والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد الابتلاء. وفي بعض الآثار: (إن الله ليبتلي العبدَ وهو يحبه ليسمعَ تضرعه، وكان بعض السلف إذا فُتِحَ له في الدعاء عند الشدائد لم يحب تعجيل إجابته خشية أن يقطع عما فُتِحَ له)[1].

ـ ومنها: أن البلاءَ يقطعُ قلب المؤمن عن الالتفات إلى المخلوق، ويوجبُ له الإقبال على الخالق وحده.

ـ وقد حكى الله عن المشركين إخلاص الدعاء له عند الشدائد، فكيف بالمؤمن، فالبلاءُ يُوجِبُ للعبد تحقيقَ التوحيد لقلبه، وذلك أعلى المقامات، وأشرف الدرجات.

ـ ومنها: رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم، فإن العبدَ إذا أحسَّ بألم الابتلاء رقَّ قلبه لأهل البلاء، ورحمهم.

ـ ومنها: معرفة قدر نعمة العافية؛ فإن النعم لا تعرف أقدارها إلا بعد فقدها فلا يعرف نعمة العافية إلا من ذاق مرارة المرض.

ـ ومنها: معرفة قدر الثواب؛ الذي أعدَّه الله للصابرين. وأهل العافية يتمنون أن لو قُرِضَتْ جلودهم بالمقاريض لما يَرَوْنَ من ثواب أهل البلاء يوم القيامة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يزالُ البلاء**

---

(١) الطبراني في الأوسط: ح ٨٣٦٢، والبيهقي في شعب الإيمان: ح ١٣٥٣.

بالمؤمن في نفسه وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة»[(١)(٢)].

سابعاً: فتنة السراء:

وإلحاقاً لفتنة الضراء، لا بُدَّ أن نذكرَ شيئاً عن فتنة السراء، فهما قسيمان، وإن كُنَّا قد ذكرنا بعض أنواع فتنة السراء قبل ذلك، لكن نضيف هاهنا ما لم نذكره هنالك. يقول الله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[(٤)].

وقد خاف النبيُّ ﷺ على أمته فتنة السراء، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لأنا لفتنة السَّراء أخوفُ عليكم من فتنة الضراء، إنكم قد ابتليتم بالضَّراء فصبرتم، وإن الدنيا حلوةٌ خَضِرة»**[(٥)].

وعن عمرو بن عوف رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال للصحابة لما جاء مال البحرين: **«أبشروا وأمِّلوا ما يسركم، فو الله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تُبْسَطَ الدنيا عليكم، كما بُسِطَتْ على مَنْ كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»**[(٦)].

وقد خاف **الصحابةُ لما بُسِطَتْ عليهم الدنيا** أن يكون قد عُجِّلَتْ لهم طيباتهم في الدنيا، فعن عبد الرحمن بن عوف أنه كان صائماً، فأُتي بطعام فقال: قُتِلَ مُصْعَب بن عُمَيْر، وهو خير مني، فلم يوجد ما يكفن به إلا بُرْدة إن غُطي به رأسه بدت رجلاه، وإن غُطِّي بها رجلاه بدا رأسه، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا، قد خشينا

---

(١) الترمذي: ٢٣٩٩.
(٢) وانظر هذا المبحث في كتاب تسلية المصاب: ص ٢٥ وما بعدها.
(٣) الأعراف: ١٦٨.
(٤) الأنعام: ٤٤.
(٥) ابن ماجه: ح ٤١٥٠، وحسنه المنذري في الترغيب: ٤/ ٨٣.
(٦) البخاري: ح ٣١٥٨، ومسلم: ح ٧٣٥.

أن تكون حسناتنا عُجِّلَتْ لنا ، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام[1] .

وعن خَبَّاب بن الأَرَتِّ قال: (هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً ، ثم مصعب قُتل يوم أحد فلم نجدْ له ما نكفنه به ، إلا بردة إذا غطينا بها رأسه خرجتْ رجلاه ، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه ، فأمر النبيُّ ﷺ أن نغطي رأسه، وأن نجعلَ على رجليه من الإذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها)[2] .

وقد خاف الصَّحابةُ من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[3] .

قال ابنُ كثير في تفسير الآية: (تورَّع أميرُ المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ عن كثير من الطيبات من المآكل والمشارب ، وقال: إني أخاف أن أكون كالذي قال الله لهم، ووبَّخهم ، وقَرَّعهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾[4] .

وعن زيد بن أسلم: استسقى عمرُ رضي الله عنه ، فجيء إليه بماء قد شِيْب بعسل ، فقال: إنه لطيبٌ ، لكني أسمع الله نعى على أقوام شهواتهم فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ فأخاف أن تكون حسناتنا عُجِّلَتْ لنا؛ ولم يشربه[5] .

ورأى عمر رضي الله عنه جابر رضي الله عنه ومعه لحم ، فقال عمر: ما هذا يا جابر؟ قال: اشتهتْ نفسي اللحم ، فقال عمر: ما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لجاره وابن عمه ، فأين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾[6] .

قال الحافظ المنذري في الموضع السابق: هذه الآية وعيدٌ من الله

---

(١) البخاري: ح ١٢٧٥ .
(٢) البخاري: ح ٣٨٩٧ ، ومسلم: ٩٤٠ .
(٣) الأحقاف: ٢٠ .
(٤) ابن كثير: ٤/ ١٦٠ .
(٥) انظر الترغيب والترهيب: ٤/ ١٠٦ ، وعزاه الى رزين .
(٦) نفس المرجع ، وعزاه إلى مالك في الموطأ: ٣/ ٧٦ .

تعالى ، وإن كان للكفار الذين يقدمون على الطيبات المحظورة ، فقد يخشى مثله على المنهمكين في الطيبات المباحة ، فلا ينبغي أن تعود النفس بما تميلُ به إلى الشره ، ثم يصعب تداركها ، ولترضى من أول الأمر على السداد؛ فإن ذلك أهونُ من أن تتعوَّد على الترف ، ثم تجتهد في إعادتها إلى الصلاح فلا تستطيع.

وقد حَذَّر النبيُّ ﷺ من الانغماس في الشبع ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تجشأ رجلٌ عند رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : «**كُفَّ عنا جشاءك ، فإن أكثرهم شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة**»(١). ذلك لأنه إذا شبعت البطونُ سمنت الأبدان ، وضعفت القلوب ، وجمحت الشهوات.

ومن فتنة السراء ، أن الغِنى يحملُ الإنسان على الطغيان ، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾(٢).

ومن فتنة السراء ، أن يشتغلَ العبدُ عن طاعة ربه ، ويركن إلى الدنيا ، ويخلد إليها ، ويدع الجهاد في سبيل الله ، قال الله تعالى: ﴿ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾(٣).

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**أنتم اليوم خير أم إذا غُدِي على أحدكم بجفنة من خبز ولحم وريح عليه بأخرى ، وغدا في حلة وراح في أخرى ، وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة**» ، قلنا: بل نحن يومئذ خير نتفرغ للعبادة ، فقال: «**بل أنتم اليوم خير**»(٤).

ويوم أن تخلد الأمةُ إلى السراء ، وتنشغلُ به يسلط الله عليها شرارها ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**إذا**

---

(١) الترمذي: ح ٣٤٧٨ ، وقال: حديث غريب.

(٢) العلق: ٦ ـ ٧.

(٣) التوبة: ٣٨.

(٤) الترمذي: ح/٢٤٧٣ ، وأبو يعلى في مسنده ورجاله ثقات ، إلا راوٍ لم يسمَّ.

مشت أمتي المطيطاء[1] ، وخدمتها أبناء الملوك وفارس والروم ، سلّط شرارها على خيارها»[2] .

فليحذرِ الإنسانُ التوسُّعَ في نعمة السراء. قال معاذ بن جبل: (ألا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، ألا رب مبيض لثيابه وهو مدنس لقلبه)[3]. وقد أوصى النبي ﷺ معاذاً حين ودعه لليمن بوصية ليت الأمة تعمل بها حتى لا تقع في فتنة السراء! قال ﷺ : «**إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين**»[4] .

وقد أمر الشارعُ بالتقلل من الدنيا وزينتها ، فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق؛ حتى يخيِّره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها**»[5] .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ ذَكَر أصحابه عنده الدنيا ، فقال ﷺ : «**ألا تسمعون ، ألا تسمعون ؟! إن البذاذةَ من الإيمان**»[6]. والبذاذةُ هي التواضعُ في اللباس برثاثة الهيئة ، وترك الزينة ، والرضا بالدون من الثياب.

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أن المتخففين من الدنيا هم الناجون من عقبة الحساب يوم القيامة ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: «**إن بين أيديكم عقبة كؤوداً لا ينجو منها إلا كل متخفف**»[7] .

وإذا أحب اللهُ عبداً قلل له حظه من الدنيا ، حتى لا يفتن بزينتها. فعن

---

(١) سبق تفسيرها: ص ٢٧.
(٢) الترمذي: ح ٧٥٠٣ ، وحسنه الألباني.
(٣) الداء والدواء: ص ١٢١.
(٤) أحمد في مسنده: ٥/ ٢٢٤ ، قال المنذري في الترغيب: رواته ثقات: ٣/ ٧٣.
(٥) الترمذي: ح٢٤٨١ ، وقال: حسن.
(٦) أبو داود: ح ٤١٦١ ، وحسنه المنذري: ٣/ ٣٢.
(٧) رواه البزار: ح ٦٩٦ ، وحسنه المنذري في الترغيب: ٤/ ٣١.

أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه**»[1].

وقد اختار النبيُّ ﷺ الكفافَ، ولم يختر الغِنى خوفاً على أمته من فتنته، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**عَرَضَ علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، قلت: لا يارب، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فإذا جعتُ تضرعتُ إليك وذكرتك، وإذا شبعتُ شكرتك وحمدتك**»[2].

ومن دعاء النبي ﷺ: «**اللهم اجعلْ رِزْقَ آل محمد قوتاً**»، وفي رواية: «**كفافاً**»[3].

المخرج من هذه الفتنة:

١ ـ الرضا بالكفاف:

وهو ما يكفي العبدَ في طعامه ولباسه ومسكنه، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «**ليس لابن آدم حَقٌّ في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز والماء**»[4]. أي: اليابس.

وقد جاء رجلٌ إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يشكو إليه الفقر، (فقال: هل لك زوجة؟ قال: نعم، قال: هل لك بيت، قال: نعم، قال: فاذهبْ فأنت من الأغنياء، ثم قال: هل لك دابة، قال: نعم، قال: اذهبْ أنت من الملوك)[5].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن أغبطَ أوليائي عندي لمؤمن خفيفُ الحاذ، ذو حَظٍّ من صلاته، أحسنَ عبادة ربه وأطاعه في السر، وكان غامضاً، لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً، فصبر**

---

(١) الحاكم: ٤/٢٠٨، وصححه ووافقه الذهبي.
(٢) الترمذي: ح ٢٣٤٧، وقال: حسن.
(٣) البخاري: ح ٦٤٦٠، ومسلم: ح ١٥٥.
(٤) الترمذي: ح ٢٣٤٢، وقال: حسن.
(٥) رواه مسلم: ح ٢٩٧٩ موقوفاً.

على ذلك» ، ثم نقر بيده ، فقال: **«عجلت منيته ، قلَّت بواكيه ، قلّ تُراثه»**[1] . أي: ماله.

وخير الذِّكْر الخفي ، وخيرُ الرزق مايكفي[2] . فعن عبيد الله بن محصن الخطمي أن النبي ﷺ قال: **«من أصبح آمناً في سِرْبه ، مُعافىً في بدنه ، عنده قوتُ يومه ، فكأنما حِيْزَتْ له الدنيا بحذافيرها»**[3] .

والذي يعين على أَخْذ الكفاف من الدنيا أمور منها:

ـ العلم أن الدنيا والانغماس في نعمتها تُنْقِص من درجاته يوم القيامة ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (لا يصيب عبدٌ من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته يوم القيامة؛ وإن كان عليه كريماً)[4] .

ـ وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«ما من سرية تغزو في سبيل الله فتغنم إلا تعجَّلت ثلثي أجرها يوم القيامة ، وإذا لم تغنم استوفتْ أجرها يوم القيامة»**[5] .

ويشهد لهذا المعنى أن الله حَرَّم على عباده أشياءَ من فُضُول الدنيا وزينتها حيث لم يكونوا محتاجين إليها ، وادَّخره لهم عنده يوم القيامة.

وقد أشار القرآنُ إلى هذا المعنى فقال: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[6][7] . وقال الفضيل: إن شئتَ استقلَّ من الدنيا وإن شئت استكثرْ منها ، فإنما تأخذُ من كيسك). وروى الإمام أحمد في كتاب

---

(١) الترمذي: ح ٢٣٤٧ ، وقال: حسن.
(٢) حديث رواه أحمد: ١/١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٨٧ ، وابن حبان في صحيحه رقم: ٨٠٦.
(٣) الترمذي: ح ٢٣٤٨ ، وقال: حسن غريب.
(٤) ابن أبي الدنيا ، وحسنه المنذري: ٤/٦١.
(٥) مسلم: ١٩٠٦.
(٦) الزخرف: ٣٣ ـ ٣٥.
(٧) جامع العلوم والحكم: ١/٣٥٨.

الزهد أن رجلاً دخل على معاوية فكساه، فخرج، فمرَّ على أبي مسعود الأنصاري ورجل آخر من الصحابة، فقال أحدهما: خذها من حسناتكم، وقال الآخر: خذها من طيباتك. وبإسناده عن عمر أنه قال: لولا أن تنقصَ من حسناتي لخالطتكم في ليِّن العيش، لكني سمعتُ الله عيَّر أقواماً فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[1].

ـ كثرة التنعم في الدنيا فيه كثرة الحساب يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أول ما يُحاسَبُ عليه العبد يوم القيامة أن يقال له: ألم أصحَّ لك جسمك، وأرويك من الماء البارد**»[2].

وقد بكى كثيرٌ من الصحابة عند الموت، منهم سلمان الفارسي، وأبو هاشم بن عتبة، وغيرهم، كلهم يقولون: (عهد إلينا رسولُ الله ﷺ أنه يكفي أحدنا من الدنيا كزاد الراكب، وما أرانا إلا قد تعدَّينا)[3].

٢ ـ الشكـــر:

قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[4].

وبالشكر تتمُّ النعمةُ على المكلَّف، ولا يُحاسَبُ عليها يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5].

وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ قال: «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها**»[6].

---

(١) الأحقاف: ٢٠.

(٢) ابن حبان: ح ٧٣٦٤، والحاكم: ٤/ ١٣٨، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) الترمذي: ح ٢٣٢٨، والنسائي: ٨/ ٢١٨، وابن ماجه: ح ٤١٠٣، وابن حبان: ح ٦٦٨، وانظر الترغيب والترهيب: ٤/ ١٢٠.

(٤) البقرة: ١٧٢.

(٥) المائدة: ٩٣.

(٦) مسلم: ح ٢٧٣٤.

والشكر له أركانٌ ثلاثة:

أ ـ بالقلب:

وهو الاعترافُ بالنعمة باطناً؛ لأن الله تعالى هو الذي أسداها، ولولاه ما جاءت، لا كما يقول الجاحدون لنعم الله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾[1].

ب ـ اللسان:

الثناءُ على المنعم بنعمته، والتحدث بها لا فخراً وبطراً، ولكن شكراً وتواضعاً واعترافاً بفضل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾[2].

ج ـ الجوارح:

استخدام النعمة في طاعة المنعم تبارك وتعالى وعدم معصية الله بها، قال الله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[3] حيث جعل الشكر عملاً.

٣ ـ أخذ النعمة بحق:

أي: من حلال وإنفاقها فيما أمر به الشارع: فعن عمرة بن الحارث أن النبي ﷺ قال: «**الدنيا خضرةٌ حُلْوةٌ، فمن أخذها بحقها بارك الله له فيها، ورب مُتَخَوِّض في مال الله له النار يوم القيامة**»[4].

* * *

---

(١) القصص: ٧٨.

(٢) الضحى: ١١.

(٣) سبأ: ١٣.

(٤) الطبراني، وقال الهيثمي: حسن، انظر مجمع الزوائد: ١٠/٤٢٩: ح ١٧٨٠٥.

المطلب الثالث

فتن أشراط الساعة

أخفى الله علمَ الساعة عن الناس ، ولكنه أعلمهم بأمارات وعلامات ، تدلُّ على قرب وقوعها ، وقد سَمَّى القرآنُ هذه الأمارات بأشراط الساعة ، قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾(1) .

و(الشَّرَطُ) بفتحتين للعلامة ، وأشراطها: علاماتها(2). وفي الفتح: المراد بالأشراط العلامات التي يعقبها قيام الساعة(3). وقد أطلق بعض العلماء على هذه الأشراط اسم الآيات.

فائدة البحث في أشراط الساعة(4):

١ـ الإيمان بهذه الأخبار إن صَحَّتْ هو من الإيمان بالله ورسوله ، إذ لا يمكن أن نؤمن بالله ورسوله ، ثم لا نُصدِّق أخبارهما: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾(5) .

٢ـ وقوع تلك المغيبات على النحو التي جاءت به النصوص يزيدُ العبدَ إيماناً ، ويقيناً بربه عزّ وجل ورسوله ﷺ .

٣ ـ تثبيت الإيمان بيوم القيامة ، لأنَّ هذه العلامات من الغيب الذي

---

(١) محمد: ١٨.

(٢) مختار الصحاح: ١/ ٣٢٤.

(٣) الفتح: ١٣/ ٧٩.

(٤) انظر كتاب القيامة الصغرى: ص ١٢٨ وما بعدها.

(٥) البقرة: ٢.

أخبرنا الله ورسوله به ، فإذا وقعتْ هذه الأشراطُ كما جاءت به النصوص ، دلَّ على صدق كل الأخبار ، فالكلُّ من عند الله.

٤ ـ في هذه الأخبار بيانٌ من النبي ﷺ للأمة **كيف تتصرف عند حصول المحنة والفتنة؟** وهذه التوجيهاتُ النبويةُ لها دورٌ كبيرٌ في ترشيد المسلمين ، فمن هذه الأخبار تبشير عثمان بالجنة على بلوى تصيبه ، وإخبار عمار ـ رضي الله عنه ـ بأنه تقتله الفئة الباغية. وأمره ﷺ لأبي ذر أن يعتزل الفتنة ، وأمره ﷺ للمسلمين ألا يأخذوا شيئاً من جبل الذهب الذي ينحسر عنه الفرات في آخر الزمان ، وإخباره ﷺ عن الدجال ، وشبهاته ، وكيفية التعامل معه.

٥ ـ هناك وقائع تقعُ في آخر الزمان يحتاجُ المسلمون **إلى بيان الحكم الشرعي فيها ، مثل مكث الدجال** أربعين يوماً ، يوماً كسنة ، ويوماً كشهر ، ويوماً كأسبوع ، وبقية أيامه كأيامنا هذه ، فسأل الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ : هل تكفي صلاة اليوم في اليوم الطويل؟ فقال ﷺ : «**لا اقدروا له قدره**» وهكذا لما ينزل عيسى عليه السلام آخر الزمان ، أخبر النبي ﷺ أنه لا يأخذ الجزيةَ مع أنه يحكمُ بشرعة محمد ﷺ مما يدلُّ على أن أخذ الجزية في شرعنا نهايته بنزول عيسى عليه السلام ، فهذه الأحكامُ تعلَّمناها من خلال دراسة أشراط الساعة.

٦ـ **النفس البشرية التي تتطلع إلى معرفة الوقائع والأحداث** التي قد تحدث للجنس الإنساني ، أو تحدث للأمة التي هو منها ، فلو ترك بدون بيان للجأ إلى معرفتها عن طريق السحرة والمشعوذين ، فجاء الله بالحق المبين الذي يغني ، ويكفي ، ويشفي.

أقسام أشراط الساعة[1] :

تنقسم إلى قسمين:

١ ـ أشراط صغرى: وهي التي تتقدَّم بأزمان متطاولة ، وتكون من النوع

(١) القيامة الصغرى: ص ١٣٧ ، وما بعدها.

المعتاد ، كقبض العلم ، وظهور الجهل ، وشرب الخمر ، وقد يظهر بعضُها مصاحباً للأشراط الكبرى أو بعدها.

٢ ـ أشراط كبرى: وهي الأمورُ العظامُ التي تظهر قرب قيام الساعة ، وتكون غير معتادة كظهور الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام وغير ذلك.

والساعة معناها لغةً هي الجزءُ من أجزاء الليل والنهار ، وجمعها ساعات ، وفي الاصطلاح: الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، وسميت بذلك لسرعة الحساب فيها ، أو لأنها تفجأ الناس في ساعة ، فيموت الخلق كلهم في صيحة واحدة[١].

والساعة تُطْلَقُ على ثلاثة معانٍ[٢]:

١ ـ الساعة الصغرى:

وهي موتُ الإنسان ، فمن مات فقد قامت قيامته لدخوله في عالم الآخرة.

٢ ـ الساعة الوسطى:

وهي موتُ أهل القرن الواحد ، ويؤيد ذلك حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت: كان الأعرابُ يسألون الرسول ﷺ عن الساعة ، فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال: «**إن يعشْ هذا لم يدركه الهرم ، قامت عليكم ساعتكم**»[٣]. أي: موتهم ، والمراد: ساعة المخاطبين[٤].

٣ ـ الساعة الكبرى:

وهو بَعْثُ الناس من قبورهم للجزاء والحساب ، وإذا أُطلقت الساعة في القرآن فالمرادُ بها القيامة الكبرى ، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[٥]. ومعنى الساعة هنا: القيامة ، وقد ذَكَر اللهُ القيامة الكبرى

---

(١) النهاية: ٢/ ٤٢٢.

(٢) أشراط الساعة: ص٧٤ ، وما بعدها.

(٣) البخاري: ح ٦٥١١.

(٤) أشراط الساعة: ص ٧٤ وما بعدها.

(٥) القمر: ١.

والقيامة الصغرى في سورة الواقعة وسورة القيامة ، في أولها وآخرها.

القسم الأول: فتنة الأشراط الصغرى:

ذَكَر العلماءُ أشراطَ الساعة الصغرى ، وهي كثيرة ، وأذكر هنا بعضها دون مراعاة لترتيب وقوعها إذ بعض ذلك لا يعرف إلا بتكلف:

١ ـ بعثة النبي ﷺ :

أخبر النبيُّ ﷺ أن بعثته دليلٌ على قرب قيام الساعة ، فعن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين ، ويشير بأصبعيه فيضمهما**»[١].

وعن أنس رضي الله عنه ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين**» ، **قال: وضم السبابة والوسطى**[٢].

٢ ـ موت النبي ﷺ :

من أشراط الساعة موته ﷺ ، ففي الحديث عن عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اعددْ ستاً بين يدي الساعة: موتي. . .**»[٣].

فقد كان موتُ النبي ﷺ من أعظم المصائب ، فقد أظلمت الدنيا في عيون الصحابة رضي الله عنهم.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (لما كان اليومُ الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة ، أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه ، أظلم منها كل شيء ، وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي ـ وإنا لفي دفنه ـ حتى أنكرنا قلوبنا)[٤].

٣ ـ فتح بيت المقدس:

ومن أشراط الساعة فَتْحُ بيت المقدس ، فقد جاء في حديث عوف بن

---

(١) البخاري: ح ٦٥٠٣.
(٢) مسلم: ح ٢٩٥١.
(٣) البخاري: ح ١٣٧٦.
(٤) الترمذي: ح ٣٦١٨ ، وقال: صحيح غريب.

مالك رضي الله عنه السابق ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**اعددْ ستاً بين يدي الساعة . . . وذكر منها فتح بيت المقدس**»[1] .

ففي عهد عمر رضي الله عنه ، تمَّ فَتْحُ بيت المقدس سنة ست عشرة من الهجرة ، وقد ذهب عمر رضي الله عنه بنفسه ، وصالح أهلها ، وفتحها ، وطهرها من اليهود والنصارى ، وبنى بها مسجداً في قِبْلة بيت المقدس.

٤ ـ استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تقومُ الساعةُ حتى يكثر فيكم المال ، فيفيض حتى يُهمّ ربُّ المال من يقبل منه صدقته ، ويُدْعى إليه الرجل فيقول: لا أربَ لي فيه**»[2] .

وأخبر ﷺ أن الله تعالى سيعطي المال الأمة ، ويفتح عليها من كنوز الأرض ، وأن مُلْكَ أمته سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسيبلغ ما بلغ الليل والنهار ، ففي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن الله زَوَى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ مُلْكها ما زُوِي لي منها ، وأُعْطِيْتُ الكنزين الأحمر والأبيض**»[3] .

٥ ـ ظهور عدد من مُدَّعي النبوة:

ومن العلامات التي ظهرت خروجُ الكذابين الذين يَدَّعُون النبوة ، وهم قريبٌ من ثلاثين كذاباً ، وقد خرج بعضُهم في الزمن النبوي وهم مُسَيْلمة الكذَّاب والأسود العَنْسي[4] . وغيرهم ، وفي عهد الصحابة ، مثل المختار الثقفي[5] ، ولا يزالون يظهرون ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**لا تقومُ الساعة حتى يبعث دجَّالون كذابون ، قريب من**

---

(١) البخاري: ح ١٣٦٧.
(٢) البخاري: ح ٧١٢٠ ، مسلم: ح ١٠١٢.
(٣) مسلم: ح ٢٨٨٩.
(٤) تاريخ الطبري: ٢/ ٢٠٤ ، سيرة ابن هشام: ٢/ ٣٦٢.
(٥) تاريخ الطبري: ٢/ ١١.

ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسولُ الله»[1].

٦ ـ ظهور نار الحجاز:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناقُ الإبل ببصرى**»[2].

وقد ظهرت هذه النارُ في منتصف القرن السابع الهجري في عام أربعة وخمسين وستمئة، وكانت ناراً عظيمة. وهذه النار ليست هي النار التي تخرج في آخر الزمان تحشر الناس إلى محشرهم، والتي سيأتي الكلام عليها[3].

٧ ـ ضياع الأمانة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظر الساعة**»، قيل: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «**إذا أُسْنِد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[4].

٨ ـ كثرة الشُّرَط وأعوان الظلمة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سِياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس...**»[5].

قال النوويُّ رحمه الله: (في هذا الحديث معجزاتُ النبوة، فقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ. فأما أصحاب السِّياط، فهم غلمان والي الشرطة)[6].

وقال ﷺ لأبي هريرة: «**إن طالتْ بك مدة أوشكتَ أن ترى قوماً يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته، في أيديهم مثل أذناب البقر**»[7].

(١) مسلم: ح ٢٩٢٣.
(٢) مسلم: ح ٢٩٠٢.
(٣) شرح النووي: ١٨/٢٨، والفتح: ٧٩/٣١، والمنذري: ص ٦٣٦.
(٤) البخاري: ح ٦٤٩٦.
(٥) مسلم: ح ٢١٢٨.
(٦) شرح النووي: ١٧/١٩٠.
(٧) مسلم: ح ٢٨٩٧.

٩ ـ ظهور المعازف واستحلالها:

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**سيكون في آخر الزمان خَسْفٌ وقَذْفٌ ومَسْخ**»، قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «**إذا ظهرت المعازفُ والقينات**»[١]. قال الشوكانيُّ: هي آلات اللهو. ونَقَلَ القرطبيُّ عن الجوهري أن المعازف: الغناء، وقيل: صوت الملاهي. وفي حواشي الدمياطي: المعازف: الدفوف وغيرها مما يضرب به، ويطلق على الغناء عزف، وعلى كل لعب عزف)[٢].

وقد انتشرت المعازفُ في هذه الأزمة انتشاراً كبيراً، وأعظم من ذلك استحلالُ كثير من الناس المعازف، وقد جاء الوعيدُ لمن فعل ذلك، فعن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**ليكونَنَّ من أمتي أقوامٌ يستحلُّون الحِرَ، والحرير، والخمر والمعازف، ولينزلن أقوامٌ إلى جنب علم يروحُ عليهم بسارحة لهم يأتيهم الفقير لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**»[٣].

١٠ ـ زخرفة المساجد والتباهي بها:

فعن أنس رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تقومُ الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد**»[٤].

قال البخاري: (قال أنس: يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلاً، وقال ابنُ عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى)[٥].

وقد نهى عمرُ رضي الله عنه عن زخرفة المساجد، وقال عندما أمر

---

(١) ابن ماجه: ح ٤٠٦٢.

(٢) نيل الأوطار: ٨/ ١١٠.

(٣) البخاري: ح ٥٥٩٠.

(٤) النسائي: ح ٦٨٩.

(٥) البخاري: ١/ ٩٥.

بتجديد المسجد النبوي: (أكنَّ الناسَ من المطر، وإياك أن تحمِّر، أو تُصَفِّر فتفتن الناس)[١].

١١ ـ كثرة القتل:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرجُ**»، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «**القتل، القتل**»[٢].

وعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ بين يدي الساعة الهرج**»، **قالوا: وما الهرج؟ قال: «القتل»، قالوا: أكثر مما نقتل! إنا نقتل في العام الواحد أكثر من سبعين ألفاً، قال: «إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضاً»، قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ؟ قال: «إنه لينزعُ عقول أكثر أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء»**[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**والذي نفسي بيدي لا تذهبُ الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتلُ فيم قَتل، ولا المقتولُ فيم قُتل**»، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: «**الهرجُ، القاتل والمقتول في النار**»[٤].

وهذه الأمورُ قد حدثتْ في القرون الأخيرة، فها هي هذه الحروب المدمرة بين الأمم، والتي ذهب ضحيتها الألوفُ من الناس.

١٢ ـ تقارب الزمان:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تقومُ الساعة حتى يتقارب الزمان**»[٥]. وتقاربُ الزمان قيل: معناه: قلة البركة، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهرُ كالجمعة، وتكون الجمعةُ كاليوم، ويكون اليومُ

---

(١) البخاري: ١/٥٣٩، مع الفتح.
(٢) مسلم: ح ٢٨٨٨.
(٣) الإمام أحمد: ح ٣٩٥٩.
(٤) مسلم: ح ٢٩٠٨.
(٥) البخاري: ح ٧٠٦١.

كالساعة ، وتكون الساعةُ كاحتراق السَّعفة ، ويحتمل بقرب المسافات بالوسائل الحديثة للاتصال والنقل ، ويحتملُ أنه على ظاهره كأيام الدجال ، والله أعلم.

١٣ ـ ظهور الشرك في هذه الأمة:

هذه من العلامات التي حصلت ، وهي في ازدياد ، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ : **«إذا وُضِع السيف في أمتي؛ لم يُرْفَعْ عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائلُ من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائلُ من أمتي الأوثان»**[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«لا تقومُ الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة»**[2]. وذو الخلصة: صنم كان يُعبد في الجاهلية.

١٤ ـ تشبب المشيخة:

قال رسول الله ﷺ : **«يكون قومٌ يخضبون في آخر الزمان بالسواد؛ كحواصل الحمام ، لا يريحون رائحةَ الجنة»**[3].

وقد وقع هذا في هذه الأزمنة ، فإنه انتشر بين الرجال صَبْغُ لحاهم ورؤوسهم بالسواد.

١٥ ـ ظهور الخسف والمسخ والقذف:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ : **«يكون في آخر هذه الأمة خسفٌ ومسخٌ وقَذْفٌ»** ، قالت: قلت يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **«نعم إذا ظَهَرَ الخبث»**[4].

وقد جاء في الخبر أن الزنادقةَ ، والقدرية يقعُ عليهم الخسف

---

(١) مسلم: ح ٢٨٨٩.
(٢) مسلم: ح ٢٩٠٦ ، وقد سبق تفسير ذي الخلصة في ص: ٣٣.
(٣) أحمد: ح ٢٤٧ ، وأبو داود: ح ٤٢١٢.
(٤) الترمذي: ح ٢٨١٥ ، وقال: حديث غريب.

والمسخ ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنه سيكون في أمتي مسخٌ وقذفٌ**» ، وهو في الزندقية والقدرية[1].

والمسخُ يكون حقيقياً ومعنوياً ، كما ذكر ابنُ كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[2] . والمعنوي هو أن تكون أخلاقُه كأخلاق الحيوانات.

١٦ ـ ذهاب الصالحين:

ومن أشراطها ذهاب الصالحين ، وقلة الأخيار ، وكثرة الأشرار ، حتى لا يبقى إلا شِرارُ الناس ، وهم الذين تقومُ عليهم الساعة ، فعن مرداس السلمي رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**يذهب الصالحون الأول فالأول ، وتبقى حثالةٌ كحثالة الشعير أو التمر لا يبالهم الله بالة**»[3]. أي: لا يرفع لهم قدراً ، ولا يقيم لهم وزناً[4].

١٧ ـ ارتفاع الأسافل:

ومن أشراطها: ارتفاع الأسافل من الناس ، واستئثارهم بالأمور دونهم ، فيكون أمرُ الناس بيد سفهائهم ومن لا خَيْرَ فيهم ، وهذا من انعكاس الحقائق ، وتغير الأحوال ، وهذا أمرٌ مشاهَدٌ في هذه الأزمنة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**إنها سيأتي على الناس سنون خَدَّاعة؛ يصدقُ فيها الكاذب ، ويكذبُ فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخونُ فيها الأمين ، وينطقُ فيها الرويبضة**» قيل: **وما الرويبضة؟** قال: «**السفيهُ يتكلَّم في أمر العامة**»[5].

وفي الحديث الصحيح: «**إذا أُسند الأمرُ إلى غير أهله فانتظر**

(١) الترمذي: ح ٢١٥٢ ، أبو داود: ح ٤٦١٣ ، ابن ماجه: ح ٤٠٦١.
(٢) البقرة: ٦٥.
(٣) البخاري: ح ٦٤٣٤.
(٤) النهاية: ١/ ٩٠.
(٥) ابن ماجه: ح ٤٠٣٦.

الساعة»[1]. وفي الحديث الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «حتى يقال للرجل: ما أجلده! ما أظرفه! ما أعقله! وما في قلبه مثقالُ حبة من خردلٍ من إيمان»[2].

١٨ ـ ظهور الكاسيات العاريات:

ومنها خروجُ النساء عن الآداب الشرعية، وذلك بلبس الثياب التي لا تستر عوراتهن، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «سيكون في آخر أمتي رجالٌ يركبون على سُرُج[3]، كأشباه الرحال[4]؛ ينـزلون على أبواب المساجد، نسائهم كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البُخْت العِجاف[5]، العنوهن فإنهن ملعونات»[6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «صنفان من أهل النهار لم أرهما، قومٌ: معهم سِياطٌ كأذناب البقر؛ يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مُميلات مائلات[7]. رؤوسهن كأَسْنِمةِ البُخْتِ المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإنَّ رِيْحَها ليوجدُ من مسيرة كذا وكذا»[8].

١٩ ـ كثرة النساء وقلة الرجال:

فعن أنس رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من أشراط الساعة أن يقلَّ العلم، ويظهرَ الجهل، ويظهر الزنى، وتكثر

---

(١) سبق تخريجه: ص ١٤٨.
(٢) البخاري: ح ٦٤٩٧.
(٣) رحل الدابة، النهاية: ٢/١٠٩، إتحاف الجماعة: ١/٤٥١.
(٤) جمع رحل، وهو مركب للبعير والناقة، وهو أكبر من السرج. نفس المرجع السابق.
(٥) البخت: لفظة معربة والمراد بها الإبل الخراسانية، تمتاز بطول الأعناق، والعجاف: هي جمع عجفاء، وهي الهزيلة من الإبل، انظر النهاية: ٣/١٨٦.
(٦) أحمد: ح ٧٠٨٣، وصححه الشيخ: أحمد شاكر.
(٧) مائلات: زائغات عن طاعة الله، وما يلزمهن من حفظ الفرج وغيره.
مميلات: يعلمن غيرهن مثل فعلهن، وقيل: مائلات يمشطن المشطة الميلاء، وهي مشطة البغايا. ومميلات: يمشطن غيرهن تلك المشطة.
(٨) مسلم: ح ٢١٢٨.

النساء ، ويقلَّ الرجال ، حتى يكون لخمسين امرأة القَيِّمُ الواحد»[1].
وسبب قلة الرجال: الحروبُ ، وقَتْلُ الرجال فيها[2].

٢٠ ـ عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تقومُ الساعةُ حتى يكثر المال ، حتى يخرجَ الرجلُ بزكاة ماله ، فلا يجد أحداً يقبلها ، وحتى تعودَ أرضُ العرب مروجاً وأنهاراً**»[3][4].

٢١ ـ حَسْر الفرات عن جبل من ذهب:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تقومُ الساعة حتى يحسر الفراتُ عن جبل من ذهب ، يقتتلُ الناسُ عليه ، فيقتل من كل مئة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم: لعلِّي أكون أنا الذي أنجو**»[5].

وقد رجَّح الحافظُ ابن حجر أن سببَ المنع من أخذ هذا الذهب ، لِما ينشأ من الفتنة والقتال عليه[6].

٢٢ ـ كلام السباع والجمادات للإنس:

ومن أشراط الساعة: أن تكلم السباع الإنس ، وتكلم الجمادات الإنسان وتخبره بما حدث في غيابه ، بل يتكلم بعض أجزاء الإنسان كالفخذ يخبر الرجل بما أحدث أهله بعده. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (جاء ذئب إلى راعي الغنم فأخذ منه شاة ، فطلبه الراعي ، حتى انتزعها منه ،

---

(١) البخاري: ح ٨١.
(٢) انظر: التذكرة: ص٦٣٩ ، فتح الباري: ١/ ١٧٩ ، النووي: ٧/ ٩٦.
(٣) مروج: جمع مرج ، وهو الفضاء الواسع ، ويقال للأرض ذات الكلأ: مرج. انظر: مختار الصحاح: ١/ ٢٧٠.
(٤) مسلم: ح ١٥٧.
(٥) مسلم: ح ٢٨٩٤.
(٦) فتح الباري: ١٣/ ١٨.

فصعد الذئبُ على تل ، فأقعى[1] ، واستذفر[2] ، فقال: عمدتَ إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعته مني ، فقال الرجل: تالله إن رأيتُ كاليوم ذئب يتكلم!! قال الذئبُ: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى ، وبما هو كائن بعدكم ، ـ وكان الرجل يهودياً ـ فجاء الرجلُ إلى النبي ﷺ ، وأخبره فصدَّقه النبي ﷺ ، ثم قال النبيُّ ﷺ : **«إنها أمارةٌ من أمارات بين يدي الساعة ، قد أوشك الرجلُ أن يخرج فلا يرجع ، حتى تُحدِّثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهلُه بعده»**[3] .

وفي رواية له عن أبي سعيد بعد أن ذكر القصة قال رسولُ الله ﷺ : **«صدق والذي نفسي بيده ، حتى يكلِّم السباعُ الأنس ، ويكلم الرجلَ عذبةُ سوطه ، وشراكُ نعله ، ويخبره فخذُه بما أحدث أهله بعده»**[4] .

٢٣ ـ خروج القحطاني :

في آخر الزمان يخرج رجلٌ من قحطان تدينُ له الناس بالطاعة، وتجتمع عليه وذلك عند تغير الزمان ، ولهذا ذكره البخاريُّ في باب تغير الزمان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة ، حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»**[5] . ومعنى يسوق الناس بعصاه: كناية عن استقامة الناس ، وانعقادهم إليه ، واتفاقهم عليه[6] .

وهذا القحطانيُّ ليس هو الجهجاه؛ فإن القحطانيَّ من الأحرار ، وأما الجهجاه فهو من الموالي ، ويؤيد ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله

---

(١) أقعى: من الإقعاء. تقول: أقعى الكلب: إذا جلس على استه. انظر: ترتيب القاموس: ٤١٠/١ .

(٢) استذفر: أصلها استثفر ، تقول: استثفر الكلب: إذا أدخل ذنبه بين فخذيه ، حتى يلزم ببطنه ، انظر المرجع السابق.

(٣) أحمد: ح ٨٠٤٩.

(٤) أحمد: ٨٣/٣ ، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني: ح ١٢٢ .

(٥) البخاري: ح ٧١١٧ ، مسلم: ح ٢٩١٠.

(٦) التذكرة: ص ٦٣٥.

عنه ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : **«لا يذهبُ الليل ولا النهار حتى يملك رجلٌ من الموالي ، يقال له: جهجاه»**[1].

٢٤ ـ قتال اليهود:

ومنها قتالُ المسلمين لليهود في آخر الزمان ، وذلك أن اليهودَ يكونون من جند الدَّجَّال ، فيقاتلهم المسلمون الذين هم جُنْدُ عيسى عليه السلام ، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم ! يا عبد الله! هذا يهوديٌّ ورائي ، تعال فاقتله ، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة ، حتى يقاتل المسلمين اليهودُ ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهوديٌّ خلفي ، فتعالَ فاقتله ، إلا الغرقد ، فإنه من شَجَرِ اليهود»**[2].

٢٥ ـ فتح القسطنطينية:

ومنها فتح مدينة القسطنطينية قبل خروج الدجال على يدي المسلمين ، والذي يدلُّ عليه الحديث أن هذا الفتح يكون بعد قتال الروم في الملحمة الكبرى ، وانتصار المسلمين عليه ، فعندئذٍ يتوجهون إلى مدينة القسطنطينية ، فيفتحها الله للمسلمين بدون قتال ، وسلاحهم التكبير والتهليل ، وهذا غير الفتح الأول الذي كان على يد محمد الفاتح. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«سمعتُم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟»** قالوا: نعم يا رسول الله ، قال: **«لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق ، فإذا جاؤوها نزلوا ، فلم يقاتلوا بسلاح ، ولم يرموا بسهم ، قالوا: لا إلٰه إلا الله والله أكبر ، فيسقط أحدُ جانبيها الذي في البحر ، ثم يقولوا الثانية: لا إلٰه إلا الله والله أكبر ، فيسقط جانبها الآخر ، ثم يقولوا: لا إلٰه إلا الله والله أكبر ، فيفرج لهم ، فيدخلوها فيغنموا ، فبينما هم يقتسمون الغنائم ، إذ جاءهم الصريخُ ،**

---

(١) مسلم: ح ٢٩١١.

(٢) مسلم: ح ٢٩٢٢.

فقال: إن الدجال قد خرج ، فيتركون كل شيء ويرجعون»[1].

٢٦ ـ بَعْثُ الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين:

جاء في حديث النواس بن سمعان الطويل في قصة الدجال ونزول عيسى عليه السلام ، **(إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ، ويبقى شرارُ الناس يتهارجون فيها تهارُجَ الحُمُر ، فعليهم تقوم الساعة)**[2].

٢٧ ـ استحلال البيت الحرام وهدم الكعبة:

لا يستحلُّ البيتَ الحرامَ إلا أهلُه ، فإذا استحلُّوه فإنه يصيبهم الهلاك ، ثم يخرج رجلٌ من أهل الحبشة يقال له: ذو السويقتين؛ فيخرب الكعبة ، وينقضها حجراً حجراً ، ويسلبها حليتها ، ويُجرِّدها من كسوتها ، وذلك في آخر الزمان ، حتى لا يبقى في الأرض أحد يقول: الله الله ، ولذلك لا يعمر البيت بعد هدمه أبداً ، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ : **«يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»**[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: **«كأني أنظرُ إليه أسود أفحج**[4] **، ينقضها حجراً حجراً ، يعني الكعبة»**[5].

القسم الثاني: علامات الساعة الكبرى:

وهذه العلامات الكبرى إذا ظهرت ، كانت الساعةُ على إثرها ، ففي الحديث الصحيح عن حذيفة بن أسيد الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: اطلع النبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال: **«ما تذاكرون؟»** قالوا: نتذاكر الساعة.

---

(١) مسلم: ح ٢٨٩٨.
(٢) مسلم: ح ٢٩٣٧.
(٣) مسلم: ح ٢٩٠٩.
(٤) أفحج: الفحج: هو تداني صدور القدمين ، وتباعد العقبان ، النهاية: ٣/ ٤١٥.
(٥) البخاري: ح ١٥٩٥.

قال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشرَ آيات: ـ فذكر ـ الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف؛ خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرجُ من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»[1].

والآياتَ الكبرى متتابعةٌ في وقوعها لا يكاد يفصلُ بينها فاصل زمني، فهي تشبه حبات العِقْد، الذي انقطع؛ فإن الحبة الأولى تسقط فتتبعها بقية الحبات بلا تأخير، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الأماراتُ خرزاتٌ منظوماتٌ في سلك، فإن يقطع السلك يتبع بعضُها بعضاً**»[2].

وقد أخبر الرسولُ ﷺ أن الملحمة ستكون بين المسلمين والروم، ثم تفتح القسطنطينية، ثم يخرج الدجال، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**عمرانُ بيت المقدس خرابُ يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال**»[3].

وبعد خروج الدجال ينزلُ عيسى، ويقتل الدجال، ثم يخرج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى عليه السلام، ويهلكهم الله في زمانه، والترتيب إلى هنا واضح. أما خروجُ الشمس من مغربها والدابة، وخروج النار التي تحشر الناس، فهي بعد خروج الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج، ففي الحديث أن النبيَّ ﷺ قال: «**وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطردُ الناسَ إلى محشرهم**»[4].

وأما طلوعُ الشمس من مغربها والدابة، فهي بعد نزول عيسى؛ لكن

---

(١) مسلم: ح ٢٩٠١.
(٢) الحاكم: ٤/ ٣٦١، وصححه ووافقه الذهبي، وهو في السلسلة الصحيحة: ح ١٧٦٢.
(٣) أبو داود: ح ٤٢٩٤.
(٤) مسلم: ح ٢٩٠١.

أيتهما أسبق لا نستطيعُ الجزم به ، ففي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**إنَّ أولَ الآيات خروجاً طلوعُ الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً**»[١].

ومعنى الأولية في هذا الحديث ليست الأولية المطلقة؛ بل المعنى: طلوع الشمس من مغربها ، أول الآيات السماوية العظيمة المؤذنة بتغير الأحوال العامة ، وكذلك الدابة أول الآيات الأرضية غير المألوفة ، أما بقية الآيات فهي مألوفةٌ معتادة[٢]. وأما الآياتُ الباقية وهي الدخان والخسوفات الثلاثة ، فلا يجزم بزمانها لعدم وجود نَصٍّ عن معصوم يعتمدُ عليه في ذلك ، وفيما يلي بيان هذه الآيات الكبرى:

١ ـ خروج الدجال:

الدجالُ لغةً: صيغة مبالغة؛ من الدجل ، وهو الكذبُ والتَّمويهُ ، وشرعاً: رجل مموه ، يخرجُ في آخر الزمان يدَّعي الربوبية[٣].

وخروجُ الدجال أكبر فتنة يتعرَّض لها الناس ، وذلك لما سوف يقدره الله على أيدي هذا الرجل من أمور خارقة للعادة ، يغترُّ بها ضعافُ العقيدة ، فيتبعونه ويكونون جنداً ، وذلك لما يرون من الأمور التي يفعلها ليضلَّ بها عباد الله.

فعن هشام بن عامر أن النبيَّ ﷺ قال: «**والله ما بين خَلْق آدم إلى قيام الساعة أمرٌ أعظمُ من الدجال**»[٤].

حال الناس قبل خروجه:

عن الصَّعب بن جثَّامة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره ، وحتى تترك الأئمة ذِكْره على**

---

(١) مسلم: ح ٢٩٠١.
(٢) الفتح: ١١/٣٥٣.
(٣) لمعة الاعتقاد.
(٤) مسلم: ح ٢٩٤٦ ، وأحمد: ح ١٦٢٥٥.

المنابر»[1]. وعن أبي أمامة أن الرسولَ ﷺ قال: **«إن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله، فلا تنبت خضراء، فلا يبقى ذات ظلف، إلا هلكت إلا ما شاء الله، قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليل والتكبير والتحميد، ويجزئ ذلك عليهم مجزأة الطعام»**[2].

صفات الدجال:

عن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: **«ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوبٌ بين عينيه كافر»**[3].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر[4]، معه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار»**[5].

وهذه الجملةُ التي مكتوبة بين عينيه يقرؤها كل مسلم كاتب أو غير كاتب، ولا يستطيع أن يقرأها المنافق وإن كان كاتباً[6].

وفي حديث النَّوَّاس بن سَمْعان أن النبيَّ ﷺ قال: **«إنه شاب قطط[7] عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزَّى بن قطن»**[8].

---

(١) أحمد: ح ١٢٤٩٩، وصححه الهيثمي في المجمع: ٧/ ٤٤٦.

(٢) ابن ماجه: ح ٤٠٧٧، وانظر: صحيح الجامع: ٦/ ٢٧٧.

(٣) مسلم: ح ٢٩٣٣.

(٤) كثيره، النهاية: ١/ ٢٨٠.

(٥) مسلم: ح ٢٩٣٤.

(٦) لمعة الاعتقاد: ص ١٠٦.

(٧) شديد جعودة الشعر، النهاية: ٤/ ٨١، النووي: ١٨/ ٦٥.

(٨) مسلم: ح ٢٩٣٧، اسمه عبد العزى بن قطن الخزاعي، ليس له صحبة، قد هلك في الجاهلية، وما ورد أنه قال للنبي ﷺ: أيضرني شبهه؟ قال: «لا؛ أنت مسلم وهو كافر»=

فتنتـه :

عن حذيفة بن عامر قال: قال رسولُ الله ﷺ : **«إن الدجال يخرج ومعه ماء ونار ، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق ، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب ، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب»**[(١)].

وفي حديث النوّاس بن سَمْعان الطويل عن النبي ﷺ أنه قال: **«فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت. فتروح عليهم سارحتُهم أطول ما كانت ذُراً ، وأسبغه ضروعاً ، وأمدّه خواصر**[(٢)] **، ثم يأتي أقواماً فيدعوهم ، فيردون عليه قوله ، فينصرفُ عنهم، فيصبحوا مُمْحِلين**[(٣)] **ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها كأعاسيبِ النَّحْل**[(٤)(٥)]. **ثم يدعـو رجـلاً مُمْتَـلِئـاً شبابـاً ، فيضربه بالسيف فيقطعه جَـزْلَـتَـيْـن رَمْـيَـةَ الغَرض**[(٦)] **، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ، يضحك»**[(٧)]. وجاء في رواية البخاري: **«فيقول الرجل: والله ما كنت فيك أشدّ بصيرةً مني اليوم ، فيريد الدجال أن يقتله ، فلا يُسلِّط عليه»**.

= فهي زيادة ضعيفة من رواية المسعودي عند أحمد ، وقد اختلط عليه الحديث ، انظر: فتح الباري: ٦/ ٤٨٨ ، الإصابة: ٤/ ٢٣٩.

(١) مسلم: ح ٢٩٣٥.

(٢) السارحة: هي الماشية ، والذرا: الأعالي جمع ذروة ، وأسبغه: أي أطوله لكثرة اللبن ، وكذا أمده خواصر لكثرة امتلائها من الشبع ، شرح مسلم للنووي: ١٨/ ٦٥.

(٣) ممحلين: أصابهم المحل من قلة المطر ويبس الأرض من الكلأ ، والإمحال: كون الأرض ذات جدب وقحط ، شرح مسلم للنووي: ١٨/ ٦٥.

(٤) أعاسيب النحل: ذكور النحل ، النووي شرح مسلم: ١٨/ ٦٧.

(٥) مسلم: ح ٢٩٣٧.

(٦) أي: أن يجعل بين الجزلتين مقدار رمية ، والجزلة: هي القطعة ، النووي شرح مسلم: ١٨/ ٦٧.

(٧) مسلم: ح ٢٩٣٧.

سرعته في الأرض:

جاء في حديث النَّواس السابق أن الرسول ﷺ قال: «**وما إسراعه في الأرض قال: كالغيثِ استدبرته الريح**»[1].

مكان خروجه:

جاء في حديث النواس بن سَمْعان السابق، أن النبيَّ ﷺ قال: «**أنه خارج في خلَّة بين الشام والعراق**»[2]. ومعنى خلة: موضع حزن وصخور[3].

مدة مكثه في الأرض:

جاء في حديث النواس بن سَمْعان السابق، «**قلنا: يا رسول الله! وما لبثه في الأرض، قال: أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله! فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره**»[4].

أتباع الدجال:

أكثرُ أتباع الدجال من اليهود والعجم والترك، وأخلاط من الناس غالبهم الأعراب والنساء[5]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ: «**يتبع الدجالَ من يهود أصبهان سبعون ألفاً، عليهم الطيالسة**»[6].

وأما كَوْنُ أكثر أتباعه من الأعراب، فلأن الجهلَ غالبٌ عليهم، لما جاء في حديث أبي أمامة الطويل قوله ﷺ: «**وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك، أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم.**

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) النووي شرح مسلم: ١٨/ ٦٧.
(٤) المرجع السابق.
(٥) فتح الباري: ٦/ ٦٠٤، وابن ماجه: ٢/ ١٣٥٩.
(٦) مسلم: ح ٢٩٤٤.

فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه ، فيقولان: يا بني! اتبعه ، فإنه ربك»[1] .

وأما النساءُ فحالهنَّ أشدُّ من حال الأعراب لسرعة تأثرهن ، وغلبة الجهل عليهن ، ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**ينزل الدجالُ في هذه السَّبخة بمرقناه**[2] **، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء ، حتى إن الرجل يرجعُ إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً ، مخافة أن تخرجَ إليه»**[3] .

وجاء في رواية: «**يتبعه أقوام ، كأن وجوهَهم المجانُّ المطرقة»**[4] .

هـلاكـه :

جاء في حديث النواس بن سَمْعان السابق ، أن النبي ﷺ قال: «**بينما هو كذلك إذ بَعَثَ اللهُ المسيحَ ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، بين مهرودتين**[5] **، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قَطَر ، وإذا رفعه تحدَّر منه الجمانُ كاللؤلؤ؛ فلا يحلُّ لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله»**[6] .

الوقاية من فتنة الدجال:

١ ـ **التمسُّك بالإسلام ، والتسلُّح بسلاح الإيمان** ، ومعرفة أسماء الله وصفاته الحسنى؛ التي لا يشاركه فيها أحد ، فيعلم أن الدجالَ بشرٌ يأكل ويشرب ، وأن الله مُنَـزَّه عن ذلك ، وأن الدجال أعور ، وأن الله ليس

---

(١) ابن ماجه: ح ٤٠٧٧ . وانظر: صحيح الجامع: ح ٧٧٥٢ .

(٢) مرقناه: واد بالمدينة يأتي من الطائف. انظر معجم البلدان: ٤/ ٤٠١ .

(٣) مسند الإمام أحمد: ح ٥٣٥٣ ، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٤) الترمذي: ح ٢٢٣٧ ، وأما المجان المطرقة فسبق تفسيرها ، وهي التروس الغليظة.

(٥) أي: ثوبين مصبوغين بورس ، ثم زعفران ، النووي شرح مسلم: ١٨/ ٦٧ .

(٦) مسلم: ح ١٩٣٧ .

بأعور ، وأنه لا أحدَ يرى ربه حتى يموت ، والدجالُ يراه الناس حين خروجه مؤمنهم وكافرهم.

٢ ـ **التعوذ من فتنة الدجال** وخاصة في الصَّلاة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**إذا تشهَّد أحدُكم فليستعذْ بالله من أربع ، يقول: اللهم إني أعوذُ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[١] . وكان الإمام طاووس يأمر ابنه بإعادة الصلاة إذا لم يقرأ هذا الدعاء في صلاته[٢].

٣ ـ **حفظ آيات من سورة الكهف** ، فقد أمر النبيُّ ﷺ بقراءة فواتح من سورة الكهف على الدجال ، وفي بعض الروايات: خواتيمها ، ففي حديث النواس بن سمعان الطويل السابق ، قال ﷺ : «**من أدركه منكم فليقرأْ عليه فواتح سورة الكهف**»[٣] . قال مسلم: قال شعبة: من آخر الكهف ، وقال همام: من أول الكهف[٤].

وعن أبي الدَّرداء رضي الله عنه أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ حَفِظَ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال**»[٥].

وقد أخبر النبيُّ ﷺ الصحابةَ لما كانوا يخافون من الدجال ، قال: «**غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حَجِيْجُه دونكم ، وإن يخرجْ ولست فيكم ، فامرؤ حجيجُ نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم**»[٦].

٤ ـ **الفرار من الدجال والابتعاد عنه** ، والأفضل سُكْنى مكة والمدينة ، فعن عمران بن حصين أن النبيَّ ﷺ قال: «**من سَمعَ بالدجال فلينأَ عنه ،**

---

(١) مسلم: ح ٨٨٥.
(٢) شرح النووي: ٥/ ٨٩.
(٣) مسلم: ح ٨٠٧.
(٤) انظر: شرح النووي لمسلم: ٦/ ٩٢.
(٥) مسلم: ح ٨٠٩.
(٦) مسلم: ح ٢٩٣٧.

فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسبُ أنه مؤمن فيتبعه مما يبعثُ به من الشبهات»[1].

وجاء في حديث فاطمة بن قيس الطويل ، وفيه أن تميماً الداري رأى الدجال بجزيرة من جزر البحر ، وفيه أنه قال: (فأخرج فأسير في الأرض فلا أدعُ قرية إلا هبطتها ، في أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة ، فهما محرمتان عليّ كلتاهما ، كلما أردتُ أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف سَلْطاً ، يصدُّني عنها ، وإنّ على كل نقب منها ملائكة يحرسونها)[2].

٢ ـ نزول عيسى عليه السلام:

جاء في النصوص أنه ينزلُ عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، واضعاً حالة نزوله كفيه على أجنحة ملكين وقت صلاة الصبح ، وينزل ليقتل الدجال ويدعو إلى دين الإسلام ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال: «**ليوشكن أن ينزلَ فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**»[3].

وعن جابر رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، فينزل عيسى ابن مريم ، فيقول أميرهم: تعالَ صَلِّ لنا ، فيقول: لا ، إن بعضَكم على بعض أمراء ، تكرمة الله هذه الأمة**»[4].

ويمكث عيسى عليه السلام أربعين عاماً ، وبعد ذلك يتوفَّاه الله عز وجل ، وبعد ذلك يصلِّي عليه المسلمون ، لما وَرَدَ عن النبي ﷺ قال:

(١) أبو داود: ح ٤٣١٩.
(٢) مسلم: ح ٢٩٤٢.
(٣) مسلم: ح ١٥٥.
(٤) مسلم: ح ١٥٦.

«إن عيسى يبقى بعد قتل الدجال أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»[1].

٣ ـ خروج المهدي:

ورد في أحاديث كثيرة ذِكْرُ المهدي، وأنه يخرج بعدما يعمُّ الأرض الظلم والفساد والطغيان، فيأتي ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلِئَتْ جَوْراً وظلماً، وهو من سُلالة النبي ﷺ ومن أبناء فاطمة رضي الله عنها، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث اللهُ رجلاً مني ـ أو قال: من أهل بيتي ـ يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَتْ جوراً وظلماً»**[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«المهدي مني، أجلى الجبهة**[3]**، أقنى الأنف**[4]**، يملأ الأرض قسطاً وعَدْلاً، كما مُلئت ظُلْماً وجَوْراً، يملك سبع سنين»**[5].

٤ ـ خروج يأجوج ومأجوج:

هما اسمان أعجميان، أو عربيان مشتقان من الأجّ، وهو الاضطراب، أو من أجيج النار وتلهُّبها، وهما أمتان من بني آدم موجودتان، وذكر القرآن الكريم قِصَّتهما مع ذي القرنين وما فعل معهما، وذكر أيضاً قصة السد الذي بناه ذو القرنين حاجزاً عن هؤلاء الناس، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ

---

(١) أبو داود: ح ٤٣٢٤.

(٢) الترمذي: ح ٢٢٣٠.

(٣) أجلى الجبهة: الأجلى: الخفيف شعر ما بين النزعتين من الصدغين، والذي ينحصر الشعر عن جبهته، النهاية في غريب الحديث: ١/ ٢٩٠.

(٤) أقنى الأنف: القنى في الأنف طوله ورقة أرنبته مع حدب في وسطه، النهاية في غريب الحديث: ٤/ ١١٦.

(٥) أبو داود: ح ٤٢٦٥.

﴿وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (١) .

ومن صفات هؤلاء القوم أنهم عِراض الوجوه ، صِغار العيون ، صُهْب الشغاف(٢) ، من كل حدب ينسلون ، كأن وجوههم المجانُّ المطرقة ، جاء في حديث النواس بن سَمْعان الطويل: «**فبينما هو كذلك ـ أي عيسى ـ إذ أوحى اللهُ إلى عيسى أن قد أخرجتُ عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم(٣) ، فحرز عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون(٤) ، فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبيُّ الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مئة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب(٥) نبيُّ الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف(٦) في رقابهم ، فيصبحون فرسى(٧) ، كموت نَفْس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فما يجدون في الأرض موضعَ شبر إلا ملأه زهمهم(٨) ونتنهم ، فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت(٩) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله**»(١٠) .

وفي رواية أخرى لهذا الحديث: «**ثم يسيرون حتى ينتهون إلى جبل الخمر(١١) ، وهو جبل بيت المقدس ، فيقولون: لقد قتلنا مَنْ في الأرض ،**

---

(١) الكهف: ٩٣ ـ ٩٤ .

(٢) الشغاف: جمع شغفة ، وهي أعلى شعر الرأس ، والمراد شهب الشعور. انظر: النهاية: ٢/ ٤٨١ .

(٣) لا يدان: لا قدرة ولا طاقة ، شرح النووي لمسلم: ١٨/ ٦٧ .

(٤) ينسلون: يمشون مسرعين. نفس المرجع السابق.

(٥) يرغب: يدعو. المرجع السابق.

(٦) النغف: دود في أنوف الإبل والغنم. المرجع السابق.

(٧) فرسى: قتلى. المرجع السابق.

(٨) زهمهم: دسمهم. المرجع السابق.

(٩) البخت: أعجمي معرب؛ وهي الإبل الخراسانية.

(١٠) مسلم: ح ٢٩٣٧ .

(١١) جبل الخمر: هو الشجر الملتف الذي يستر مَنْ فيه.

هَلُمَّ فلنقتل مَنْ في السماء ، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم[1] مخضوبة دماً»[2].

٥ ـ خروج الدابة:

الدابة لغة: هو كل ما دب على الأرض ، سواء كان حيواناً أو إنساناً أو أي شيء له دبيبٌ على الأرض ، والمراد هنا بالدابة التي يخرجها الله تعالى قرب قيام الساعة ، للدلالة على قيامها واقترابها. وهذه الدابةُ لا يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ، يراها كلُّ أهل جهة في جهتهم ، وتكتب بين عيني المؤمن مؤمناً ، فيضيء وجهه ، وتكتب بين عيني الكافر كافراً فيسود وجهه ، وتنادي المسلم: يا مسلم ، وتنادي الكافر: يا كافر ، حتى الناس يتبايعون في الأسواق ويقولون: بكم ذا يا مؤمن ، وبكم هذا يا كافر ، وحتى إن أهلَ البيت يجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ، حتى إن الدابة تقول: يا فلان! أبشرْ أنت من أهل الجنة ، ويا فلان أنت من أهل النار[3] ، قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[4] . ومعنى تكلمهم إما تخاطبهم مخاطبة مطلقة ، وإما أنها تقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون[5]. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**تخرج الدابةُ ومعها خاتم سليمان بن داود ، وعصا موسى بن عمران عليهما السلام ، فتجلو وجه المؤمن بالعصا ، وتخطم أنف الكافر بالخاتم ، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن ، ويقول هذا: يا كافر**»[6].

وأخرج ابنُ جرير بسنده عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه موقوفاً ،

---

(١) النشاب: السهام.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) العقيدة الصافية للفرقة الناجية: ص ١٤٣.
(٤) النمل: ٨٢.
(٥) ابن كثير: ٣/ ٣٨٥.
(٦) ابن ماجه: ح ٤٠٦٦ ، الترمذي: ح ٣١٨٧.

وعن حذيفة بن اليمان مرفوعاً: (أن الدابة تخرج بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب)[1].

قال الشيخ ابن عثيمين: ليس في القرآن والسنة الصحيحة ما يدلُّ على مكان خروج هذه الدابة، وصِفتها، وإنما وردتْ في ذلك أحاديث في صحتها نظر)[2].

٦ ـ طلوع الشمس من مغربها:

من علامات الساعة الكبرى: طلوع الشمس من مغربها، وهذا إنذارٌ لبدء تغير الكون، وتحوُّل الأشياء على أحوالها وأوضاعها التي ألفها الناس، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[3].

وقد أخبر ﷺ: أنه مع طلوع الشمس لا يقبلُ معها إيمان، ولا توبة، ولا ندم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمسُ من مغربها، فإذا طلعتْ ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾»[4].

٧ ـ الدخان:

ظهور الدخان في آخر الزمان: من علامات الساعة الكبرى، التي دلَّ عليها القرآنُ والسنةُ، قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5].

وللسَّلف في تفسير هذه الآية قولان:

١ ـ أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشاً من الشدة والجوع عندما دعا

---

(١) ابن كثير: ٣/ ٣٨٧.

(٢) انظر: شرح لمعة الاعتقاد: ١/ ١١٠.

(٣) الأنعام: ١٥٨.

(٤) البخاري: ح ٤٦٣٦، ومسلم: ح ١٥٧.

(٥) الدخان: ١٠ ـ ١١.

عليهم النبي ﷺ حين لم يستجيبوا له ، فأصبحوا يرون في السماء كهيئة دخان. والى هذا ذهب ابنُ مسعود وجماعةٌ من السلف ، واختاره ابنُ جرير الطبري[1].

٢ ـ أن هذا الدخان من الآيات المنتظرة التي لم تجئ بعد ، وستقع قربَ قيام الساعة ، ولهذا ذهب ابنُ عباس وجماعةٌ من السلف ، واختاره ابن كثير. وقال: إنه هو ظاهر القرآن. وثبت في الصَّحيح أن رسولَ الله ﷺ قال لابن صياد: «**إني خبأتُ لك خبئاً**» ، قال: هو الدّخ ، فقال له ﷺ: «**اخسأْ فلن تعدو قَدْرَك**» ، وخبأ له رسولُ الله ﷺ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال رسولُ الله ﷺ: «**بادروا بالأعمال ستاً: الدجال والدخان. . .**»[3].

قال مجاهد: كان ابنُ مسعود يقول: (هما دخانان قد مضى أحدهما ، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ، ولا يجدُ المؤمنُ منه إلا كالزكمة ، وأما الكافر فتثقب مسامعه)[4].

٨ ـ الخسوفات الثلاثة:

الخسوفاتُ الثلاثةُ من أشراط الساعة الكبرى ، فعن حذيفة بن أُسَيْد رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن الساعة لن تقومَ حتى تروا عشر آيات . . . وذكر منها: ثلاثة خسوف ، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب**»[5].

---

(١) الطبري: ص ١١١/١٥ ، القرطبي: ١٣١/١٦.
(٢) البخاري: ح ١٣٥٤.
(٣) مسلم: ح ٢٩٤٧.
(٤) التذكرة: ص٦٥٥ ، وقد ذكر صاحب روح المعاني أن السفاريني ذكره فى البحور الزاخرة وقال: لا أظنه صحيحاً ، وحمل الآية على ما يعم الدخانين لا يخفى حاله. انظر: روح المعاني: ١١٧/١٣.
(٥) مسلم: ح ٢٩٠١.

وهذه الخسوفاتُ الثلاثةُ لم تقعْ بَعْدُ كغيرها من الأشراط الكبرى التي لم يظهر شيء منها حتى الآن ، قال ابنُ حجر: (قد وجد الخسف في مواضع ، ولكن يحتملُ المراد أن يكون المرادُ بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وجد ، كأن يكون أعظم منه مكاناً أو قدراً)[1] .

٩ ـ النار التي تحشر الناس:

من علامات الساعة الكبرى: خروجُ النار العظيمة التي تحشر الناس إلى المحشر ، كما جاء في حديث حذيفة بن أسيد السابق ذكره ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«تخرج نار من حضرموت ـ أو من بحر حضرموت ـ قبل يوم القيامة تحشر الناس»**[2] .

وعن أنس رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبي ﷺ عن مسائل؛ ومنها: ما أول أشراط الساعة؟ فقال النبي ﷺ : **«أما أول أشراط الساعة؛ فنارٌ تحشر الناسَ من المشرق إلى المغرب»**[3] .

والجمعُ بين كون هذه النار هي آخرُ أشراط الساعة وماجاء أنها أول أشراط الساعة؛ أن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة ، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات؛ التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً ، بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ في الصور ، بخلاف ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة؛ فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا[4] .

وأما ما جاء في بعض الروايات بأنَّ خُروجَها يكون من اليمن ، وفي بعض الروايات بأنها تحشر الناسَ من المشرق إلى المغرب ، فيجاب على ذلك بأجوبة:

١ ـ أنه يمكن الجمعُ بين هذه الروايات بأن كون النار تخرجُ من قَعْر

(١) فتح الباري: ١٣/ ٨٤.
(٢) أحمد: ح ٥١٤٦ ، وصححه أحمد شاكر.
(٣) البخاري: ح ٣٣٢٩.
(٤) الفتح: ١٣/ ٨٢.

عدن؛ لا تنافي حشرها الناس من المشرق والمغرب، وذلك أن ابتداء وجهها من قَعْر عدن، فإذا خرجتْ انتشرتْ في الأرض كلها، والمراد بقوله: «تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»: إرادة تعميم الحشر، لا خصوص المشرق والمغرب.

٢ ـ أن النار عندما تنتشر يكون حَشْرُها لأهل المشرق أولاً، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق، وأما جعل الغاية إلى المغرب، فلأن الشام بالنسبة للمشرق مغرب.

٣ ـ يحتمل أن تكونَ النارُ المذكورة في حديث أنس كنايةً عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم، والتهبت كما تلتهب النار، وكان ابتداؤها من قبل المشرق، وأما النار التي في حديث حذيفة وابن عمر فهي نار حقيقية.

كيفية حشرها للناس:

عند ظهور هذه النار العظيمة تنتشرُ في الأرض، وتسوق الناسَ إلى أرض المحشر، والذين يحشرون على ثلاثة أفواج:

الأول: فوج راغبون طاعمون كاسون راكبون.

الثاني: فوج يمشون تارة ويركبون أخرى، يعتقبون على البعير الواحد، وذلك من قِلَّة الظهر.

الثالث: تحشرهم النار فتحطُّ بهم من ورائهم، وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومَنْ تخلَّف أكلته النار، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يُحْشَرُ الناسُ على ثلاث طرائق: راغبين، وراهبين. واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير. وتحشر بقيتهم النار؛ تقيلُ معهم حيث قالوا، وتبيتُ معهم حيث باتوا، وتصبحُ معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»[١].

واعلمْ أنَّ هذا الحشر المذكور **يكون في الدنيا**، وليس المراد به حشر

---

(١) البخاري: ح ٦٥٢٢.

١٧٤

الناس بعد القبور ، وقد ذكر القرطبيُّ أن الحشر معناه الجمع ، وهو على أربعة أوجه: حشران في الدنيا ، وحشران في الآخرة.

أما حشر الدنيا: **فالأول** إجلاء بني النضير إلى الشام.

والثاني: حَشْرُ الناس قبل القيامة إلى الشام ، وهي النارُ المذكورة في هذه الأحاديث[1] . وأما الحشران في الآخرة فقد أشارت الآيةُ الكريمةُ إليهما ، حيث قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[2] .

وكَوْن هذا الحشر في الدنيا هو الذي ذَكَره جمهورُ العلماء ، كما ذكر ذلك القرطبيُّ وابنُ كثير وابنُ حَجَر ، وهو الذي تدلُّ عليه النصوصُ كما تقدم.

قال النوويُّ: (قال العلماء: وهذا الحشرُ في آخر الدنيا قبيل القيامة ، وقبيل النَّفْخ في الصُّور؛ بدليل قوله ﷺ : «**تحشرُ بقيتهم النار ، تبيت معهم وتقيل ، وتصبح ، وتمسي**»[3] .

وقال ابنُ كثير: (سياقُ الأحاديث يدلُّ على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في هذه الدنيا من أقطار الأرض إلى محلَّة الحشر ، وهي أرضُ الشام ، وهذا كله مِمَّا يدلُّ على أن هذا في آخر الزمان ، حيث الأكلُ والشربُ والركوبُ على الظهر المشترى وغيره ، وحيث تهلك المتخلفين منهم النار ، ولو كان هذا بعد نفخة البعث لم يَبْقَ موت ، ولا ظَهْر يُشْتَرى ، ولا أكل ولا شرب ولا لبس في العَرَصات)[4] .

وأما حشر الآخرة: فقد جاء في الأحاديث أن الناس مؤمنهم وكافرهم ، يحشرون حُفاة عُراة غُرْلاً بُهْماً ، ففي الصَّحيح عن ابن عباس قال: قام فينا

---

(١) التذكرة: ص١٩٨ .
(٢) مريم: ٨٥ ـ ٨٦.
(٣) النووي: ١٧/ ١٩٤ .
(٤) النهاية: ١/ ٣٢٠ .

النبيُّ ﷺ فقال: «**إنكم محشورون حُفاة عُراة غُرلاً**[1] ، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[2] **وإن أول الخلق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل**»[3] .

قال ابنُ حَجَر: (ومن أين للذين يبعثون بعد الموت حفاة عراة حتى يدفعوها في الشوارف)[4] . فدلَّ هذا على أن هذا الحشر يكون في الدنيا قبل يوم القيامة ، ومن ذَهَبَ إلى خلافِ ذلك فقد جانَبَ الحق.

* * *

---

(١) غير مختونين.

(٢) الأنبياء: ١٠٤.

(٣) مسلم: ح ٢٨٦٠، البخاري: ح ٦٥٢٧.

(٤) فتح الباري: ١١/ ٣٨٢ ، والشوارف: جمع شارف ، وهي الإبل الخراسانية.

المطلب الرابع
فتنة ما بعد الموت

الموتُ حَدَثٌ عظيم ، وأمرٌ كبيرٌ ، ينقلُ العبد من هذه الدار إلى الدار الآخرة ، فينقله من القصور إلى القبور ، ومن ضياء المُهُود إلى ظلمة اللحود ، ومن ملاعبة الجواري والغِلْمان ، إلى مقاسة الهوام والديدان ، ومن التمتع بالطعام والشراب ، إلى التمرغ في التراب ، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ، ومن المضجع الوفير ، إلى المصرع الوبيل ، فجديرٌ بمن كان الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مَقَره ، وباطن الأرض مستقره ، والقيامة موعده ، والجنة أو النار مورده ، أنْ لا يكون له فكرٌ إلا في الموت ، وقد قال ﷺ : **«الكَيِّسُ من دان نفسه ، وعَمِلَ لبعد الموت ، والعاجزُ من أَتْبَعَ نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني»**[1] .

وسوف نتناولُ هذا المطلبَ من خلال البحث في النقاط الآتية :

أولاً : فتنة القبر .

ثانياً : فتنة عَرَصات القيامة .

ثالثاً : فتنة النار .

أولاً : فتنة القبر :

إذا مات العبدُ قامت قيامته ، ودخل في الحياة البرزخية ، التي قال الله

(١) الترمذي : ح ٢٤٥٩ ، عن شداد بن أوس ، وقال : حسن .

عنها: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[1] والقبرُ أوّلُ منازل الآخرة ، ولذلك اشتدَّ خَوْفُ السلف منه. وفتنة القبر تشملُ أمور متعددة:

١ ـ هول القبر وفظاعته:

كان عثمانُ بن عَفَّان رضي الله عنه إذا وقف على القبر بكى حتى يبلَّ لحيته ، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، وتذكر القبر فتبكي! فقال إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**القبرُ أولُ منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشدّ منه ، قال: وسمعت رسولَ الله ﷺ يقول: ما رأيتُ منظراً أفظعَ إلا والقبر أفظع منه**»[2].

٢ ـ ظلمة القبر:

ماتتِ امرأةٌ سوداء كانت تَقُمُّ[3] المسجد في عهد رسول الله ﷺ فدفنها الصَّحابةُ في الليل، ولم يخبروا رسولَ الله ﷺ ، ففي الصباح طلب النبيُّ ﷺ منهم أن يدلُّوه على قبرها ، فجاء فصلى عليها ثم قال: «**إن هذه القبورَ مملوءةٌ ظلمة على أهلها ، وإن الله عز وجل مُنَوِّرها لهم بصلاتي عليهم**»[4].

٣ ـ ضَمَّـةُ القبر:

عندما يُوضَعُ الميتُ في قبره فإنه يضمُّه ضمَّةً لا ينجو منها أحد ، كبير أو صغير ، صالح أو طالح ، فقد جاء أن القبرَ انضمَّ على سعد بن معاذ رضي الله عنه ، وهو الذي تحرك العرشُ لموته ، وفُتِحت له أبوابُ السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «**هذا الذي تَحَرَّك له العرش ، وفُتِحَتْ له أبوابُ السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة ، لقد ضُمَّ ضَمَّةً ثم فُرِّجَ عنه**»[5].

---

(١) المؤمنون: ١٠٠.

(٢) الترمذي ، وابن ماجه ، وقال الألباني: حسن. وانظر: صحيح الجامع: ٢/ ٢٥.

(٣) تقم: تزيل القمامة أي الكناسة. مختار الصحاح: ١/ ٢٤٢.

(٤) مسلم: ح ٩٥٦.

(٥) النسائي: ح ٢٠٥٥ ، وقال الألباني في مشكاة المصابيح: سنده صحيح على شرط مسلم: ١/ ٤٩.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ للقبر ضغطةً لو كان أحدٌ ناجياً منها لنجا منها سعد بن معاذ**»[1].

ومما يدلُّ على أن الضمة لازمةٌ لكل إنسان ما ثَبَتَ عن أبي أيوب أن النبي ﷺ قال: «**لو أفلت أحدٌ من ضمة القبر ، لنجا هذا الصبي**»[2].

٤ ـ سؤال القبر:

فعن سعد بن أبي وقاص: كان النبيُّ ﷺ يتعوَّذ دبر كل صلاة بهؤلاء الكلمات: «**أعوذُ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك أن أردَّ إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من فتنة القبر**»[3].

وفتنةُ **القبر** معناها سؤال الملكين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ كان يُعلِّمهم هذا الدعاء ، كما يُعلِّمهم السورة من القرآن: «**اللهم إني أعوذُ بك من عذاب جهنم ، وأعوذُ من عذاب القبر ، وأعوذُ بك من فتنة المحيا والممات ، وأعوذُ بك من فتنة المسيح الدجال**»[4].

وفتنةُ **الممات** تشمل أمرين: سؤال الملكين ، وفتنة عَرْض الأديان على المكلَّف عند الاحتضار. فقد ذكر القرطبيُّ في التذكرة[5]: أن الشيطان يتمثَّلُ للمحتضر في صورة من يحب ، ويعرض عليه الدخول في دين اليهودية أو النصرانية ، والمعصوم مَنْ عَصَمَهُ الله. وقد وَرَدَ أن الإمامَ أحمد[6] عند الاحتضار ، كان يلقنه أصحابه الشهادتين ، فكان يقول رضي الله عنه: لا ، بَعْدُ ، لا ، بَعْدُ ، فلما أفاق سأله أصحابه عن ذلك ، فقال رضي الله عنه: إن الشيطانَ تمثل لي ، وقال: لي فُتَّنِي يا أحمد ، يريدُ أن

---

(١) الإمام أحمد: ح ٢٤٣٣٧ ، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع: ٢/ ٣٦.
(٢) الطبراني في الكبير: ح ٣٨٥٨. قال الهيثمي: رجاله رجال صحيح. وانظر: صحيح الجامع: ٥/ ٥٦.
(٣) البخاري: ح ٢٨٢٢.
(٤) مسلم: ح ٥٩٠.
(٥) التذكرة: ص ٣٨.
(٦) التذكرة: ص ٣٩.

يضلّني ، فقلت: لا ، بَعْدُ. أي: حتى تفارقَ الروحُ البدنَ[1].

وهذا يدلُّ على أن الشيطانَ يكونُ شديداً على المكلَّف حين الاحتضار ، وهذه من الفتن العظيمة ، نسأل الله التثبيت.

وأما صفةُ السؤال في القبر ، فقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: «**يأتيه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: أشهدُ أنه عبد الله ورسوله. قال: فيقال له: انظرْ إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله مقعداً إلى الجنة**». قال نبيُّ الله ﷺ: «**فيراهما جميعاً**». **قال قتادة: وذكر له أنه يُفْسَحُ له في قبره سبعون ذراعاً ، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون**[2].

٥ ـ عذاب القبر:

وعذابُ القبر ثابتٌ **بالكتاب والسُّنة وإجماع المسلمين** ، ولم يخالفْ ذلك إلا المبتدعة من هذه الأمة ، فعن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلتْ عليها فقالت: نعوذُ بالله من عذاب القبر ، فسألت عائشةُ رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ عن عذاب القبر فقال ﷺ: «**نعم ، عذابُ القبر حق**» ، قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيتُ رسولَ الله ﷺ بَعْدُ صلَّى إلا تعوَّذ من عذاب القبر[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: مَرَّ النبيُّ ﷺ على قبرين فقال: «**إنهم ليعذَّبان ، وما يُعَذَّبان في كبير ، ثم قال: بلى ، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة ، وأما أحدهما لا يستتر من بوله ، قال: ثم أخذ عوداً رطباً ، فكسره اثنتين ، ثم غَرَزَ كلَّ واحد منها على قبر ، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[4].

وفي حديث البراء المشهور أن النبيَّ ﷺ قال: «**فينادي منادٍ من السماء**

---

(١) الحلية: ٩/١٨٣ ، وسير أعلام النبلاء: ١١/٣٤٣ ، صفة الصفوة: ٢/٣٥٧.
(٢) البخاري: ح ١٣٧٤.
(٣) البخاري: ح ١٣٧٣.
(٤) البخاري: ح ٢١٦.

أنْ كَذَبَ عبدي ، فأفرشوه من النار ، وافتحوا له باباً من النار ، ويأتيه من حَرِّها وسمومها ، ويضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه»[1] .

واعلمْ أنَّ عذابَ القبر ونعيمه على الروح والبدن ، ولا يمنع ذلك عَقْلٌ ولا نقل ، فالله على كل شيء قدير ، قال ابنُ تيمية : (مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذابَ أو النعيم يحصلُ لروح الميت وبدنه ، وأن الروحَ تبقى بعد مفارقة البدن منعَّمة أو معذَّبة ، وأنها تتصلُ بالبدن أحياناً ، فيحصل معها نعيم أو عذاب)[2] .

واعلمْ أن عذاب القبر نوعان[3] :

النوع الأول: وهو العذابُ الدائمُ في القبر ، وذلك يكون للكفار والمنافقين ، فهو دائمٌ عليهم ، لا ينقطع عنهم إلى يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾[4] .

النوع الثاني: يستمرُّ مدةً ثم ينقطع ، وهذا النوعُ من العذاب هو عذاب بعض العصاة الذين خَفَّتْ جرائمهم فيعذب كل واحد على حسب جرمه ومعصيته ، ثم يخفف عنه العذاب ، أو ينقطع عنه ، وذلك إما لكون معصيته لا تستحقُّ من العذاب إلا هذا القدر ، أو بسبب حصول بعض المكفرات ، مِمَّا يكونُ للإنسان بعد موته من دعاء ولد صالح أو صدقة جارية خلَّفها في الدنيا ، أو علم ينتفع به ، كما جاء عن أبي هريرة أن النبيَّ ﷺ قال : **«إذا مات ابنُ آدم انقطع عَمَلُه إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له»**[5] .

---

(١) أحمد وأبو داود ، وصححه الألباني في كتاب الجنائز .
(٢) الفتاوى : ٤/ ٢٨٢ .
(٣) العقيدة الصافية : ١/ ١٥٦ .
(٤) غافر : ٤٦ .
(٥) مسلم : ح ١٦٣١ .

٦ ـ عرض المقعد عليه:

ومن فتن القبر: أن المكلَّف يُعْرَضُ عليه مقعده، إما مقعده في الجنة، أو مقعده في النار، فيحصلُ له من النعيم النفسي، أو الألم النفسي، ما الله به عليهم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبيَّ ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدُك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»[١].

٧ ـ عذاب الميت ببكاء الحي:

ومن فتن القبر: أن الميتَ يُعَذَّب ببكاء الحي عليه، خاصة لو أوصى بذلك، أو كان عادة أهله أنهم يفعلون ذلك، ولم يوصهم بتركه، فعندما طُعِنَ عمر ـ رضي الله عنه ـ دخل عليه صُهَيْب يبكي يقول: (وا صاحباه! فقال عمر رضي الله عنه: أتبكي علي وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه**»[٢]؟!

وقد أنكرت عائشةُ رضي الله عنها هذا الحديثَ، وقالت: حَسْبُكُمُ القرآن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٣] وقالت: إن رسولَ الله ﷺ قال: «إن الله ليزيدُ الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه»[٤].

والصحيح ما ذهب إليه جمهورُ الصحابة بأن الحديث ثابت، وأن الميت يُعَذَّب ببعض بكاء أهله عليه، ولكنَّ توجيهه كما ذكرنا سابقاً، وقد قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: (إن العذاب في هذا الحديث ليس معناه العقاب، ولكن هو التألُّم النفسي عندما يرى أهله يبكون عليه، وقد سَمَّى النبيُّ ﷺ السفرَ قطعةً من العذاب)[٥].

---

(١) البخاري: ح ١٣٧٩، مسلم: ح ٢٨٦٦.
(٢) البخاري: ح ١٢٩٠.
(٣) فاطر: ١٨.
(٤) البخاري: ح ١٢٨٨.
(٥) الفتاوى: ٢٤/ ٣٧١.

٨ ـ أسباب عذاب القبر:

والأسباب على قسمين: مُجْمل ومُفَصَّل، **أما المجمل**: فإنهم يعذبون على جهلهم بالله، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم معاصيه. **وأما المفصل**: فإن النصوص ذكرت منه الكثير، وسنذكر بعضاً منها:

١، ٢ ـ **عدم الاستتار من البول والنميمة**، وقد ذكرنا الحديثَ الذي يبين هذا سابقاً. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ امرأة من اليهود، فقالت: إن عذابَ القبر من البول، فقلت: كذبتِ، فقالت: بلى، إنا لنقرضُ منه الجلد والثوب، فخرج رسولُ الله ﷺ إلى الصلاة، وقد ارتفعت أصواتنا، فقال: «**ما هذا؟**» فأخبرته بما قالت، فقال: «**صدقت**»، فما صلَّى بعد يومئذ إلا قال دُبُرَ كل صلاة: «**ربَّ جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، أعذني من حَرِّ النار، وعذاب القبر**»[١].

٣ ـ **الغلول**، وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها: فعن عبد الله بن عمر: كان على ثِقل[٢] النبي ﷺ رجل يقال له: كركرة، فمات، فقال رسول الله ﷺ: «**هو في النار**» فوجدوا عباءةً قد غلها[٣].

وفي حديث آخر أن غلاماً للنبي ﷺ أصابه سهم عائِر[٤] فقتله في خيبر، فقال الناسُ: هنيئاً له الجنة، فقال ﷺ: «**كلا والذي نفسي بيده، إن الشملةَ التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم، لتشتعلُ عليه ناراً**» فلما سمع ذلك الناس جاء رجلٌ بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ فقال: «**شراك من نار أو شراكان من نار**»[٥].

٤ ـ ٧ ـ **الكذب، وهجر القرآن، والزنى، والربا**: هذه المعاصي أخبر ﷺ أن أصحابها يُعَذَّبون في القبر. فعن سمرة بن جندب رضي الله

---

(١) النسائي: ح ٢٠٦٦.
(٢) ثقل: المتاع المحمول على الدابة. مختار الصحاح: ١/ ٤٤.
(٣) البخاري: ح ٣٠٧٤.
(٤) الذي لا يُدرى من رماه. النهاية في غريب الحديث: ١/ ٦٥٣.
(٥) مسلم: ح ١١٥.

عنه ، قال: كان النبيُّ ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «**من رأى منكم الليلة رؤيا؟**» قال: فإن رأى أحد رؤيا قصها ، فيقول: «**ما شاء الله**». فسألنا يوماً ، فقال: «**هل رأى أحدكم منكم رؤيا؟**» قلنا: لا ، قال: «**لكني رأيتُ الليلة رجلين أتياني ، فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة ، فإذا رجلٌ جالسٌ ورجل قائم بيده كلُّوب من حديد ، يدخله في شِدْقه ، حتى يبلغ قفاه ، ثم يفعل بشِدْقه الآخر مثل ذلك ، ويلتئم شِدْقه هذا ، فيعود فيصنع مثله. قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق. فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ، ورجل قائمٌ على رأسه بفِهْر أو صخرة ، فيشدخُ به رأسه ، فإذا ضربه تَدَهْدَهَ الحَجَرُ ، فانطلق إليه ليأخذه ، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه ، وعاد رأسه كما هو ، فعاد إليه فضربه. قلت: من هذا؟ قالا: انطلق. فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيِّق وأسفله واسع يتوقَّد تحته ناراً ، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا ، فإذا خمدتْ رجعوا فيها ، وفيها رجال ونساء عراة. فقلت: من هذا؟ قالا: انطلق ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم ، فيه رجلٌ قائم ، على وسط النهر رجلٌ بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذي في النهر ، فإذا أراد أن يخرجَ رمى الرجل بحجر في فيه حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجعُ كما كان. فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق. فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرةٌ عظيمة ، وفي أصلها شيخ وصبيان ، وإذا رجلٌ قريبٌ من الشجرة بين يديه نار يوقدها ، فصعدا بي في الشجرة ، وأدخلاني داراً لم أَرَ قطُّ أحسنَ منها ، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان ، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة ، فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل ، فيها شيوخ وشباب. قلت: طَوَّفْتماني الليلة فأخبراني عما رأيت. قالا: نعم ، أما الذي رأيته يُشَقُّ شِدْقُه فكذَّاب يُحَدِّث بالكذبة ، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فيصنع به ما رأيتَ إلى يوم القيامة ، والذي رأيته يُشْدَخُ رأسُه ، فرجل علَّمه الله القرآنَ فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار ، يفعل به إلى يوم القيامة. والذي رأيته في الثقب فهم الزناة. والذي رأيته في النهر آكلو الربا. والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام ، والصبيان حوله أولاد**

الناس. والذي يُوقِد النارَ مالكٌ خازنُ النار. والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذلك منزلك. قلت: دعاني أدخل منزلي. قالا: إنه بقي لك عُمرٌ لم تستكمله، لو استكملت أتيتَ منزلك»(١).

٩ ـ المنجيات من عذاب القبر:

الذي ينجي المرء من عذاب القبر أن يكون مستعداً للموت مُشَمِّراً له، حتى إذا جاءه لم يعضَّ أصابع الندم، ومن الاستعداد للموت: الإسراعُ في التوبة، وقضاء الحقوق، والإكثار من الأعمال الصالحة، فإن الإيمان والصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد وبِرَّ الوالدين، وغيرها من الأعمال الصالحة تحفظُ العبدَ المؤمن، وبها يجعلُ الله له من كل ضيق فرجاً، ومن كل هَمٍّ مخرجاً.

جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ الميتَ ليسمعُ خَفْقَ نعالهم حين يولُّون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاةُ عند رأسه، وكان الصيامُ عن يمينه، وكان الزكاةُ عن يساره، وكان فِعْلُ الخيراتِ من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من عند رأسه فتقول الصلاةُ: ما قبلي مدخل، ثم يُؤْتَى عن يمينه فيقول الصيام: ما قِبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان للناس: ما قبلي مدخل»**(٢).

ومن المنجيات: الاستعاذة بالله من فتنة القبر وعذاب القبر، ولذلك كان النبي ﷺ يستعيذُ، ويأمرُ أصحابه بالاستعاذة، وقد مَرَّ الحديثُ قبل ذلك.

---

(١) البخاري: ح ٧٠٤٧.

(٢) ابن حبان في صحيحه: ح ٣١٠٣، عن أبي هريرة، وأحمد في مسنده: ح ٢٦٨٥٥.

١٠ ـ الذين يُعْصَمُون من فتنة القبر وعذابه:

بعضُ المؤمنين الذين قاموا بأعمال جليلة ، أو أصيبوا بمصائب كبيرة ، يأمنون فتنةَ القبر وعذابه ، فمن هؤلاء:

١ ـ **الشهيد**: فقد روى المقدامُ بن معد يكرب، قال: قال رسول الله ﷺ: **«للشهيد عند الله ستُّ خصال: يغفرُ له في أول دفعة ، ويرى مقعده في الجنة ، ويُجار من عذاب القبر ، ويأمنُ من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاجُ الوقار؛ الياقوتةُ منها خير من الدنيا وما فيها ، ويُزَوَّجُ ثنتين وسبعين زوجةً من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقربائه»**[(١)].

وعن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول الله! ما بالُ المؤمنين يُفْتَنُون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: **«كفى ببارقة السُّيوف على رأسه فتنة»**[(٢)].

٢ ـ **الذي مات مرابطاً في سبيل الله** ، فقد روى فضالةُ بن عبيد ، عن رسول الله ﷺ ، قال: **«كلُّ ميت يُخْتَمُ على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله؛ فإنه ينمي له عمله يوم القيامة ، ويأمن فتنة القبر»**[(٣)].

٣ ـ **الذي يموتُ يوم الجمعة** ، ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ ، قال: **«ما من مسلم يموتُ يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر»**[(٤)].

٤ ـ **الذي يموتُ بداء البطن** ، وقد ثبت في حديث يرويه عبد الله بن يسار ، قال: **«كنت جالساً وسليمان بن صرد وخالد بن عرفطة ـ رضي الله عنهما ـ فذكروا أن رجلاً توفي؛ مات ببطنه ، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهدا جنازته ، فقال أحدهما للآخر: ألم يقلْ رسولُ الله ﷺ: من يقتله بطنه فلن يُعَذَّبَ في قبره؟ فقال الآخر: بلى. وفي رواية: صدقت»**[(٥)].

---

(١) الترمذي: ح ١٦٦٣ ، وقال: حسن صحيح.

(٢) النسائي: ح ٢٠٥٤.

(٣) الترمذي: ح ١٦٢١ ، قال: حسن صحيح.

(٤) أحمد: ح ٦٥٩٣ وهو حسن ، حسنه الألباني في آداب الجنائز.

(٥) النسائي: ح ٢٠٥٢.

ثانياً: فتنة العَرَصات:

العَرَصات: جمع عرصة؛ وهو كلُّ موضع واسع لا بناء فيه[1]. وفتنة العَرَصات تشملُ كل حدث بعد القيام من القبور حتى استقرار الفريقين في الجنة أو السعير. وتشمل أموراً عديدة منها:

١ ـ صفة القيام من القبور لأهل المعاصي والفجور، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[2].

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما وغيره: (وأما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم، فإنهم يُساقون عنفاً إلى النار عطاشاً)[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يُحْشَرُ الناسُ يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنف مشاة، وصنف ركباناً، وصنف على وجوههم**»، قيل: يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «**إن الذين أمشاهم على أقدامهم قادرٌ على أن يمشيهم على وجوههم يوم القيامة، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك**»[4].

قال الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾[5].

وفي الصَّحيح عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لما سُئل كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: «**الذي أمشاهم على أرجلهم قادرٌ على أن يمشيهم على وجوههم**»[6].

٢ ـ هيئة الناس في الحشر:

يُحْشَرون حُفاة عُراة غُرْلاً، ففي الحديث عن أنس أن النبي ﷺ قال:

---

(١) النهاية: ١/٦٠٤، مختار الصحاح: ١/١٨٩.
(٢) مريم: ٨٥ ـ ٨٦.
(٣) ابن كثير: ٤/٤٤.
(٤) الترمذي: ح ٣١٤٢.
(٥) الإسراء: ٩٧.
(٦) البخاري: ح ٦٥٢٣، مسلم: ح ٢٨٠٦.

«إنكم تُحْشَرون حُفاة عُراة غُرلاً ـ ثم قرأ ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ وأول من يُكْسَى من الخلائق إبراهيم»[1].

٣ ـ اسوداد وجوه الكافرين يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾[4].

قال ابن كثير: زرقة العيون من شدة الأهوال[5].

٤ ـ رؤية النار تقودها الملائكة:

فعن ابن مسعود رضي الله عنه: (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمان سبعون ألف ملك يَجُرُّونها)[6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنها قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يخرج عنقٌ من النار يوم القيامة، له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق، يقول: إني وُكِّلْتُ بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا؟! مع الله إلهاً آخر، وبالمصوِّرين»**[7].

٥ ـ دنوُّ الشمس من الرؤوس وغرق الناس في عرقهم:

فعن المقداد بن الأسود قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«تدنو الشمس يوم القيامة من الخَلْق، حتى تكون منهم كمقدار الميل.** (قال سليم بن عامر الراوي: فو الله ما أدري ما معنى الميل، أمسافة الأرض أم الميل التي تكتحل به العين)، **فيكون الناسُ على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكونُ إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون**

---

(١) مسلم: ح ٢٣٦٠، البخاري: ح ٦٥٧٢.
(٢) آل عمران: ١٠٦.
(٣) طه: ١٠٢.
(٤) عبس: ٤٠ ـ ٤١.
(٥) ابن كثير: ٣/ ١٦٠.
(٦) مسلم: ح ٢٨٤٢.
(٧) الترمذي: ح ٢٥٧٤، وقال: حسن صحيح.

إلى حقويه[1] ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يعـرقُ النـاسُ يـوم القيامة حتى يذهبَ عَـرَقُـهم في الأرض سبعين ذراعـاً ، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**»[3].

٦ ـ اختلاط الناس رجالاً ونساء لا يواري بعضهم عن بعض عورته:

فعن عائشة رضي الله عنها أنها سمعتِ الرسولَ ﷺ يقول: «**يُحْشَرُ الناسُ يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُـرْلاً**» ، قلت: يا رسولَ الله الرجال والنساء جميعاً ينظرُ بعضُهم إلى بعض ، قال: «**يا عائشة الأمرُ أشدُّ من أنْ يهمهم ذلك**» ، وفي لفظ: «**الأمر أهمُّ أن ينظر بعضُهم إلى بعض**»[4].

٧ ـ خِفَّة موازين الكفار وما يعتريهم من الخوف والرعب:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجلُ العظيمُ السَّمين يوم القيامة لا يزنُ عند الله جناحَ بعوضة ، اقرؤوا إن شئتم** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾[5]»[6].

٨ ـ فتنة الصراط وهو مضروب على جهنم:

وهو أَحَـدُّ من السيف ، وأدقُّ من الشعرة ، وتُـرْسَـلُ الأمانـة والرحـم فتقومان جانب الصراط ، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة ، مأمورة بأخذ من أُمِرَتْ به ، وقد أحاط بالصراط سماطان من الملائكة دعاؤهم: اللهم سلِّم سلِّم ، وإن الكلاليب التي في جهنم ، والتي تخطف الناس ، مثل شوك السعدان ، وهو نبتٌ له حسك ، معروف عند أهل البادية.

فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لما سُئِلَ عن الصراط:

---

(١) الحقو: موضع إمساك الإزار. مختار الصحاح: ١/ ٦١.
(٢) مسلم: ح ٢٨٦٤.
(٣) مسلم: ح ٢٨٦٣ ، والبخاري: ح ٦٥٣٢.
(٤) البخاري: ح ٦٥٢٧ ، ومسلم: ح ٢٩٥٠.
(٥) الكهف: ١٠٥.
(٦) البخاري: ح ٤٧٢٩.

«**مَدْحَضَة مَزَلَّة ، عليها خطاطيفُ وكلاليبُ وحسكة مفلطحة ، لها شوكة عُقَيْفاء يقال لها: السَّعْدان**»[1].

وفي لفظ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**به كلاليبُ مثل شوك السَّعْدان ، غير أنه لا يعلم ما قدر عِظَمِهِ إلا الله ، تخطفُ الناس بأعمالهم**»[2].

ووَرَدَ عن أبي سعيد أنه قال: (بلغني أن الصراطَ أدقُّ من الشعرة ، وأحدُّ من السيف)[3].

وفي حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «**فيمرُّ المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب ، فناجٍ مُسَلَّم ، ومخدوش مُرْسَل ، ومُكَرْدَسٌ على وجهه في جهنم**»[4].

٩ ـ فتنة منع أناس من هذه الأمة عن الحوض المحمدي:

فعن أسماء رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال: «**أنا على حوضي أنتظر من يَرِدُ عليَّ ، فيؤخذ بأناس من دوني ، فأقول: أمتي! فيقال: لا تدري ، مشوا على القهقرى**»[5]. وكان ابن مُلَيْكة يقول: (اللهم إني أعوذُ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن) ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا فرطكم على الحوض ، ليرفعن إليّ رجالٌ منكم حتى إذا أهويت لأناديهم اختلجوا من دوني ، فأقول: أي أصحابي ، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[6].

قال ابنُ حَجَر: (وحاصلُ ما حمل على حال المذكورين ، أنهم إن كانوا ممن ارتد عن الإسلام فلا إشكال من تبرؤ النبي ﷺ ، وإن كانوا ممن لم

---

(١) البخاري: ح ٧٤٣٩.
(٢) البخاري: ح ٦٥٧٣ ، مسلم: ح ١٨٢٠.
(٣) مسلم: ح ١٨٢٠.
(٤) مسلم: ح ١٨٣٠.
(٥) البخاري: ح ٧٠٤٨.
(٦) البخاري: ح ٦٥٧٦ ، مسلم: ح ٦٥٨٤.

يرتد، ولكن أحدث معصية كبيرة من أعمال البدن، أو اعتقاد في القلب مخالف، فإنه يحتمل أن يكون أعرض عنهم، ولم يشفع لهم؛ اتباعاً لأمر الله حتى يُعاقَبُوا على جناياتهم، ولا مانعَ من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبار من أمته، فيخرجون عند إخراج الموحِّدين من النار)[1].

المخرج من فتنة العَرَصات:

١ - **تحقيق الإيمان لله الحق عز وجل**، فالله وليُّ المؤمنين وهو يدفع عنهم كلَّ أذى وشر، قال الله تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾[3] فدلَّتِ الآيةُ على أن هذا اليوم ميسَّر على المؤمنين، قال تعالى: ﴿ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾[4]. قال ابن عباس: (إنما هي ساعة فيقيل أولياء الله على الأسِرَّة مع الحور العين، ويقيل أعداء الله مع الشياطين مقرنين)[5].

نقل ابنُ كثير عن بعض السلف أنه قال: (إن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس، وإنهم يتقلَّبون في رياض الجنة حتى يخرج الناس من ذلك، وذلك قوله تعالى: ﴿ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾)[6].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لما سُئل: يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم! فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنه ليخفَّف على المؤمن حتى يكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا**»[7].

---

(١) الفتح: كتاب الرقاق.
(٢) الأنبياء: ١٠٣.
(٣) الفرقان: ٢٦.
(٤) الفرقان: ٢٤.
(٥) ابن كثير: ٣/٣٢٧.
(٦) نفس المرجع.
(٧) أحمد: ١١٧١٧.

٢ ـ تحقيق صفات من يظلُّهم الله في ظله يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه:

فقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلُّهم اللهُ في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأةٌ ذاتُ منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شمالُه ما تنفق يمينه، ورجل ذَكَر اللهَ خالياً ففاضتْ عيناه**»[1].

وعن أبي اليسر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من أنظر معسراً أو وَضَعَ عنه أظلَّه اللهُ في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه**»[2].

وقد تتبع الإمامُ ابنُ حَجَر صفات الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فأوصلها إلى أربعين خصلة، وزاد السخاوي عليه، فأوصلها إلى اثنتين وسبعين خصلة، ولكن معظمها أحاديث في سندها مقال.

ثالثاً: فتنة النار:

من أعظم الفتن والمِحَن التي خَلَقها اللهُ عز وجل النار التي جعلها الله دارَ عقابٍ للكافرين، والعصاة من الموحِّدين، وقد جعل الله تعالى نار الدنيا لتذكر بنار الآخرة، قال تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾[3]. فهي دارٌ ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها السَّعير، شرابهم فيها الحميم، ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، وما لهم منها فكاك، قد شُدَّتْ أقدامُهم إلى النَّواصي، واسودَّتْ وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها، وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجتْ منا

---

(١) البخاري: ح ٦٦٠٠، مسلم: ح ١٠٣١.
(٢) مسلم: ح ٣٦٠٠.
(٣) الواقعة: ٧٣.

الجلود ، يا مالك أخرِجْنا منها فإنا لا نعود ، النار من فوقهم والنار من تحتهم ، والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم ، فهم في غرف من النار ، طعامهم وشرابهم النار ، نسأل الله السلامة. ونحن بعون الله نذكر طرفاً من هذه الفتنة ، نسأل الله أن يعيذنا منها.

مشروعية الاستعاذة من النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسولُ الله ﷺ : **«ما استجار عبدٌ من النار سبع مرات ، إلا قالت النار: يا رب إن عبدك فلان استجار مني فَأَجِرْهُ. ولا سأل عبدٌ الجنةَ سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلان سألني فَأَدْخِلْهُ الجنة»**[1].

شدة حَرِّها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«اشتكتِ النارُ إلى ربها فقالت أَكَلَ بعضي بعضاً ، فجعل لها نفسين نفساً في الشتاء ونفساً في الصيف ، أما نفسها في الشتاء فزمهرير، وأما نفسها في الصيف فسموم»**[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ناركم هذه جزءٌ من واحد وسبعين جزءاً من نار جهنم»** ، قالوا: والله إن كانت لكافية ، قال: **«إنها فضلت عليها بتسع وستين جزءاً كلهن مثل حرها»**[3].

ظلمتها وسوادها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **«أُوقد على النار ألفُ سنة حتى احمرَّتْ ، ثم أُوقد عليها ألف سنة حتى ابيضَّتْ ، ثم أُوقد عليها ألفُ سنة حتى اسودَّتْ ، فهي سوداءُ كالليل المظلم»**[4].

---

(١) أبو يعلى في مسنده: ح ٦١٩٢ ، قال المنذري في الترغيب والترهيب: إسناده على شرط البخاري ومسلم: ٣٤٨/٤.

(٢) الترمذي: ح ٢٥٩٢ ، وقال: صحيح.

(٣) البخاري: ح ٣٢٦٥ ، مسلم: ح ٢٣٤٣.

(٤) الترمذي: ح ٢٥٩١ ، وقال: الصحيح أنه موقوف ، وابن ماجه: ح ٤٣٢٠.

جبالها وأوديتها:

قال الله تعالى: ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾[1].

قال ابن كثير: قال ابن عباس: (صعوداً: صخرة في جهنم يُسْحَبُ عليها الكافرُ على وجهه)، وقال السدي: (صخرة ملساء في جهنم يُكَلَّف الكافرُ أن يصعدها)[2].

وقال ابن جرير: (قال قتادة: صعوداً: أي: عذاباً لا راحة فيه)[3].

وقد ورد في حديث ضعيف عن الترمذي أن صعوداً: (جبل في نار جهنم يتصعَّد فيه الكفار سبعين خريفاً، ثم يهوي بهم كذلك)[4].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ويل: واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره**»[5].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعوَّذُوا بالله من جُبِّ الحزن، أو وادي الحزن**»، قيل: يا رسول الله! وما جُبُّ الحزن؟ قال: «**واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة، أعده الله للقرَّاء والمرائين**»[6].

بُعْدُ قعرها:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فسمعنا وَجْبةً، فقال ﷺ: «**تدرون ما هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا حجرٌ أرسله الله في جهنم، منذ سبعين خريفاً، الآن حين انتهى إلى قعرها**»[7].

---

(١) المدثر: ١٧.
(٢) ابن كثير: ٤/ ٤٤٢.
(٣) ابن جرير: ١٤/ ١٦٦.
(٤) ضعيف الترغيب والترهيب للألباني: ٢/ ٤٣٩، ح ٢١٣٧.
(٥) الترمذي: ح ٣١٦٤، وابن حبان: ح ٦٤٦٧.
(٦) البيهقي في البعث والنشور: ح ٥٣٠، وقال: حسن.
(٧) مسلم: ح ٢٨٤٤.

وقودها:

عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[1] (قال: هي حجارة من كبريت، خلقها الله يوم خَلَقَ السموات والأرض في السماء الدنيا، يَعُدُّها للكافرين)[2].

حَيَّاتها وعقاربها:

عن عبد الله بن الحارث قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ في النار حَيَّاتٍ، كأمثال أعناق البُخْت؛ تلسعُ إحداهن اللسعة، فيجد حموتها سبعين خريفاً، وإن في النار عقارب، كأمثال البغال الموكفة، تلسع إحداهنَّ اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة**»[3].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (في تفسير قوله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾[4] قال: زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال)[5].

شراب أهل النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الجحيمَ ليصبُّ على رؤوسهم فينفذ الحميم، حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه، حتى يمرق من قدميه، وهو الصَّهْر، ثم يعودُ كما كان**»[6].

طعام أهل النار:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

---

(١) التحريم: ٦.

(٢) رواه الحاكم: ٢/ ٤٩٤، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أحمد: ٤/ ١٩١، والحديث حسن، انظر صحيح الترغيب والترهيب: ٣/ ٤٧٧، ح ٣٦٧٦.

(٤) النحل: ٨٨.

(٥) أبو يعلى: ح ٢٦٥٩، والحاكم: ٤/ ٥٣٩، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر صحيح الترغيب والترهيب: ٣/ ٤٧٨، ح ٣٦٧٨.

(٦) الترمذي: ح ٢٥٨٢، وقال: حسن صحيح.

حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1] فقال ﷺ: **«لو أنَّ قطرةً من الزقُّوم قطرتْ في دار الدنيا لأفسدتْ على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه!»**[2].

أجسام أهل النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب السَّريع»**[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«ضِرْسُ الكافر مثل أُحُد، وفخذه مثل البيضاء، ومقعدُه من النار كما بين قديد ومكة، وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار»**[4].

تفاوتهم في العذاب وذكر أهونهم عذاباً:

عن سَمُرة بن جُنْدب رضي الله عنهم أن النبيَّ ﷺ قال: **«منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم تأخذه النارُ إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته[5]، ومنهم من تأخذه النارُ إلى عنقه، ومنهم من تأخذه النارُ إلى ترقوته[6]»**[7].

وعن النعمان بن بشير أن النبيَّ ﷺ قال: **«إن أهونَ أهل النار عذاباً رجلاً في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغُه، كما يغلي المرجلُ بالقمقم[8]»**[9]. وفي لفظ: **«إن أهونَ أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان**

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) الترمذي: ح ٢٥٨٥، وقال: حسن صحيح.

(٣) البخاري: ح ٦٥٥١، مسلم: ح ٢٨٥٢.

(٤) أخرج مسلم أوله: ح ٢٨٥١، وأخرجه الترمذي بلفظه: ح ٢٥٧٧.

(٥) موضع عقد الإزار من جهة الصدر. مختار الصحاح: ١/٦١.

(٦) الترقوة: العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق. مختار الصحاح: ١/٤٠.

(٧) مسلم: ح ٢٨٤٥.

(٨) القمقم: وعاء لتسخين الماء ويصنع من النحاس وغيره. مختار الصحاح: ١/٢٤٠.

(٩) البخاري: ح ٦٥٦١.

من نار ، يغلي منها دماغُه ، كما يغلي المرجلُ ، ما يرى أن أحداً أشدُّ منه عذاباً ، وإنه لأهونهم عذاباً»[1] .

شدة العذاب :

عن أنس رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**يُؤْتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار ، فَيُصْبَغُ في النار صَبْغَةً ثم يقال له: يا بن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مَرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشدِّ الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة ، فيصبغ صبغةً في الجنة ، فيقال له: يا بن آدم ، هل رأيت بؤساً قط؟ هل مَرَّ بك من شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ، ما مَرَّ بي بؤس قط ، ولا رأيتُ شدة قط»**[2] .

بكاء أهل النار وشهيقهم :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (إن أهلَ النار يدعون مالكاً ، فلا يجيبهم أربعين عاماً ، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[3] ، ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾[4] ، فلا يجيبهم مثل الدنيا ، ثم يقول: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[5] ، ثم ييأس القومُ ، فما هو إلا الزفير والشهيق تشبه أصواتُهم أصواتَ الحمير ، ولها شهيق ، وآخرها زفير)[6] .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**يُرْسَلُ البكاءُ على أهل النار ، فيبكون حتى تنقطع الدموع**»[7] ، وفي لفظ: «**ثم يبكون الدم حتى**

---

(١) مسلم: ح ٢١٣.
(٢) مسلم: ح ٢٨٠٧.
(٣) الزخرف: ٧٧.
(٤) المؤمنون: ١٠٧.
(٥) المؤمنون: ١٠٨.
(٦) البيهقي في البعث والنشور ، والحاكم: ٥٩٨/٤ ، وقال: صحيح على شرطيهما ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: رواته محتج بهم في الصحيح.
(٧) ابن ماجه: ح ٤٣٢٤ ، قال المنذري: رواته ثقات ، احتج بهم البخاري ومسلم إلا يزيد الرقاشي.

يصير بوجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت»[1].

كيف يتقي الإنسان النار:

لما كان الكفرُ هو السببَ في الخلود في النار، فإن النجاة من النار تكون بالإيمان والعمل الصالح، ولذا فإن المسلمين يتوسلون إلى ربهم بإيمانهم كي يخلِّصهم من النار: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[3].

وقد فَصَّلَتِ النصوصُ هذا الموضوع، فبينتِ الأعمال التي تقي النار، فمن ذلك:

الصدقة والكلمة الطيبة: فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرة، فمن لم يجدْ فبكلمة طيبة»**[4].

محبة الله: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«والله لا يلقي الله حبيبه في النار»**[5].

الصيام في سبيل الله: عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال: **«مَنْ صام يوماً في سبيل الله، باعَدَ الله وجهه عن النار سبعين خريفاً»**[6].

---

(١) ابن ماجه: ح ٤٣٢٤، قال المنذري: رواته ثقات، احتج بهم البخاري ومسلم إلا يزيد الرقاشي.

(٢) آل عمران: ١٦.

(٣) آل عمران: ١٩١، ١٩٢.

(٤) البخاري: ح ١٤١٧، ومسلم: ح ١٠١٦.

(٥) أحمد، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع: ٦/١٠٤.

(٦) البخاري: ح ٢٨٤٠، مسلم: ح ١٢٥٣.

وعن عثمان بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «**الصومُ جُنَّةٌ من عذاب الله**»[1].

مخافة الله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يلجُ النارَ مَنْ بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع**»[3].

الجهاد في سبيل الله: عن أبي عبس وهو عبد الرحمن بن جبر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما اغبرَّتْ قدما عبداً في سبيل الله فتمسّه النار**»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا يجتمعُ كافر وقاتله في النار أبداً**»[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يجتمعُ على عبدٍ غبارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنم**»[6].

استجارة العبد بالله من النار: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[7].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما سأل أحدٌ اللهَ الجنة ثلاثة إلا قالت الجنة: اللهم أدْخِلْه الجنة، ولا استجار رجلٌ مسلم من النار ثلاثة إلا قالت النار: اللهم أجره مني**»[8].

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المرفوع قال ﷺ في ذِكْر الملائكة الذين يلتمسون مجالسَ الذِّكْر، وفيه: «**أنَّ الله عز وجل يسألهم وهو أعلمُ**

---

(١) أحمد: ح ١٧٩٢٩، والنسائي: ح ١٦٣٩.
(٢) الرحمن: ٤٦.
(٣) الترمذي: ح ٢٣١١، أحمد: ح ١٠٥٦٥.
(٤) البخاري: ح ٢٨١١.
(٥) مسلم: ح ١٨٩١.
(٦) الترمذي: ح ٢٣١١.
(٧) الفرقان: ٦٥ ـ ٦٦.
(٨) البخاري، ومسلم.

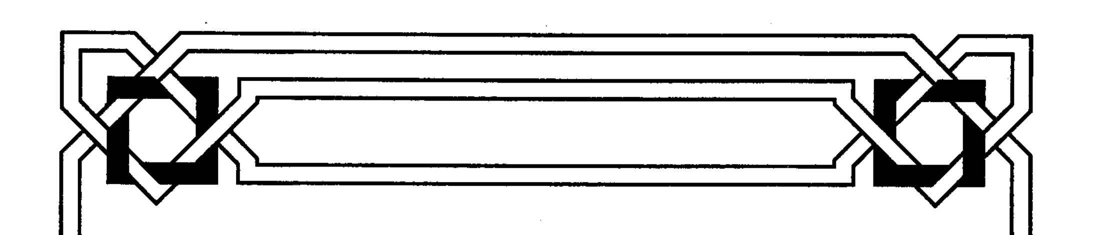
بهم ، فيقولون مِمَّ يتعوذون؟ فيقولون: من النار ، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها ، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد مخافة ، فيقول: فأشهدكم أني غفرتُ لهم»[1][2].

* * *

---

(١) ابن ماجه: ح ٤٣٤٠ ، الترمذي: ح ٢٥٧٢.

(٢) انظر مبحث الشيخ/ عمر الأشقر في كتاب القيامة الصغرى والقيامة الكبرى.



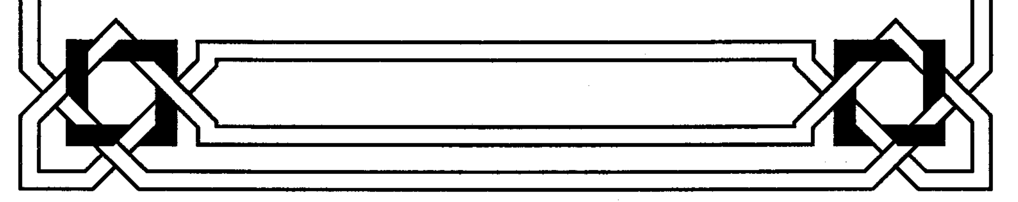
الفصل الثاني
موقف المسلم من الفتن

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **موقف المسلم قبل الفتن**

المبحث الثاني: **موقف المسلم أثناء الفتن**

المبحث الثالث: **موقف المسلم بعد الفتن**



الفصل الثاني
موقف المسلم من الفتن

مدخل:

المسلمُ يعتقدُ أن الحياةَ الدُّنيا خَلَقها الله، وجعلها دارَ ابتلاء وتمحيص، فهو يعلمُ أنه مفتونٌ لا محالة، لذلك يعدُّ العدةَ الإيمانية للتحصُّن من هذه الفتن، فهو يعلمُ أن الناسَ هلكى إلا العالمين، والعالمون هلكى إلا العاملين، والعاملون هلكى إلا المخلصين، والمخلصون على خطر عظيم. فالمسلم في هذه الدار بين شيطان يضله، ونفس تخدعه، وهوى يضلّه، وكافر يقاتله، ومنافق يتربَّصُ به، ومسلم يؤذيه، لذلك فهو يتأهَّبُ لهذه المحن بالوسائل الشرعية، فالدنيا بحرٌ عميق غرق فيه أناس كثيرون، فلا نجاةَ حتى تكون سفينتك تقوى الله، وحشوها العمل الصالح، وشراعها التوكل على الله حتى تنجو، والأعمال بالخواتيم. فالأمرُ خطيرٌ عظيم، يقول النبيُّ ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**»، فغطَّى أصحابُ النبي ﷺ وجوههم ولهم خنين[1].

وفي رواية: «**وما تلذَّذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله عز وجل**»[2].

---

(١) البخاري: ح ٥٤٠، مسلم: ح ٢٣٥٩، والخنين: هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف.

(٢) الترمذي: ح ٢٣١٢، ابن ماجه: ح ٤١٩٠.

المخارج العامة من الفتن:

١ - الاعتصام بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ ففيهما النجاة من كل فتنة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

وثَبَتَ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**وإني تاركٌ فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا: كتاب الله، وسُنَّة نبيه**»[٢]. فكتابُ الله عز وجل فيه نبأ من قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحُكْم ما بيننا، وهو الفصلُ ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبلُ الله المتين والصراط المستقيم، والنور المبين، من قال به صدق، ومن عمل به أُجِرَ، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه فقد هُدِي إلى صراط مستقيم. وأخبر النبيُّ ﷺ أن الذي لا يعتصم بسنته فهو هالكٌ لا محالةَ، فعن أبي موسى أن النبيَّ ﷺ قال: «**إن مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قومه، فقال: يا قوم! إني رأيتُ الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاةَ، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا، فانطلقوا على مهلتهم، وكذبتْ طائفةٌ منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبَّحهم الجيش فأهلكهم، واجتاحهم، فذلك مثلُ من أطاعني، واتَّبع ما جئتُ به، ومثل مَنْ عصاني وكَذَّب ما جئتُ به من الحق**»[٣].

وعن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسولُ الله ﷺ موعظـةً بليغة ذرفتْ منها العيونُ، ووجلتْ منها القلوبُ، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظـةُ مودع! فأوصنـا، قال: «**عليكـم بسُنَّتي وسُنَّـة الخـلفـاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحْدَثاتِ الأمور، فإن كلَّ مُحْـدَثـةٍ بِـدْعـةٌ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[٤].

---

(١) آل عمران: ١٠١.

(٢) الحاكم: ٣/١٦١، ح ٤٧١١، عن زيد بن أرقم، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين.

(٣) مسلم ح: ٢٢٨٤.

(٤) الترمذي: ح ٢٦٧٦، أبو داود: ح ٤٦٠٧.

٢ ـ الإيمان الصادق والعمل الصالح الخالص الموافق للشريعة:

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[(١)] والحياةُ الطيبةُ: راحةُ القلب، وطمأنينة النفس، والقناعة برزق الله، وإدراك لذَّة العبادة، والحياة الطيبة تستلزمُ السَّلامة من الفتن، وإذا تحققَ الإيمانُ والعملُ الصالح، أثمر الولاية، قال الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[(٢)].

وأولياء الله نفى اللهُ عنهم الخوفَ فيما يستقبلون والحزن على ما خلفوا، وبشَّرهم بالفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، وذلك يتضمَّنُ السلامةَ والعِصْمةَ من الفتن. ومِنْ ثمار الإيمانِ دَفْعُ الله عن أهله، وإنجاؤه لهم من كل مكروه وفتنة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾[(٣)].

ومن ثمار الإيمان **حصولُ الأمن التام** من جميع الوجوه، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[(٤)] وهذا يتضمَّنُ الأَمْنَ من الفتن.

ومن ثمار الإيمان **التثبيتُ**: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[(٥)] وذلك يتضمَّنُ عِصْمَتَهم من الفتن المضلَّة، وتثبيتهم في القبر حين السُّؤال.

٣ ـ ومن العواصم من الفتن ملازمة التقوى:

وذلك بامتثال أمره، واجتناب نهيه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾[(٦)]

---

(١) النحل: ٩٧.
(٢) يونس: ٦٢ ـ ٦٤.
(٣) الحج: ٣٨.
(٤) الأنعام: ٨٢.
(٥) إبراهيم: ٢٧.
(٦) الطلاق: ٢ ـ ٣.

وفي هذا خروجٌ من الفتن والشدائد ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[1] .

فالمؤمن المتقي ييسرُ اللهُ أموره في الدنيا والآخرة ، ويُجَنِّبه العسرى ، وهي كل محنة وفتنة ، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] .

والفلاحُ يتضمَّنُ حصولَ المطلوب، والنجاة من المرهوب، والسلامة من الفتن، وهذا حاصلٌ لمن اتقاه حق التقوى ، وهو أن يُطاعَ فلا يعصى ، وأنْ يُذكر فلا ينسى، وأن يُشْكَر فلا يُكْفَر. قال طَلْقُ بن حبيب: إذا جاءت الفتنة فأطْفِئوها بتقوى الله، قيل: وما تقوى الله؟ قال: أن تعملَ بطاعة الله على نورٍ من الله ، ترجو ثوابَ الله ، وأن تتركَ معصية الله على نور من الله ، تخشى عقابَ الله[3] .

٤ ـ ومن العواصم من الفتن: **التوكُّلُ على الله**:

والاعتماد عليه وحده في جَلْب المنافع ودَفْع المضارِّ ، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[4] .

ومن كان الله كافيه فلا مَطْمَعَ لعدوِّه فيه. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (حسبنا الله ونِعْمَ الوكيل ، قالها إبراهيمُ عليه السلام حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قال الناس له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[5])[6] .

وقد جعلتُ الكلامَ في هذا الفصل في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف المسلم قبل الفتن.

المبحث الثاني: موقف المسلم أثناء الفتن.

المبحث الثالث: موقف المسلم بعد الفتن.

---

(١) الطلاق: ٤.

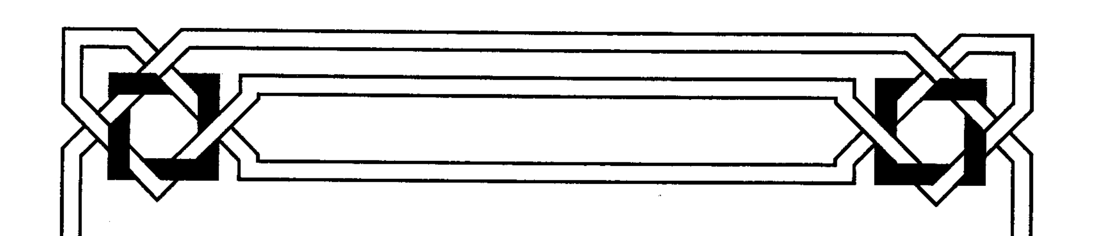
(٢) البقرة: ١٨٩.

(٣) جامع العلوم والحكم: ١/ ١٩٢.

(٤) الطلاق: ٣.

(٥) آل عمران: ١٧٣.

(٦) البخاري: ح ٧٣٨٣ ، مسلم ح: ٢٧١٧.



المبحث الأول
موقف المسلم قبل الفتن

وذلك في مطالب:

المطلب الأول: التعوذ والدعاء.

المطلب الثاني: التسلُّح بالعلم.

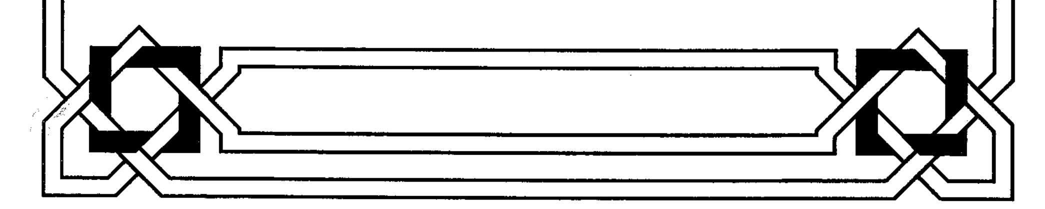
المطلب الثالث: تقويةُ الجانب الإيماني قبل وُقُوع الفتنة.

المطلب الرابع: مصاحبةُ أهل العلم والصَّالحين.

المطلب الخامس: الابتعاد عن مَواردِ الفِتَنِ.

المطلب السادس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب السابع: الجهاد في سبيل الله.



المطلب الأول
التعوذ والدعاء

الدَّعاءُ من أنفع الأدوية، وهو عدوُّ البلاء، يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاحُ المؤمن وعمودُ الدين. عن ثوبان رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا يردُّ القدرَ إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البِرُّ، وإن الرجلَ ليحرمُ الرزق بالذنب يصيبه**»[(١)].

فالدعاءُ ينفعُ مِمَّا نزل وما لم ينزل، فإن البلاءَ لينزلُ فيتلقاه الدعاء فيعتلجان بين السماء والأرض إلى يوم القيامة، فهو من أقوى الأسباب في دَفْع المكاره وحُصول المطلوب، لكن قد يتخلَّف أثره عنه؛ إما بضعفه في نفسه، بأن يكون دعاء لا يحبه الله؛ وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله؛ وإما لحصول مانع من الإجابة؛ من أكل الحرام، ورَيْن الذنوب على القلوب؛ واستيلاء الغفلة والشهوة. فالأدعيةُ والتعوذاتُ بمنزلة السِّلاح، والسلاح ليس بحدِّه فقط، لكن أيضاً بضاربه، فمتى كان السلاحُ سلاحاً تاماً لا آفة فيه، والساعدُ ساعداً قوياً، والمانعُ مفقوداً، حصلتِ النكايةُ في العدو، ومتى تخلَّف واحدٌ من هذه الثلاثة تخلَّف التأثير، فإذا كان الدعاءُ في نفسه غير صالح، والداعي لم يجمعْ بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثمة مانع من الإجابة لم يحصلِ الأثرُ.

وقد أمر اللهُ عباده بدعائه ومسألته، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[(٢)]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ

---

(١) الترمذي: ح ٢٢٣٩، انظر صحيح الترمذي: ٢/ ٢٢٥.

(٢) غافر: ٦٠.

﴿دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1]. وذلك لأن الدُّعاءَ هو حقيقةُ العبادة، ففيه يظهرُ ذُلُّ العبودية، وعِزُّ الربوبية، فعن النعمان بن البشير رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة، ثم قرأ** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]»[3].

والله عز وجل جَوادٌ كريم، يحبُّ أن يُسْأَل، ففي الحديث عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**من لم يَسْأَلِ اللهَ يغضبْ عليه**»[4].

وحقيقةُ الدعاء: إظهار الافتقار إلى الله، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سِمَةُ العبودية، لأنه استشعارٌ للفقر والفاقة، وفيه معنى الثناء على الله، وإضافة الكرم والجود له، والله يحبُّ المدح والثناء، وللدعاء خواصٌّ منها: أنه عبادة، وإخلاصٌ، وحَمْد، وشكر، واستغاثة، وقد بَيَّن الله تعالى أنه لولا الدعاء لهلك الناس، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾[5].

ولذلك كان أنبياءُ الله ورُسُلُه أعظمَ الناس دعاءً لربهم في جميع أحوالهم في السَّراء والضَّراء، فقد أخبر اللهُ عز وجل عن نبيه يونس عليه السلام أنه دعا فاستجاب الله له، فقال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[6].

ولذلك قال ﷺ: «**ما دعا بها رجلٌ مسلمٌ في شيء قط ـ أي دعوة ذي النون ـ إلا استجاب الله له**»[7].

وقد أمر النبيُّ ﷺ بالتَّعوُّذ بالله من الفتن قبل وقوعها، فعن زيد بن

---

(١) البقرة: ١٨٦.
(٢) غافر: ٦٠.
(٣) الترمذي: ح ٣٣٧٢، وقال: حسن صحيح.
(٤) الترمذي: ح ٣٣٧٤، وقال: صحيح، وابن ماجه: ح ٣٨٢٧.
(٥) الفرقان: ٧٧.
(٦) الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨.
(٧) الترمذي: ح ٣٥٠٥.

ثابت رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**تعوَّذوُا بالله من الفِتن، ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ**»(١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث الرؤيا الطويل: «**أتاني الليلةَ ربِّي في أحسن صورة. . .**» **فذكر الحديث، وفيه قوله تعالى**: «**يا محمد إذا صليت فقل اللهم إني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردتَ بعبادك فتنةً فاقبضنا إليك غيرَ مفتونين**»(٢).

وقد كان السلفُ نموذجاً فريداً في حُسْن الصلة بالله في حالة الرخاء قبل أن تأتي الشَّدائد، حتى إذا نزلتِ الشدائدُ فدعوا الله استجابَ الله لهم، تصديقاً لقول النبي ﷺ: «**تَعَرَّفْ إلى الله في الرخاء يَعْرِفْكَ في الشدة**»(٣).

وعن عبد الله بن عامر قال: (لما تشعَّب الناسُ في الطعن على عثمان رضي الله عنه قام أبي - عامر بن ربيعة - يُصلِّي من الليل، ثم نام، قال: فقيل له: قُمْ فاسأل الله أن يعيذَكَ من الفتنة التي أعاذ منها عباده الصالحين، قال: فقام فدعا ثم نام، قال ولده: فمرض فما رُئي خارجاً حتى مات)(٤).

واعْلَمْ أنَّ العبدَ إذا كان بينه وبين الله دعاءٌ خاصٌّ عند الرخاء يقتضي ميلَ القلب إليه بالكلية، والانقطاع إليه، والأنس به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له، ولَّد له هذا الدعاء دعاء خاصاً لربه، وهي تقتضي محبة الله له، وتقريبه له، وإجابته لدعائه عند الشدائد، وهذا هو معنى الحديث فيما يرويه ﷺ عن ربه: «**لا يزالُ عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتهُ كنت سَمْعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به،**

(١) مسلم: ح ٢٢٠٠.
(٢) أحمد في مسنده: ح ٣٤٨٣، وانظر صحيح الترمذي: ٣/ ١٦٨.
(٣) الترمذي: ح ٢٥١٦.
(٤) ابن أبي شيبة: ١٥/ ٢٣.

ويده التي يبطش بها ، ورِجْله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذني لأعيذنَّه»[١].

ولما هرب الحَسَنُ من الحَجَّاج ، دخل إلى بيت حبيب بن محمد ، فقال له حبيب : يا أبا سعيد! أليس بينك وبين ربك ما تدعوه به فيسترك من هؤلاء ، ادْخُلِ البيتَ ، فدخل ، ودخل الشُّرطُ على أثره ، فلم يروه[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ سَرَّه أن يستجيبَ اللهُ له عند الشدائد فليكثرْ من الدعاء في الرخاء**»[٣].

وقال سلمانُ الفارسي: إذا كان الرجلُ دعا في السراء فنزلت به ضراء ، فدعا الله تعالى ، قالت الملائكة: صوتٌ معروف ، فشفعوا له ، وإن كان ليس بدعاء في الرخاء فنزلت به ضراء ، فدعا الله؛ قالت الملائكة: صوت ليس بمعروف ، فلا يشفعون له[٤].

ولذلك لما دعا يونسُ عليه السلام في بطن الحوت ، استجاب الله له ، لأنه تَعَرَّفَ إلى الله في الرخاء ، فعرفه في الشدة ، ولما دعا فرعون في الشدائد قال الله له: ﴿ ءَآلۡـَٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[٥] ، فلم يستجبْ له.

وقال في حَقِّ يونس عليه السلام: ﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾[٦] .

أهم ما يسأل العبدُ ربه:

العبدُ يسأل ربه كلَّ شيء يحتاجه من أمور الدنيا والآخرة ، لأنَّ الخزائنَ

---

(١) البخاري: ح ٦٥٠٢.
(٢) جامع العلوم والحكم: ١/ ٢٣.
(٣) الترمذي: ح ٣٣٨٢ ، وقال: حديث غريب.
(٤) جامع العلوم والحكم: ١/ ٢٣١.
(٥) يونس: ٩١.
(٦) الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤.

كلها بيد الله: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[1].

وهو سبحانه لا مانعَ لما أعطى، ولا مُعْطي لما منع، كما كان النبيُّ ﷺ يقول: «**اللهم لا مُعْطِيَ لما منعت، ولا مانعَ لما أعطيتَ، ولا ينفعُ ذا الجدّ منك الجدّ**»[2].

وقد أمر اللهُ تعالى بسؤاله فقال: ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾[3]. وعن أبي مسعود البدري أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**سَلُوا اللهَ من فضله، فإن الله يحبُّ أن يُسْأَل، وأفضلُ العبادة انتظارُ الفرج**»[4].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**ليسألْ أحدُكم ربَّه حاجته كلها، حتى يسأل شِسْعَ نَعْلِه إذا انقطع**»[5].

ولكن من أهمِّ ما يدعو المسلمُ به ربَّه ما يلي:

١ ـ سؤال الهداية:

قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[6] لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ﴾[7]. وإذا وُفِّق العبدُ فقد جُنِّب أسبابَ الفتن.

وكان من دعائه ﷺ وهو يستفتح صلاة الليل: «**اهْدِني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[8]. وعلَّم النبيُّ ﷺ عليّاً رضي الله عنه أن يدعو فيقول: «**اللهم إني أسألك الهدى والسَّداد**»[9].

---

(١) الحجر: ٢١.
(٢) مسلم: ح ٥٣٩.
(٣) النساء: ٣٢.
(٤) الترمذي: ح ٣٥٧١.
(٥) الترمذي: ح ٣٦٠٧، وقال: حسن.
(٦) الفاتحة: ٥.
(٧) الأعراف: ١٧٨.
(٨) مسلم: ح ٧٧٠.
(٩) مسلم: ح ٢٧٢٥.

٢ ـ سؤال الله المغفرة من الذنوب:

لأن الذنوبَ لو غُفِرَتْ أَمِنْتَ شَرَّ عقوبتها، وأَمِنْتَ من البلاء والمحنة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[1].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**قال الله تعالى: يابن آدم إنك ما دَعَوْتني ورَجَوْتني غفرتُ لك ما كان منك ولا أبالي، يابن آدم لو بلغتْ ذنوبُك عَنَانَ السماء، ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يابن آدم لو أتيتني بِقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»[2].

٣ ـ سؤال الله الجنة والاستعاذة من النار:

وقد سأل النبيُّ ﷺ الأعرابيَّ فقال له: «**ما تقول في الصلاة؟**» قال: أتشهد ثم أسألُ الله الجنة، وأعوذُ به من النار، أما والله ما أحسنُ دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبيُّ ﷺ: «**حولها نُدَنْدِنُ**»[3].

٤ ـ سؤال الله العفو والعاقبة في الدنيا والآخرة:

لحديث العباس قال: قلت: يا رسول الله علِّمْني شيئاً أسأل الله به، قال: «**سَلِ الله العافية**» فمكثتُ أياماً، ثم جئتُ فقلت: يا رسول الله! علِّمْني شيئاً أسأله الله، **قال**: «**يا عباس يا عم رسول الله، سَلِ اللهَ العافيةَ في الدنيا والآخرة**»[4]. وإذا عُوفي العبدُ جُنِّب الفتن.

٥ ـ سؤال الله الثبات على الدين حتى الممات وحُسْن العافية في الأمور كلها:

لحديث عمرو بن العاص أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ قلوبَ بني آدم كلها بين**

---

(١) طه: ٨٢.

(٢) الترمذي: ح ٣٥٤٠، وقال: حسن صحيح.

(٣) أبو داود: ح ٧٩٢، وابن ماجه: ٩٠٠، وصححه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه: ١/ ١٥٠.

(٤) الترمذي: ح ٣٧٦١، وقال: صحيح. وانظر: صحيح الترمذي: ٣/ ١٧٠.

أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفه حيث شاء» ثم قالﷺ : **«اللهم مُصَرِّفَ القلوب صَرِّفْ قلوبنا على طاعتك»**[1] .

وعن بُسْر بن أرطاة رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيَّﷺ يدعو: **«اللهم أحسنْ عاقبتنا في الأمور كلها ، وأَجِرْنا من خِزْي الدنيا وعذاب الآخرة»**[2] .

٦ ـ سؤال الله دوامَ النعمة والاستعاذة من زوالها ، وأعظمُ نعمة هي نعمةُ الدين والسَّلامة من الفتن:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ كان يدعو: **«اللهم أصلحْ لي ديني الذي هو عِصْمةُ أمري ، وأصلحْ لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي إليها مَعَادي ، واجعلِ الحياةَ زيادةً لي في كل خير ، واجْعَلِ الموتَ راحةً لي من كل شر»**[3] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ كان يدعو فيقول: **«اللهم إني أعوذُ بك من زوال نعمتك ، وتحوُّل عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك»**[4] .

٧ ـ الاستعاذة من جهد البلاء ، ودَرْك الشَّقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن النبيَّﷺ كان يتعوَّذُ من سوء القضاء ، ودَرْك الشقاء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن جهد البلاء»[5] .

شروط قبول الدعاء:

حتى يُقْبَلَ دعاءُ العبد ، ولا سيما فى التعوذ من الفتن وسوى ذلك ، لا بُدَّ من شروط ، وهي معروفةٌ ، أدلَّتها مشهورة ، نذكر منها:

١ ـ الإخلاص.

---

(١) مسلم: ح ٦٢٥١ .
(٢) أحمد: ح ١٧٦٤٦ ، وحسنه المنذري فى الترغيب والترهيب.
(٣) مسلم: ح ٢٧٢٠ .
(٤) مسلم: ح ٢٧٣٩ .
(٥) مسلم: ح ٢٧٠٧ .

٢ ـ المتابعة للنبي ﷺ وعدم الاعتداء في الدعاء.

٣ ـ الثقة بالله واليقين بالإجابة.

٤ ـ حضور القلب، والخشوع، والرغبة فيما عند الله من الثواب، والرهبة مما عنده من العقاب.

٥ ـ الجزم، والعزم، والجِدَّ في الدعاء.

موانع قبول الدعاء:

١ ـ التوسُّع في أكل الحرام أكلاً وشرباً ولبساً وتغذية.

٢ ـ الاستعجال، وترك الدعاء.

٣ ـ ارتكاب المعاصي والمُحَرَّمات.

٤ ـ الدعاء بإثم، أو قطيعة رحم.

٥ ـ ترك الواجبات التي أوجبها الله.

٦ ـ الحكمة الربانية فيعطى غير ما سأل[١].

* * *

---

(١) انظر هذا المبحث في كتاب (شروط الدعاء وموانع الإجابة): ص ٢٣، ومابعدها.

المطلب الثاني
التَّسلُّح بالعلم

العِلْمُ الشَّرعي حصنٌ حصينٌ ، يتقي به المؤمنُ الشبهات ، فهو النور والبصيرة التي بها يبصرُ المرءُ مسالكَ الطريق ودروبه ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(1) .

والعلمُ هو الفرقانُ الذي يفرق به المؤمن بين الحق والباطل ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾(2) . وهو الغوث الذي يغيثُ القلوب ، فهو حياةُ القلوب بعد موتها ، ونورُ القلوب بعد ظلمتها ، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾(3) .

والعلمُ يكبتُ الشَّهوات ويضعفها ، لأنه يورثُ المراقبة والخوف من الله تعالى ، يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ ﴾(4) .

وبالعلم تنجلي الشُّبهاتُ والظُّلُمات ، قال الله تعالى: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(5) . ولذلك نَفعَ العلمُ

---

(1) يوسف: ١٠٨ .
(2) الأنفال: ٢٩ .
(3) الشورى: ٥٢ .
(4) القصص: ٨٠ .
(5) الرعد: ١٩ .

أصحابه عند نزول الشُّبهات ، فلم يخوضوا فيها ، قال سفيان الثوري: (العالمُ يعرفُ الفتنة وقت إقبالها ، فإذا أدبرت يعرفها العالم والجاهل)[1].

وفي الحديث عن أبي بكرة قال: لقد نفعني اللهُ بكلمةٍ سمعتها من رسول الله ﷺ أيام معركة الجمل بعدما كدتُ أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم ، قال: لما بلغ رسولُ الله ﷺ أن أهل فارس قد مَلَّكوا عليهم بنت كسرى ، قال ﷺ : «**لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة**»[2].

وهكذا ينفعُ العلم أهله ، ففقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد.

والعلمُ مُقَدَّم علىٰ العمل، قال البخاري: باب العلم قبل القول والعمل، لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[3] . ولذلك هو مقدَّم على صلاة النافلة؛ لأن فضله متعد ، فقد قال الشافعيُّ: (طَلَبُ العلم خير من صلاة النافلة)[4] ولذلك جعل الله التعليم من وظائف الرسل ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[5].

ولما كان تعليمُ العلم خيره متعدٍّ ، صلى الله وصلَّت الملائكة وغيرهم على مُعَلِّم الناس الخير ، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**إنَّ اللهَ وملائكته وأهلَ سمواته وأرضه حتى النملة في جُحْرها ، وحتى الحيتان في البحر ليصلون على معلم الناس الخير**»[6].

فضائل العلم:

استشهد اللهُ بالعلماء في أَجَلِّ شهادة ، وقارن شهادتهم مع شهادته وشهادة ملائكته وهذه رفعةٌ لهم ، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

(١) العواصم من الفتن: ص ٣٠.
(٢) البخاري: ح ٤٤٢٥.
(٣) البخاري: ١/ ٢٥٢ ، مع الفتح.
(٤) جامع بيان العلم وفضله: ١/ ١٢٣.
(٥) آل عمران: ١٦٤.
(٦) الترمذي: ح ٢٦٨٥ ، وقال: حسن غريب.

﴿هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[1] .

وأخبر تعالى أن العلماءَ هم أهلُ الدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾[2] . فقد قال ﷺ : «**إن الله يرفعُ بهذا الكتاب أقواماً ، ويضع به آخرين**»[3] .

وأخبر أنهم لا يستوون مع أهل الجهل ، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4] .

وقد أمر اللهُ نَبِيَّـهُ ﷺ أن يتزوّد من العلم ، فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[5] .

والعلمُ مِنَّـةٌ من الله على عباده ، ولذلك افتخر نبيُّ الله سليمان بهذه النعمة ، فقال تعالى عنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾[6] . حتى الطيور افتخرتْ بهذه الفضيلة ، فهذا هو هُدْهُدُ سليمان يقول الله تعالى عنه: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[7] . ومن أجل فضيلة العلم جعل الله صَيْدَ الكلب المعلم حلال ، وصيد غيره ميتة حرام.

وأما السُّنَّةُ فقد أخبر النبيُّ ﷺ أن هذه الدنيا لا خَيْرَ فيها إلا من أجل العلم والتعلم والذِّكْر ، فقال ﷺ : «**الدنيا ملعونةٌ ، ملعونٌ ما فيها إلا ذِكْر الله تعالى ، وما والاه ، وعالماً ومتعلماً**»[8] .

وبَـيَّن الشَّارعُ أن سُلُوكَ طريق العلم؛ هو سلوكُ الطريق إلى الجنة ،

---

(١) آل عمران: ١٨ .
(٢) المجادلة: ١١ .
(٣) مسلم: ح ٨١٧.
(٤) الزمر: ٩ .
(٥) طه: ١١٤ .
(٦) النمل: ١٦ .
(٧) النمل: ٢٢ .
(٨) الترمذي: ح ٢٣٢٢ ، وقال: حسن غريب.

وهو جهادٌ في سبيل الله ، فقد قال ﷺ : «**مَنْ خَرَجَ في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**»[1] .

وفى الحديث: «**مَنْ سَلَكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً سَهَّل الله له طريقاً إلى الجنة**»[2] . وفي الحديث: «**فضلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماءَ ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثُوا ديناراً ولادرهماً ، وإنما ورَّثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**»[3] . وهو من الأعمال التي يجري ثوابُها على صاحبها بعد الموت ، ففي الحديث: «**إذا مات ابنُ آدم انقطع عَمَلُه إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له**»[4] .

وقد دعا النبيُّ ﷺ لمن حفظ العلم وبلّغه فقال: «**نَضَّر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلَّغه كما سمعه ، فرب مبلّغ أوعى من سامع**»[5] .

وأخبر النبيُّ ﷺ أنه إذا أراد الله بالعبد خيراً فقَّهه في الدين ، فقال: «**من يرد اللهُ به خيراً يُفَقِّهه في الدين**»[6] .

وأما الآثار عن السَّلف فهي كثيرة ، منها ما وَرَدَ عن أبي الدرداء أنه قال: (كُنْ عالماً أو متعلِّماً أو مستمعاً أو محباً ، ولا تكن الخامس فتهلك)[7] . أي: معادياً أو مبغضاً للعلماء[8] .

وقال لقمانُ الحكيم لولده: (يا بُنَيَّ جالسِ العلماءَ وزَاحِمْهُم بركبتيك؛ فإن الله يحيي القلوبَ بالحكمة كما يحيي الأرضَ الميتة بوابل السماء)[9] .

---

(١) الترمذي: ح ٢٦٤٧ ، وقال: حسن غريب.
(٢) مسلم: ح ٢٦٩٩ .
(٣) الترمذي: ح ٢٦٨٥ .
(٤) مسلم: ح ١٦٣١ ، والترمذي: ح ١٣٧٦ .
(٥) الترمذي: ح ٢٦٥٦، وقال: حسن صحيح ، وابن حبان: ح ٦٦ ، ٦٩ عن ابن مسعود.
(٦) البخاري: ح ٧١.
(٧) جامع بيان العلم وفضله: ١/ ٥٣ .
(٨) جامع بيان العلم وفضله: ١/ ١٤٨ .
(٩) تهذيب الأسماء للنووي: ٢/ ٣٨٠.

ولما حضرت معاذاً الوفاةُ قال: (مرحباً بالموت، مرحباً بزائر جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، اللهم إنك تعلمُ أني لم أكن أحبُّ البقاء في الدنيا لجري الأنهار، ولا لغرز الأشجار، ولكن كنتُ أحبُّ الدنيا لمكابدة الليل الطويل، ولظمأ الهواجر، ولمزاحمة العلماء بالرُّكَب في حِلَقِ الذكر)(١).

وقد ورد عن معاذ رضي الله عنه أنه قال: (تعلَّموا العلمَ فإن تعلُّمه خشية، وطَلَبُه عبادة، ومذاكرته تسبيحٌ، والبحثُ عنه جهاد، وتعليمه لمن يعلمه صدقة، وبَذْلُه لأهله قُرْبة، لأنه معالمُ الحلال والحرام، وهو الأنيسُ في الوحشة، والصاحبُ في الخلوة، والدليلُ على السراء والضراء، والسلاحُ على الأعداء، يرفعُ الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تُقْتَصُّ آثارهم، ويُقْتَدَىٰ بأفعالهم، ترغبُ الملائكةُ في مجالستهم، وبأجنحتها تمسُّهم، ويستغفرُ لهم كلُّ رطبٍ ويابس، التفكر فيه يعدلُ الصيام، ومدارسته تعدلُ القيام، به توصلُ الأرحام، وبه يُعْرَفُ الحلالُ من الحرام، وهو إمامٌ والعملُ تابعه، يُلْهَمُهُ السُّعداء، ويُحْرَمُهُ الأشقياء)(٢).

وقد قال عليٌّ رضي الله عنه: (العلمُ خيرٌ من المال، المالُ تحرسه، والعلمُ يحرسك، والمالُ تفنيه النفقة، والعلمُ يزكو بالإنفاق، والعلم حاكم والعالمُ محكوم عليه، مات خُزَّانُ المال وهم أحياء، والعالمون باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودةٌ، وآثارهم في الخَلْق موجودة)(٣).

ما هو العلم الذي نريده؟

إنه ليس الثقافات العصرية، ولا العلوم الجدلية، ولا المباحث الكلامية، إنما نريد عِلْمَ الكتاب والسُّنَّة.

كلُّ العلوم سوى القرآنِ مَشْغَلَةٌ ... إلا الحديثَ وعِلْمَ الفقه في الدِّينِ
العلمُ ما كان فيه قال حَدَّثنا ... وما سوى ذلك وَسْواس الشَّياطينِ

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: ١/ ٥٧.
(٢) جامع بيان العلم وفضله: ١/ ٥٥.
(٣) جامع بيان العلم وفضله: ١/ ٥٧.

وقد قال الشافعيُّ: (حُكْمي في أصحاب الكلام أن يُضْرَبُوا بالجريد والنعال، ويُحْمَلُوا على الإبل، ويُطافُ بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاءُ مَنْ ترك الكتاب والسنة، وأقبل على عِلْم الكلام)[1].

أقسام العلوم:

تنقسم العلومُ بالنسبة لطلب المكلَّف إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ فرض عين:

وهو تعلُّم المكلَّف ما أوجب الله عليه، من التوحيد، وأركان الإسلام، وما يلزمه من المعاملات.

فقد كان عمرُ يضربُ التجار بالدّرة في الأسواق، ويقول: (تعلَّموا أحكامَ البيع؛ فإن من اتَّجر في السوق ولم يتعلَّم أحكام البيوع أكل الربا شاء أم أبى) وفي رواية يقول عليٌّ: (الفقهُ قبل التجارة، إنه من يتَّجر قبل أن يفقه ارتضم في الربا ثم ارتضم)[2].

٢ ـ فرض الكفاية:

وهو تحصيلُ ما لا بُدَّ منه، في إقامة أمور الدين والدنيا، فإذا قام به بعضُهم سقط عن الآخرين.

٣ ـ مستحب:

وهو التبحُّر في أصول الأدلة والإمعان فيما وراء القدر؛ الذي يحصلُ به فرض الكفاية[3].

كيفية التعلم:

للتعلم وسائلُ ينبغي للعبد أن يسلكها؛ فمنها:

١ ـ تقوى الله عز وجل:

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ١٤١.

(٢) الفقيه المتفقه: ١/ ١٧٢، ح ١٦٤.

(٣) مفتاح دار السعادة بتصرف: ١/ ١٦١، جامع بيان العلم وفضله: ١/ ١٠.

فقد قال اللهُ تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] .

وهي أهمُّ الوسائل ، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[2] . ثم ذكر بعدها: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[3] . ممَّا يدلُّ على أن المعاصي سَبَبٌ لمنع الإنسان من إصابة الحق. قال الشافعي:

شكوتُ إلى وكيعٍ سُوءَ حِفْظي فدلَّني على تَرْكِ المعاصي
وأخبرني أن علمَ الله نورٌ ونورُ الله لا يُهْدَى لعاصي

٢ ـ ملازمة العلماء والمشايخ:

فهذه هي الطريقةُ المثلى ، اقتداءً بسلفنا الصالح ، وهذا العلمُ الشرعي من خصائصه أنه يُؤْخَذ بالتلقي ، كما أخذ النبيُّ ﷺ القرآنَ من جبريل عليه السلام ، وأخذه جبريلُ عن ربِّ العزة جل جلاله ، يقول أبو الدرداء: (مالي أرى علماءكم يذهبون وجُهّالكم لا يتعلمون ، فتعلَّموا قبل أن يُرْفَعَ العلم ، فإن رَفْعَ العلم ذهابُ العلماء)[4] .

فالعِلْمُ الشرعي لا يُؤْخَذُ من الكتب فقط ، ولكن بالتلقي ، بل الاقتصار على الكتب بلية من البلايا ، ورزية من الرزايا ، يقول الشافعي: (من تفقَّه من بطون الكتب ضَيَّع الأحكام)[5] . وكان بعضُ السلف يقول: (من أعظم البلية تشيخ الصحيفة)[6] .

وقيل لأبي حنيفة: في المسجد حلقة يتناظرون في العلم ، قال: ألهم رأس؟ قالوا: لا ، قال: لا يفقهون أبداً[7] .

---

(١) البقرة: ٢٨٢ .
(٢) النساء: ١٠٥ .
(٣) النساء: ١١٠ .
(٤) الدارمي: ١/ ٧٨ .
(٥) تذكرة السامع: ص ٨٧ .
(٦) نفس المرجع السابق.
(٧) جامع بيان العلم: ١/ ١٣٩ .

٣ ـ الأخذ من الكتب الشرعية:

لمن يحسن اختيار الكتب، ويعلم صحيحها من ضعيفها، ويعلم كيف يقرأ ويتفقه، لأن التعلُّمَ لا بُدَّ له من أدوات يفهم بها العلم، وهذه الوسيلةُ لابد أن يتعلَّمها المكلَّفُ من المشايخ، فعاد العلمُ إلى التلقي من المشايخ.

٤ ـ سؤال أهل العلم عند الحاجة: وهذا واجبُ العوام وكلّ من عَزَّتْ عليه مسألة، قال الله تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

معالم على طريق طلب العلم الشرعي:

١ ـ الشُّمولية في طلب العلم:

كثيرٌ من الطلبة يضيعُ وقته في طلب بابٍ من أبواب العلم، ويضيعُ بقية الأبواب؛ وهذا من زغل العلم، لأنَّ الله أَمَرَ بأخذ الدين كله، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾(٢).

وكذلك تعلُّم العلم لا بُدَّ أن يكونَ شاملاً بجميع علومه، سواء علوم الآلة، أو علوم المقصد، وكذلك لا بُدَّ من تعلُّم علم الواقع الذي تعيش فيه، حتى لا تكون منعزلاً عن مجتمعك، وحتى تستطيع أن تنزلَ النصوص الشرعية على الوقائع تنزيلاً صحيحاً، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾(٣).

يقول ابنُ القيم: (الفقيه من يطبق بين الواجب والواقع، فلكلِّ زمانٍ حُكْم، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم)(٤).

ووَرَدَ عن الإمام أحمد أنه قال: (لا ينبغي للرجل أن ينصبَ نفسه للفتوى حتى تكون فيه خمسة خصال:

---

(١) النحل: ٤٣.

(٢) البقرة: ٢٠٨.

(٣) الأنعام: ٥٥.

(٤) إعلام الموقعين: ٤/١٩٩.

١ ـ أن تكونَ له نية ، فإن لم تكنْ له نية لم يكن عليه نور ، ولا على كلامه نور.

٢ ـ أن يكونَ له حلم ، ووقار ، وسكينة.

٣ ـ أن يكون قوياً على ماهو فيه.

٤ ـ الكفاف من العيش.

٥ ـ معرفة الناس(١).

٢ ـ الربانية في طلب العلم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(٢) . قال ابنُ عباس: (ربانيين أي حُلَماء فقهاء ، وقيل: الرباني: هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره)(٣).

فَطَلَبُ العلم يحتاجُ إلى تدرُّج وتأنٍّ في طلبه ، فلا يؤخذ جملة ، بل شيئاً فشيئاً ، وينبغي أن يكون هناك توازنٌ في طلبه ، فيبدأ بالأهمِّ قبل المهم ، وبالأصول قبل الفروع ، والكليات قبل الجزئيات ، ومن العجب أن ترى المبتدئ في طلب العلم يحملُ كتباً لا تصلح إلا للمنتهي في طلب العلم ، ومن العجب أن ترى طالبَ العلم يحفظ الأحاديث الكثيرة ، ولا يجيدُ حِفْظ بل ولا قراءة كتاب الله عز وجل!

قال بدرُ الدِّين بن جماعة: (على الطالب أن يبتدئ أولاً بكتاب الله العزيز فيتقنه حفظاً ، ويجتهدُ على إتقانه بتفسيره ، وسائر علومه فإنه أصلُ العلوم وأمها وأهمها).

عن حفص بن غياث: أتيتُ الأعمشَ ليحدِّثني الحديث عن رسول الله ﷺ: فقال الأعمش: تحفظُ القرآن؟ قلت: لا ، قال: اذهبْ فاحفظِ القرآن ثم تعالَ نحدثك. وقال الوليد بن مسلم: كنا إذا جالسنا

(١) المرجع السابق نفسه.
(٢) آل عمران: ٧٩.
(٣) الفتح: ١/ ٢٥٥.

الأوزاعيَّ ورأى فينا حَدَثاً ، فقال: يا غلام! أتحفظ القرآن؟ فإن قال: نعم ، اختبره ، فقال له: اقرأ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ ، فإن قال: لا أحفظ ، قال: احفظ فتعلَّم القرآن ، ثم اطلبِ الحديث[1].

وورد عن الإمام الزهري رحمه الله أنه قال: (لا تكابر العلم فإن العلم أودية ، فإذا أخذت فيه جملةً انقطع بك قبل أن تبلغه ، ولكن خُذْه مع الأيام والليالي ، ولا تأخذه جملة ، فإنه مَنْ رام أخذه جملةً ذهب عنه جملة ، ولكن الشيء مع الشيء مع الأيام والليالي)[2].

ومعلومٌ أن ما سَهُلَ أَخْذُه وجمعه سَهُل ضياعه ونسيانه ، فالربانيةُ هي التي تورث التوازنَ في طلبه ، فالعجلةُ في التلقي نهى اللهُ رسولَه عنها ، فقال: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ﴾[3].

٣ ـ الأدب مع الناس عامة ، واللاحق مع السابق ، والصغير مع الكبير خاصة:

أدبُ المرء عنوانُ سعادته وفلاحه ، وقلَّة أدبه عنوانُ شقاوته وبواره ، فما اسْتُجْلِبَ خيرُ الدنيا والآخرة بمثل الأدب ، ولا اسْتُجْلِبَ حرمانها بمثل قلَّة الأدب. يقول عبدُ الله بن مبارك: (مَنْ تهاون بالأدب عُوقِبَ بحرمان السُّنن ، ومَنْ تهاون بالسنن عُوقِبَ بحرمان الفرائض ، ومَنْ تهاون بالفرائض عُوقِبَ بحرمان المعرفة)[4].

وقال بعضُ السلف لولده: (يا بني اجعل علمك ملحاً وأدبك دقيقاً)[5].

فالأدبُ لفظٌ جامع للفضائل والأخلاق الكريمة؛ التي تؤدي إلى المحامد ، قال ابنُ حَجَر: (الأدبُ استعمالُ ما يحمد قولاً وفعلاً ، وعبر بعضهم بأنه الأخذ من مكارم الأخلاق ، وقيل: هو الوقوفُ مع

---

(١) تذكرة السامع: ١/ ١١٢.
(٢) جامع بيان العلم وفضله: ١/ ٤٣١ ، ح ٦٥٢.
(٣) القيامة: ١٦ ـ ١٧.
(٤) المدارج: ٢/ ٣٨١.
(٥) الفروق للقرافي: ٣/ ٩٦.

المستحسنات، بل هو تعظيمُ مَنْ فوقك، والرفق بمن دونك)[1].

وقد حرص السلفُ على تعلُّم الأدب قبل العلم، فقال الحسنُ رحمه الله: (إن كان الرجلُ ليخرجُ في أدب نفسه السنتين ثم السنتين)[2].

وكان مالك يقول لفتى من قريش: (يابن أخي تعلَّمِ الأدبَ قبل أن تتعلَّم العلم)[3]. وقال مالكٌ رحمه الله: كانت أمي تعلِّمني وتقول: اذهب إلى ربيعة فتعلَّم من أدبه قبل عِلْمه)[4].

وقال بعضُ السلف: (لأن أتعلَّم باباً من أبواب الأدب أحبّ إليَّ من أن أتعلَّم سبعين باباً من أبواب العلم)[5]. وقال ابنُ وهب رحمه الله: (ما تعلَّمناه من أدب مالك أكثر مما تعلَّمناه من علمه)[6].

وانظر تأدب الصحابة مع من سبقهم بالعلم:

فعن الشَّعبي أنه قال: (صلَّى زيد بن ثابت رضي الله عنه على جنازة، ثم قربت له بغلة ليركبها، فجاء ابنُ عباس رضي الله عنهما فأخذ بركابه، فقال له زيد: خَلِّ عنها يابن عم رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: هكذا أُمِرْنا أن نفعل بأمرائنا)[7].

وقال أبو حنيفة: (ما مددتُ رِجْلي نحو دار أستاذي حماد إجلالاً له، وكان بين داري وداره سبعة سكك)[8].

---

(١) الفتح: ١٠/ ٤٠٠.
(٢) لباب الأدب: ص ٢٢٧.
(٣) الحلية: ٦/ ٣٦١.
(٤) ترتيب المدارك: ١/ ١١٩.
(٥) تذكرة السامع.
(٦) الأسير: ٨/ ١١٣.
(٧) الجامع للخطيب: ١/ ١٨٨.
(٨) مناقب أبي حنيفة للخوارزمي: ٢/ ٧.

وقال الشافعي: (كنت أتصفَّحُ الورقةَ بين يدي مالك تصفحاً رفيقاً، هيبةً له لأن لا يسمع)[1].

وقال الإمام أحمد لخَلَف الأحمر: (لا أجلسُ إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضعَ لمن تعلَّمنا منه)[2]. وسُئِل ابن المبارك بحضور سفيان بن عيينة فقال: (نُهينا أن نتكلم عند أكابرنا)[3].

وعن سَمُرة بن جُنْدب رضي الله عنه قال: (لقد كنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً فكنتُ أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن هناك رجالاً هم أسنُّ مني)[4]. وكذلك ابنُ عمر رضي الله عنهما، (هاب أن يتكلم في مجلس رسول الله ﷺ لما سأل النبيُّ ﷺ أصحابه عن المسألة، وكان ابنُ عمر يعرفها، فقال لأبيه: ما منعني أن أتكلَّم إلا لأنني لم أرك، ولا أبا بكر تكلمتما، فكرهت أن أتكلم)[5].

وعن موسى بن يسار: (كان رجاء بن حيوة وعدي بن حاتم، ومكحول في المسجد، فسأل رجلٌ مكحولاً عن مسألة، فقال مكحول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة)[6].

وقال يحيى بن معين: (الذي يحدثُ ببلد فيه من هو أحق بالتحديث منه أحمق، وإذا رأيتني أحدث ببلد فيها مثل أبي مسهر، فينبغي للحيتي أن تُحْلَق)[7].

ولما جاء مسلم بن الحجاج إلى الإمام البخاري، فَقَبَّل ما بين عينيه،

---

(١) التذكرة: ص ٨٨.
(٢) التذكرة: ص ٨٨.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٨/ ٤٢٠.
(٤) مسلم: ح ٩٦٤.
(٥) البخاري: ح ١٣١.
(٦) الفقيه والمتفقه: ٢/ ١٧٩.
(٧) السير: ٧/ ٢٣١.

وقال: (دَعْني حتى أُقَبِّلَ رجليك يا أستاذ الأسانيد، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله)[1].

وهذه الآدابُ؛ التي تَخَلَّقَ بها سَلَفُنا الصالح، مأخوذةٌ من سنة النبي ﷺ حيث يقول: «**ليس منا من لم يجلَّ كبيرنا ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**»[2].

فهذه آدابٌ قد ضاعت بين طلبة العلم، فمتى يعرفُ الصغير للكبير حقه؟ ويعرف اللاحق للسابق قدره؟ وإنما يعرف الفضلَ لأهل الفضل ذوو الفضل، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[3].

٤ ـ العلم رحم بين أهله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنَّما أنا لكم مثل الوالد لولده**»[4].

فبين العالم والمتعلم أبوةٌ دينية، قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[5]. وفي قراءة أبي: (وهو أبٌ لهم).

وهذا الرحم يقتضي تعاطفاً ومحبة وتواداً وائتلافاً، لكنَّ المتأملَ أن طلبة العلم بينهم من التنافر والتباغض ما يتعجَّبُ له المرء، إلا من رحم الله، فأين رابطةُ العلم التي توحِّد القلوب، فإذا كان اللهُ جَعَلَ المؤمنين إخوة، فقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[6].

وقال تعالى مبيناً هذه الأخوة: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[7]. فكيف بطلبة العلم؟

---

(١) البداية والنهاية: ١١/ ٣٤٠.
(٢) أحمد: ح/ ٢٢٨٢٢، وحسنه الألباني، وهو في صحيح الجامع: ح ٥٣١٩.
(٣) الحج: ٣٢.
(٤) أبو داود: ح ٨٠، وحسنه الألباني في المشكاة: ١/ ١١٢.
(٥) الأحزاب: ٦.
(٦) التوبة: ٧١.
(٧) آل عمران: ١٠٣.

وانظر إلى سَلَفِنا الصَّالح كيف كان الولاءُ بينهم يتجلَّى في أسمى صورة:

فمن ذلك ثناء بعضهم على بعض: فعن يحيى بن سعيد قال: (ذَكَر عُمَرُ فَضْلَ أبي بكر، فجعل يصفُ مناقبه، ثم قال: وهذا سيدنا بلال حسنةٌ من حسناته)[1].

وهذا ابنُ عمر يعرف لمفتي مكة عطاء بن أبي رباح فَضْلَه مع أنه تابعي، وكان يقول: (أتجمعون لي يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن أبي رباح؟!)[2].

وسأل وَلَدُ الإمام أحمد أباه: أيُّ رجل كان الشافعيُّ؟ فإني سمعتك تكثر الدعاءَ له، فقال: (يا بُنَيَّ! كان الشافعيُّ كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، فانظر هل لهذين من خَلَفٍ، أو عنهما من عِوَض)[3].

دفاع بعضهم عن بعض: لما تكلَّم رجلٌ عن عائشة رضي الله عنها عند عمار فقال عمار له: (اغرب مقبوحاً منبوحاً أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ)[4].

ولما سأل النبيُّ ﷺ في غزوة تبوك عن كعب بن مالك، فقال رجل: خلّفه يا نبيَّ الله! بُـرْداه والنظر في عِطْفيه، فقال معاذ: بئسَ ما قلت، والله ما نعلم عنه إلا خيراً[5].

ولما قالت أمُّ مِسْطَح رضي الله عنها لما عثرتْ قالت: تَعِسَ مِسْطَحُ، قالت عائشة رضي الله عنها: (بئس ما تقولين، أتقولين هذا في رجل شهد بدراً؟!)[6].

---

(١) الجامع للخطيب: ١/ ٣٤.
(٢) صفة الصفوة: ٢/ ١٤٣.
(٣) السير: ١٠/ ٤٥.
(٤) الترمذي: ح ٣٣٨٨، وأبو نعيم: ٢/ ٤٤.
(٥) مسلم: ح ٢١٢٢.
(٦) البخاري: ح ١٤١٤.

حزنهم لموت الواحد منهم: قال أيوب السختياني: (إني أخبر بموت الرجل من أهل السُّنَّة فكأني أفقدُ بعض أعضائي)[1].

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: (موتُ العالم ثلمةٌ للإسلام لا يسدُّها شيء ما اختلف الليل والنهار)[2].

دعاء بعضهم لبعض اعترافاً للجميل:

يقول أبو حنيفة: (ما صليتُ صلاةً منذ مات حماد إلا استغفرتُ له مع والده، وإني لأستغفرُ لمن تعلَّمت منه أو علمته)[3].

وقال عبدُ الله بن أحمد: سمعتُ أبي في السحر يدعو لأقوام بأسمائهم، فأين هذا التراحم بين طلبة العلم، والله لو طهرت القلوب، وحسنت النوايا لتراحم طلبةُ العلم، ولكن كما قال الله: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾[4].

٥ ـ اقتضاء العلم للعمل:

ذَمَّ اللهُ أهلَ الكتاب الذين تعلَّموا العلم ولم يعملوا به، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[5].

وقال الله تعالى في حق عالم بني إسرائيل الذي آتاه اللهُ الآيات، ولم يعملْ بها: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾[6].

وأخبر النبيُّ ﷺ: «**بأن العالم إذا لم يعملْ بعلمه فإنه يدورُ في النار حول أمعائه كما يدورُ الحمارُ في الرحى**»[7]. وذلك أنَّ العلمَ ليس مراداً لذاته، ولكن لإصلاح الظاهر والباطن، ولذلك وَصَفَ اللهُ علماءَ الآخرة بأوصاف

---

(١) الحلية: ٣/٩.
(٢) شرح السنة: ١/٣٠٧.
(٣) مناقب أبي حنيفه للخوارزمي: ٢/٧.
(٤) الجاثية: ١٧.
(٥) الجمعة: ٥.
(٦) الأعراف: ١٧٦.
(٧) البخاري: ح ٧٠٩٨.

منها أنه وصفهم بالخشية، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1]. ووصفهم بالخشوع فقال تعالى: ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[2]. ووصفهم بالتَّواضع، فقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]. ووصفهم بِحُسْنِ الخلق: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[4]. ووصفهم بالزهد، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[5].

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: (كَفَى بخشية الله علماً، وبالاغترار به جهلاً)[6]. وعن مجاهد أنه قال: (إنما الفقيهُ من يخاف الله)[7].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (ليس العلمُ عن كثرة الحديث، ولكنَّ العلمَ عن كثرة الخشية)[8].

ثبت عن علي بن أبي طالب: (أَلَا أخبركم بالفقيه كل الفقيه، مَنْ لم يُـيْئِس الناس من رحمة الله، ولم يرخِّصْ لهم في معصية الله، ألا لا خَيْرَ في علم لا فِقْهَ فيه، ولا خيرَ في فِقْهٍ لا ورع فيه، ولا خير في قراءة لا تَدَبُّر فيها)[9].

وقال الحسن: (العلمُ علمان علم على اللسان، فذلك حُجَّةُ الله عليه، وعِلْمٌ في القلب كذلك العلم النافع)[10].

---

(١) فاطر: ٢٨.
(٢) آل عمران: ١٩٩.
(٣) الحجر: ٨٨.
(٤) آل عمران: ١٥٩.
(٥) القصص: ٨٠.
(٦) جامع بيان العلم وفضله: ١/٨١٢.
(٧) الإحياء: ١/٧٦.
(٨) جامع بيان العلم وفضله: ١/٨١٢.
(٩) الفقيه والمتفقه: ٢/١٠٥٩.
(١٠) جامع بيان العلم وفضله: ١/٦٦١.

ولذلك كانوا لا يحثُّون على ازدياد العلم قبل زيادة العمل ، قالت أم سفيان الثوري لولدها وهي تعظه: (انظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك، وحلمك ، ووقارك ؟ فإن لم ترى ذلك فاعلمْ أنها تضرك ولا تنفعك)[1] .

وكان الحسن يقول: (قد كان الرجلُ يطلب العلم ، فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه وبصره)[2] .

ومن ثمرات العلم **الدعوة إلى الله** عز وجل ، فقد قال ﷺ : «**بلِّغوا عني ولو آية**»[3] . وفي الحديث: «**نَضَّر الله امرأً سمع مقالتي فحفظها فأدَّاها كما سمعها ، فربَّ مبلغ أوعى من سامع**»[4] .

فالعلمُ زكاته الإنفاق ، وذلك بالدعوة إلى الله ، ولكن بعلم وبصيرة. فالفضائلُ يمكنُ لطالب العلم أن يدعوَ الناس إليها ، وأما عِلْمُ المسائل إذا كان لا يحسنها فليدعها لمن يحسنها.

وقد ذَمَّ اللهُ تعالى من لم يَعْمَلْ بعلمه فقال: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[5] . وقال تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[6] .

وقد قال الفُضَيْلُ بن عِياض رحمه الله: (بلغني أن الفسقةَ من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة ، قبل عبدة الأوثان)[7] .

واعْلَمْ أنَّ العالم إذا لم يعملْ بعلمه حرم البركة والقبول ، يقول مالكُ ابن دينار: (إن العالم إذا لم يعملْ بعلمه زلَّت موعظته من القلوب كما يزلُّ

---

(١) صفة الصفوة: ٣/ ٨٩٨.
(٢) شعب الإيمان: ٢/ ٢٩١.
(٣) البخاري: ح ٣٤٦١.
(٤) الترمذي: ح ٢٦٥٨ ، عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٥) الصف: ٢.
(٦) البقرة: ٤٤.
(٧) الأحياء: ١/ ٦٣.

القطر عن الصفا)[1]. وقد كان سفيان الثوري يقول: (هَتَفَ العلمُ بالعمل، فإنْ أجابه وإلا ارتحل)[2].

ألا هل من مُتذكِّر! فكم من مذكر بالله ناسٍ لله، وكم من مخوف بالله جريء على الله، وكم من مُقَرِّب إلى الله بعيد عن الله، وكم من داعٍ إلى الله فارّ من الله، وكم من تالٍ لكتاب الله منسلخٌ عن آيات الله.

٦ ـ لماذا نطلب العلم:

لا شَكَّ أن العلمَ من الفضائل التي يسعى لها كلُّ مكلف، لكنْ لا بُدَّ أن تكون هناك نية في طلب العلم، لأن هناك نيات فاسدةً لطلب العلم ذكرها رسول الله ﷺ، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار**»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ تعلَّم علماً مما يُبْتَغَى به وَجْهُ الله، لا يتعلَّمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجدْ عرْف الجنة يوم القيامة**»[4].

ويوم أن يطلب العلم بهذه **النيات الفاسدة**، **يكون فتنةً على طالبه، وفتنةً على الناس**، يقول ابنُ مسعود رضي الله عنه: (كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرب فيها الكبير، وتتخذ سُنَّة، فإن غيرتْ يوماً قيل: هذا منكر، قيل: ومتى ذلك؟ قال: إذا قلت أمناؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلَّت فقهاؤكم، وكثرت قراؤكم، وتُفُقِّهَ في غير الدين، والتمست الدنيا بعمل الآخرة)[5].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الترمذي: ح ٢٦٥٤، وصححه الألباني. انظر: صحيح الترمذي: ح ٢١٣٨.
(٤) أبو داود: ح ٣٦٦٤، وابن ماجه: ح ٢٥٢٦ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ١/ ٢٥.
(٥) الدارمي في كتاب العلم: ١/ ٦٤، وجامع العلم: ١/ ٦٥٤.

ويوم أن يُطلب العلم في النيات الفاسدة ، تموت القلوب ، وتحرم لذة المناجاة والعبادة مع الله ، ويحرم التوفيق والقبول ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**أوحى اللهُ إلى بعض الأنبياء ، قل للذين يتفقهون لغير الدين ، ويتعلمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، يلبسون للناس مسكوك الضأن ، قلوبهم كقلوب الذئاب ، وألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمرُّ من الصبر ، أإياي يخدعون؟ وبي يستهزئون ، لأفتحنَّ لهم فتنة تذرُ الحليم حَيْران**»[1] .

ولكنْ هناك نياتٌ حسنةٌ يطلب من المكلَّف العمل بها؛ منها:

١ ـ **إزالة الجهل** عن نفسه؛ لأنَّ الله يحبُّ أهل العلم، فهو العليمُ الخبير.

٢ ـ **تصحيح العبادة** ، فالعبادةُ المقبولة ، هي الموافقةُ للسنة ، ولا يكون ذلك إلا بالعلم.

٣ ـ **حفظ الشريعة**؛ لأنَّ العالم وعاء ، تحفظ فيه الشريعة ، قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[2] .

٤ ـ **الذَّبُّ عن الدين** بدفع شُبَه المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وانتحال المُبْطِلين.

٥ ـ **دعوة الآخرين** ، وإيصال النَّفْع لهم ، فالعلمُ يُحيي الموتى ، ويبصر أهل العمى ، وقد قال ﷺ : «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم**»[3][4] .

٧ ـ التصدر قبل التأهل:

كثيرٌ من الطلبة يتسرع فيتصدَّر في التعليم والفتيا قبل تأهُّله ، وقبل تزكية

---

(١) ابن عبد البر بإسناد ضعيف ، ذكر ذلك العراقي في حاشيته على الأحياء: ١/ ٦٢.
(٢) العنكبوت: ٤٩.
(٣) مسلم: ح ٢٤٠٦ ، والبخاري: ح ٢٩٢٤.
(٤) شريط في فضيلة العلم للشيخ ابن عثيمين

العلماء له ، وهذا منزلقٌ خطيرٌ ينتجُ فوضى علمية لا ساحلَ لها ، ولذلك قال الشافعيُّ: (إذا تصدَّر الحَدَثُ فاته علم كثير)[1]. وقال مالك: (ما أفتيت حتى شهد لي سبعون من علماء المدينة)[2] ، وقال عمر رضي الله عنه: (تفقَّهوا قبل أن تسودوا)[3].

وسَبَبُ هذا التصدُّر الفصلُ بين الدعوة والعلم ، فيقولون: الدعوة شيء ، والفقه في الدين شيء آخر ، مع أن الصحيحَ أن العلماء هم الدعاة ، ولذلك لما تصدرت الأحداثُ انطلقت الفتاوى غير المنضبطة ، وعَمَّتِ الفوضى ، وأصبح العامي يفتي في قضايا لو عُرضت على عمر رضي الله عنه؛ لجمع لها أهل بدر ، وهذا من توسيد الأمر لغير أهله ، جاء في الحديث: «**إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظرِ الساعة ، قيل: وكيف إضاعتها؟ قال: أن يُوسَّدَ الأمرُ إلى غير أهله**»[4].

وعن مالك رحمه الله قال: (دَخَلَ رجلٌ على ربيعة بن أبي عبد الرحمن فوجده يبكي ، فقال له: ما يبكيك؟ أحدثت مصيبة! فقال: لا ، ولكن اسْتُفْتِي من لا عِلْمَ له ، وظهر في الإسلام أمر عظيم ، ولبعض من يفتي هاهنا أحق بالسجن من السُّرَّاق)[5].

وانظر إلى وَرَع الصحابة ، يقول ابنُ أبي ليلى: (أدركت مئةً وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدُهم عن المسألة فيردها إلى هذا ، وهذا إلى هذا ، حتى ترجعَ إلى الأول ، وما منهم من أحد يحدث بحديث ، أو يسأل عن شيء إلا وَدَّ أن أخاه قد كفاه)[6].

(وسُئِل القاسم بن محمد عن مسألة ، وهو أحدُ الفقهاء السبعة

---

(١) الفقيه والمتفقه: ٢/ ٨.
(٢) الفقيه والمتفقه: ٢/ ٣٢٥ ، ح ١٠٤١.
(٣) الفتح: ١/ ١٦٦.
(٤) البخاري: ح ٦٤٩٦.
(٥) إعلام الموقعين: ٤/ ٢٠٧ ، الفقيه والمتفقه: ٢/ ٣٢٤ ، ح ١٠٣٩.
(٦) جامع بيان العلم وفضله: ١/ ١٢٠.

بالمدينة، فقال: لا أحسنه، فقال له السَّائل: إني جئتُك لا أعرفُ غيرك، فقال القاسم: لاتنظر إلى طول لحيتي، وكثرة الناس حولي، فوالله لا أحسنه، فقال شيخٌ من قريش إلى جنبه: يا بن أخي الزمها، فواللهِ ما رأيناك في مجلس أنبل منك اليوم، فقال القاسم: والله لأن يقطعَ لساني أحبّ إليَّ من أن أتكلّم بما لا عِلْمَ لي به)[1].

وقيل للشعبيّ: ألا تستحي أن تقولَ لا أدري، وأنت فقيهُ العراق؟! فقال: لكن الملائكة لم تستحِ حين قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[2][3].

وسُئِل مالكٌ عن مسألة فقال: لا أدري، فقيل له: إنها مسألة خفيفة، فغضب مالك وقال: ليس في علمي شيء خفيف، أما سمعت الله يقول: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾؟![4][5].

ولذلك لا بُدَّ أن نعرفَ قدر أنفسنا، ولا يتصدَّر الطالبُ قبل التأهل، قيل للإمام ابن المبارك: فمتى يفتي الرجل؟ قال: إذا كان عالماً بالأثر، بصيراً بالرأي، عالماً بأقوال العلماء.

٨ ـ من كان شيخه كتابه، فخطؤه أكثر من صوابه:

كان السلفُ يمنعون من كانت وسيلته إلى الفقه الكتب من الفتوى والتدريس، كما كانوا يمنعون من تَلَقّي القرآنَ من المصحف من الإقراء. قال أبو زرعة: (لا يفتي الناسَ صحفي، ولايقرئهم مصحفي)[6].

ومِنْ أعظم البلية تشيُّخُ الصحيفة، قال ابنُ جماعة: (وليجتهد من أن يكون لشيخ مِمَّن له على العلوم الشرعية تمام الاطلاع، وله مع من يوثق به

(١) جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ٣٠٧.
(٢) البقرة: ٣٢.
(٣) جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ٨٣٢.
(٤) المزمل: ٥.
(٥) الفقيه والمتفقه: ٢/ ٥٧.
(٦) الفقيه والمتفقه: ٢/ ٥٧.

من مشايخ عصره كثرة ضعف ، وطُول اجتماع ، لا مِمَّن أخذ من بطون الأوراق ، ولم يعرفْ بصحبة المشايخ الحذَّاق)[1].

والتلقي عن المشايخ له فائدتان:

١ ـ يحصلُ الطالب على العلم الصافي المحقق.

٢ ـ يحصل الطالبُ على الأدب مع العلماء والشيوخ.

وذكر الشاطبيُّ أنَّ أَخْذَ العلم له طريقان:

١ ـ المشافهة.

٢ ـ المطالعة لكتب المصنفين.

وهذا الأخيرُ نافعٌ بشرطين أن يحصل له:

أ ـ أن يحصلَ من **فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب** ، ومعرفة **اصطلاحات** أهله ما يمكنه من النظر في الكتب ، وهذا لا يحصلُ إلا بالطريق الأول ، ولذلك قيل: كان العلمُ في صدور الرجال ، ثم انتقل إلى الكتب ، ومفاتحه بأيدي الرجال.

ب ـ أن يتحرَّى كتب المتقدمين من أهل العلم ، فإنه أقعد به من غيرهم من المتأخرين[2] ، لأن الدينَ في نَقْصٍ منذ موت النبي ﷺ وكذلك أهله ، لذلك كانت كتبُ المتقدمين أحرى وأقعد.

ولما نزل قولُه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾[3] بكى عمر ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما يبكيك؟**» قال: يا رسول الله! إنا كنا في زيادة من ديننا ، فأما إذا كمل فلم يكمل شيء قط إلا نقص. فقال عليه الصلاة والسلام: «**صدقت**»[4].

ولذلك ينبغي التفطُّنُ لمثل هذا ، وطلب العلم من أهله ، وشدّ الرحل

---

(١) تذكرة السامع: ص ٨٧.

(٢) الشاطبي ، الموافقات.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) ابن جرير في التفسير: ٦/ ٥٢.

إليهم ، يقول الأوزاعي: (كان هذا العلمُ كريماً يتلقَّاه الرجال بينهم ، فلما دخلت الكتب دخل فيه غيرُ أهله)[1].

ولذلك رَحَلَ سَلَفُنا الصَّالح لطلب العلم ، فرحل جابرُ بنُ عبد الله الأنصاري إلى الشام ليطلبَ حديثاً من عبد الله بن أنيس ، ورحل أبو أيوب الأنصاري لمصر لعقبة بن عامر لسماع حديث واحد[2].

وعن كثير بن قيس قال: كنتُ جالساً عند أبي الدرداء في مسجد دمشق ، فأتاه رجلٌ فقال: يا أبا الدرداء! أتيتك من مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغني أنك تُحَدِّثُ به عن النبي ﷺ ، قال: فما جاء بك تجارة؟ فقال: لا ، ولا جاء بك غيره؟ قال: لا ، قال أبو الدرداء: إني سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**من سلك طريقاً يلتمسُ فيه علماً سَهَّلَ اللهُ له طريقاً إلى الجنة**»[3].

وقال الشعبيُّ لرجل سأل عن رجل أعتق أمته ثم تزوَّجها ، فذكر له حديث النبي ﷺ عن أبي موسى: «**ثلاثةٌ لهم أجران ، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ ، والعبدُ المملوك إذا أدّى حَقَّ الله وحق مواليه ، ورجل كان عنده أَمَةٌ فأدَّبها ، فأحسن تأديبها ، وعلَّمها ، فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها وتزوَّجها ، فله أجران**»[4]. ثم قال للسائل: (خذها بغير شيء؛ كان يركبُ فيما دونها إلى المدينة).

فالعلم لا ينال براحة الجسد ، لكن ينال بالتعب والسهر.

أقبل ابنُ عباس بعد موت النبي ﷺ يتتبع أصحابه يسألهم ، فقال: (كنتُ آتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمع من رسول الله ﷺ فأجده قائلاً ، فأتوسَّد ردائي على بابه ، تصفعني الريح على وجهي حتى يخرج ، فإذا خرج قال: يا بن عم رسول الله ما لك ؟ فأقول: بلغني حديثٌ عنك ،

---

(١) السير: ٧/ ١١٤.
(٢) جامع بيان العلم وفضله: ١/ ٣٩٤.
(٣) ابن ماجه: ح ٢٢٣.
(٤) البخاري.

أنك تُحدِّثُ به عن رسول الله ﷺ فأحببتُ أن أسمعه منك ، قال: فيقول: هَلاَّ بعثتَ إليّ حتى آتيك ، فأقول: أنا أحق أن آتيك)[1]. ولذلك يقول ابن عباس رضي الله عنهما: ذللتُ طالباً فعززتُ مطلوباً.

٩ ـ العلم منحة من الله عزَّ وجلّ لأصحاب القلوب النقية ، الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، وهو محنةٌ للذين لا يريدون بأعمالهم وجه الله ، لذلك تكثر منهم الدعاوي ، ويتأتى منهم الفخرُ والإعجاب ، بل قد يتطاولون على السابقين ، ويقولون: هم رجال ، ونحن رجال.

يقول ابنُ عبد البر: (مِنْ أدب العالم تَرْكُ الدعوى لما لا يحسنه ، وترك الفخر بما يحسنه ، إلا أن يضطر إلى ذلك ، كما قال يوسفُ عليه السلام: ﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾[2])[3].

وقد أخبر النبيُّ ﷺ بهؤلاء المتعالمين؛ الذين يظنون أنهم جمعوا العلم كله ، فقال فيهم: «**يظهر الإسلامُ حتى تختلف التجارُ في البحار ، وحتى تخوض الخيلُ في سبيل الله ، ثم يظهر قوم يقرؤون القرآن ، يقولون: من أقرأ منا؟ من أعلم منا؟ من أفقه منا؟**» ثم قال لأصحابه: «**هل في أولئك خير؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: «**أولئك منكم من هذه الأمة ، وأولئك هم وقودُ النار**»[4].

يقول ابـنُ القيم: ينبغي للعبد أن يتحرَّزَ من هـذه الكلمات: أنا ، ولي ، وعندي؛ أما (أنا) فقد قالها إبليس: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾[5]. وأما (لي) فقد قالها فرعون: ﴿ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: ١/ ٨٦.
(٢) يوسف: ٥٥.
(٣) جامع بيان العلم: ١/ ١٩٢.
(٤) البزار والطبراني في الأوسط ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ١/ ١٦٦ ، ح ١٣٥.
(٥) الأعراف: ١٢.

تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾[1] . وأما (عندي) فقد قالها قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾[2] . وأحسن ما استخدمتْ هذه الكلمات في مثل قول العبد: (أنا العبد المذنب الفقير، البائس، وليُّ الذل، وليُّ الفقر، وليُّ المسكنة، وقوله: اللهم اغفرْ لي خطئي، وجدي، وهزلي، وعَمْدي، وكل ذلك عندي)[3] .

وهذا التعالمُ سببه الإعجابُ بالنفس، وليس عندها شيء، لكنها جمعت بين حَشَف وسوء كَيْل، والعُجب قرينُ الرياء، لكن الرياء من باب الإشراك بالخلق، (والعجب من باب الإشراك بالنفس، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والمعجب، لا يحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فمن حقق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إياك نعبد فقد خرج من الرياء، ومن حقق ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قد خرج من العجب)[4] .

لذلك كان سَلَفُنا يعرفون قدر أنفسهم فلا يشمخون بها؛ لأنَّ المعجب بنفسه وعلمه وعبادته فهو هالكٌ لا محالة، قيل لعمر بن عبد العزيز: إن مت ندفنك في حجرة رسول الله ﷺ، فقال: (لأن ألقى الله بكل ذنب خلا الشرك، أحبّ إليَّ من أرى نفسي أهلاً لذلك)[5] .

وقيل لابن عمر رضي الله عنهما: يا خيرَ الناس، أو يا بن خير الناس، قال: (ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبدٌ من عباد الله أرجو الله وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه)[6] .

وقال مُطَرِّفُ بن عبد الله: (لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحبُّ إليَّ من

---

(١) الزخرف: ٥١.

(٢) القصص: ٧٨.

(٣) زاد المعاد: ٢/ ٣٥٢.

(٤) فتاوى: ١٠/ ٢٧٧.

(٥) السير: ٣/ ٢٣٦.

(٦) صيد الخاطر: ص ٢٧٥.

أن أبيت قائماً وأصبح معجباً. قال الذهبي: (لا أفلح من زكَّى نفسه أو أعجبته)[1].

وانظر إلى عمر رضي الله عنه كيف كان يعلِّم الناس أن يعرفوا قدر أنفسهم، وقدر كبرائهم. (فعن أبي وائل أنَّ ابن مسعود رأى رجلاً قد أسبل، فقال: ارفع إزارك، فقال: وأنت يا بن مسعود ارفع إزارك، قال ابن مسعود: إن بساقي حموشة وأنا أَؤُمُّ الناس، فبلغ ذلك عمر، فجعل يضرب الرجل بالدرة ويقول: أترد على ابن مسعود؟!)[2].

* * *

---

(١) السير: ٣/ ٢٣٦.

(٢) السير: ١/ ٤٩٠.

المطلب الثالث
تقوية الجانب الإيماني قبل وقوع الفتنة

الإيمانُ شجرةٌ مباركة ، أصلُها في قلب المؤمن يقيناً وتصديقاً ومحبة إلى الله ، وفروعُها العمل الصالح في السماء ، تُؤْتي أُكُلها كلَّ حين بإذن ربها ، **وكلما كانت شجرةُ الإيمان قوية ، صمدتْ لرياح الفتن إذا هبت ، وكلما كانت ضعيفة ، لم تصمدْ أمام رياح الفتن ، بل اجتثتها أو أضعفتها فما لها من صمود ولا قرار أمام الفتن** ، قال الله تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[(١)] .

يقول بعضُ السلف: (مِنْ فِقْهِ العبد أن يتعاهدَ إيمانه وما ينقص منه ، ومن فِقْهُ العبد أن يعلمَ أيزداد إيمانه أو ينقص ، وإن من فِقْهِ العبد أن يعلم نزغات الشيطان من أين تأتيه)[(٢)] .

وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ: «**إن الإيمانَ ليخلقُ في جوف أحدكم كما يخلق الثوب؛ فاسألوا الله أن يجدِّدَ الإيمانَ في قلوبكم**»[(٣)] .

فقلبُ المؤمن تعتريه أحياناً سُحُبٌ مظلمة من المعصية ، فتحجب نوره فيبقى الإنسانُ في ظلمة ووحشة ، فإذا سعى لزيادة إيمانه وتقويته انقشعت تلك السحب ، وعاد نورُ القلب يضيء كما كان ، مصداقاً لحديث النبي ﷺ: «**ما من القلوب قلبٌ إلا وله سحابةٌ كسحابة القمر**

---

(١) إبراهيم: ٢٤.

(٢) نونية ابن القيم لأبي عيسى: ٢/ ١٤٠.

(٣) الحاكم: ١/ ٤ ، وهو في السلسلة الصحيحة: ح ١٥٨٥ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢١٢ ، ح: ١٥٨ : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن.

المضيء ، إذا عَلَتْـهُ سحابـةٌ فأظلم ، وإذ تجلَّت عنه فأضاء»[1] .

عوامل تقوية الإيمان :

١ ـ تدبُّـر القرآن العظيم ، الذي أنزله الله عز وجل تبياناً لكل شيء ، ولا شكَّ أن فيه علاجاً عظيماً ودواءً فعالاً ، قال الله عز وجل : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

وأما طريقة العلاج ، فهي التفكر والتدبر ، فقد كان رسولُ الله ﷺ يتدبر كتابَ الله ويردده ، وهو قائمٌ بالليل ، حتى إنه في إحدى الليالي قام يردد آيةً واحدةً من كتاب الله وهو يصلي ، لم يجاوزْها حتى أصبح ، وهي قوله تعالى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3][4] .

والقـرآنُ تـوحيـد ، ووعـد ، ووعيـد ، وأخبـار ، وقصـص ، وآداب ، وأخلاق ، وآثارها في النفس متنوعة ، وكذلك من السور ما يرهب النفس أكثر من سورة أخرى ، يدلُّ على ذلك قوله ﷺ : **«شَيَّبتني هود وأخواتها قبل المشيب»**[5] .

لقد شيبتْ رسولَ الله ﷺ لما احتوته من حقائق الإيمان ، والتكاليف العظيمة التي ملأت بثقلها قلبَ الرسول ﷺ ، فظهرت آثارُها على شعره وجسده ، وخاصة قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ﴾[6] .

قال ابنُ القيم رحمه الله : ما على المسلم أن يفعلَ لعلاج قسوة قلبه بالقرآن فيقول : (ملاك ذلك أمران ، أحدهما : أن تنقلَ قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخرة ، ثم تقبل به كله على معاني القرآن واستجلائها ، وتدبرها ، وفهم ما يراد منه ، وما نزل لأجله ، وأخذ نصيبك من كل

---

(١) أبو نعيم في الحلية : ٢/ ٦٩١ ، وهو في السلسلة الصحيحة : ح ٢٢٦٨ .
(٢) الإسراء : ٨٢ .
(٣) المائدة : ١١٨ .
(٤) أحمد ، والبزار ، والنسائي مختصراً . انظر مجمع الزوائد : ٢/٥٥٦ ، ح : ٣٦٤٥ .
(٥) رواه الطبراني : ح ٥٨٠٤ ، السلسلة الصحيحة : ٢/ ٦٧٩ .
(٦) هود : ١١٢ .

آياته ، وتنزلها على داء قلبك ، فإذا نزلت هذه الآية على داء القلب بَرَأَ القلب بإذن الله)[1] .

وقد كان أصحابُ النبي ﷺ يقرؤون القرآن، ويتدبَّرون، ويتأثرون، فهذا أبو بكر كان رجلاً أسيفاً رقيق القلب؛ إذا صلى بالناس ، وقرأ كلام الله ، لا يتمالك نفسه من البكاء[2] ، ومرض عمرُ من أثر تلاوة قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾[3] ، وسُمِع نشيجُه من وراء الصفوف[4] لما قرأ قوله تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[5] .

وقال عثمان: لو طهرتْ قلوبكم ما شبعتْ من كلام الله ، وقُتِل شهيداً مظلوماً ، ودمه على المصحف[6] ، وكان سعيد بن جبير يُرَدِّدُ هذه الآية في الصلاة ، بضعة وعشرين مرة[7] : ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾[8] .

وكان عمرُ إذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾[9] كان يسجدُ ، ويسجدُ معه الحاضرون ، ويقول معاتباً لنفسه: هذا السجود؛ فأين البكاء[10]؟!

٢ ـ **استشعار عظمة الله عز وجل**، ومعرفة أسمائه وصفاته، والتدبر فيها وعقل معانيها. والنصوص من الكتاب والسنة في عظمة الله كثيرة إذا تأمَّلها المسلم، وارتجف قلبه، وتواضعتْ نفسه لله العلي العظيم، قال الله تعالى:

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٤٤٣ ومابعدها.
(٢) الداء والدواء: ١/ ٤٣ .
(٣) الطور: ٧ ـ ٨ .
(٤) الداء والدواء: ١/ ٤٤ .
(٥) يوسف: ٨٦ .
(٦) حلية الأولياء: ٧/ ٣٠٠ .
(٧) الإحياء: ١/ ٢٨٢ .
(٨) البقرة: ٢٨١ .
(٩) الإسراء: ١٠٩ .
(١٠) ابن كثير: ٣/ ١٣٤ .

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[1] .

ومن عظمته ما أخبر عن نفسه بقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[2] .

وقال رسولُ الله ﷺ: «**يقبضُ اللهُ الأرضَ يوم القيامة، ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملكُ، أين ملوك الأرض؟!**»[3] .

ويتضعضعُ الفؤادُ، ويرجفُ القلب عند التأمل في قصة موسى عليه السلام لما قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ فقال الله: ﴿ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾[4] .

فلما فسَّر النبيُّ ﷺ هذه الآيةَ قرأها، وقال بيده هكذا، ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، ثم قال عليه الصلاة والسلام، فساخ الجبل[5]. يعني: ما تجلى إلا هذا القدر فساخ الجبل، والله سبحانه وتعالى: «**حجابه من نور لو كشفه لأحرقتْ سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بَصَرُه من خَلْقِه**»[6] .

٣ ـ طلب العلم الشرعي: وهو العلمُ الذي يؤدي تحصيله إلى خشية الله وزيادة الإيمان به عز وجل؛ كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[7] فلا يستوي في الإيمان الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فكيف يستوي من يعلم تفاصيلَ الشريعة، ومعنى الشهادتين، ومقتضياتهما، وما بعد الموت من فتنة القبر وأهوال المحشر ومواقف القيامة، وغير ذلك،

---

(١) الأنعام: ٥٩.
(٢) الزمر: ٦٧.
(٣) البخاري: ح ٦٩٤٧.
(٤) الأعراف: ١٤٣.
(٥) الترمذي: ح ٣٠٧٤، ساخ: غاص فى الأرض. النهاية فى غريب الحديث: ١/ ٤٥١.
(٦) مسلم: ح ١٧٩.
(٧) فاطر: ٢٨.

كيف يستوي هذا في الإيمان ومَنْ هو جاهل بالدين وأحكامه ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

٤ ـ لزوم حِلَق الذكر وهو يؤدِّي إلى زيادة الإيمان لعدة أسباب ، منها ما يصل فيها من ذكر الله ، وغشيان الرحمة ، ونزول السكينة ، وحفّ الملائكة للذاكرين ، وذكر الله لهم في الملأ الأعلى ، ومباهاته بهم الملائكة ، ومغفرته لذنوبهم ، كما جاء في الأحاديث الصحيحة ، ومنها قوله ﷺ : **«لا يقعدُ قومٌ يذكرون الله إلا حَفَّتهم الملائكةُ ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلتْ عليهم السكينةُ ، وذَكَرهم اللهُ فيمن عنده»**[2] .

وكان الصحابةُ رضوان الله عليهم يحرصون على الجلوس للذكر ، ويسمُّونه إيماناً، قال معاذ ـ رضي الله عنه ـ لرجل: (اجلسْ بنا نؤمنْ ساعة)[3] .

٥ ـ ومن الأسباب التي تُقوِّي الإيمان الاستكثار من الأعمال الصالحة وملء الوقت بها ، وهذا من أعظم أسباب العلاج ، وهو أمرٌ عظيم ، وأثره في تقوية الإيمان ظاهر كبير ، وقد ضَرَبَ الصِّدِّيقُ في ذلك مثلاً عظيماً لما سأل الرسول ﷺ أصحابه: **«مَنْ أصبح منكم اليوم صائماً؟»** قال أبو بكر: **أنا ، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟»** قال أبو بكر: أنا ، فقال رسول الله ﷺ : **«ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»**[4] .

وينبغي أن يراعي المسلمُ في مسألة الأعمال الصالحة أموراً منها:

ـ **المسارعة إليها** لقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

(١) الزمر: ٩ .
(٢) مسلم: ح ٢٧٠٠ .
(٣) البخاري في كتاب الإيمان: ١/ ١١ .
(٤) مسلم: ح ١٠٢٨ .

﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾[1] وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[2].

ـ **الاستمرار عليها**: يقول الرسولُ ﷺ عن ربه في الحديث القدسي: «**وما يزال عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتى أحبه**»[3]، وكلمة (ما يزال) تفيد الاستمرارية، ويقول النبي ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة**»[4]؛ والمتابعة تعني كذلك الاستمرار.

ـ **المداومة على الأعمال الصالحة**: فهي تُقَوِّي الإيمان، وقد سُئِل النبيُّ ﷺ: أي الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: «**أدومها وإن قلَّ**»[5]. **وكان النبي ﷺ إذا عمل عملاً أثبته**[6].

ـ **الاجتهاد فيها**: إنَّ علاجَ قسوة القلب لا يصلحُ أن يكونَ علاجاً مؤقتاً، يتحسَّنُ فيه الإيمانُ فترةً من الوقت، ثم يعود إلى الضعف، بل ينبغي أن يكون نهوضاً متواصلاً بالإيمان، وهذا لا يمكنُ أن يكونَ إلا بالاجتهاد في العبادة.

وقد ذَكَر اللهُ في كتابه من اجتهاد أوليائه في عبادته أحوالاً عِدَّة، فمنها: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[7] وقال الله تعالى عنهم: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[8].

ـ **عدم إملال النفس**: ليس المقصودُ من المداومة على العبادات أو

---

(١) آل عمران: ٣٣.
(٢) الحديد: ٢١.
(٣) مسلم: ح ١٩٠١، البخاري: ح ٦٥٠٢.
(٤) الترمذي: ح ٨١٠. وهو في السلسلة الصحيحة: ح ١٢٠٠.
(٥) مسلم: ح ٧٢٨.
(٦) مسلم: ح ٧٤٦.
(٧) السجدة: ١٥ ـ ١٦.
(٨) الذاريات: ١٧ ـ ١٩.

الاجتهاد فيها إيقاع النفس في السَّآمة، وتعريضها للملل؛ وإنما المقصودُ عدم الانقطاع عن العبادة، والموازنة بين الأمرين، وذلك يكونُ بأن يكلف المسلم نفسه من العبادة ما يطيق، ويسدِّد ويقارب، وينشط إذا رأى نفسه مقبلة، ويقتصد عند الفتور، وفي الحديث: **«إن الدينَ يُسْرٌ، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا»**[1] وفي رواية: **«القصدَ القصدَ فابلغوا»**[2].

- **استدارك ما فات منها:** فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«من نام عن حِزْبه من الليل، أو عن الشيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر؛ كتب له كأنما قرأه من الليل»**[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسولُ الله ﷺ إذا صلَّى صلاة داوم عليها، وكان إذا فاته القيامُ من الليل غلبته عيناه بنوم أو وَجَع صلى ثنتي عشرة ركعةً من النهار)[4].

- **رجاء القبول، مع الخوف من عدم القبول:** وبعد الاجتهاد في الطاعات، ينبغي الخوفُ من رَدِّها على صاحبها، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[5]. قالت عائشةُ: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: **«لا يا بنة الصِّدِّيق ولكنهم الذين يصومون ويصلُّون ويتصدَّقون وهم يخافون ألاَّ يُقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات»**[6]. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (لأن أتيقَّن أن الله قد تقبَّل مني صلاةً واحدةً أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها، إن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾)[7][8].

---

(١) البخاري: ح ٣٩.
(٢) البخاري: ح ٦٤٦٣.
(٣) مسلم: ح ٧٤٧.
(٤) مسلم: ح ٧٤٦.
(٥) المؤمنون: ٦٠.
(٦) الترمذي: ح ٣١٧٥.
(٧) المائدة: ٢٧.
(٨) ابن كثير: ٣/ ٦٧.

- ومن صفات المؤمنين: **احتقار النفس أمام الواجب من حَقِّ الله تعالى**، قال النبي ﷺ: «**لو أن رجلاً يجري على وجهه من يوم وُلِد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله عز وجل لحقره يوم القيامة**»[1]. فمن عرف الله، وعرف النفس؛ يتبين له أن ما معه من البضاعة لا يكفي، ولو جاء بعمل الثقلين، وإنما يقبله سبحانه وتعالى بكرمه وجوده وتفضله، ويثيب عليه بكرمه وجوده وتفضُّله.

٦ - **الإكثار من ذكر الموت**: يقولُ الرسولُ ﷺ: «**أكثروا ذِكْرَ هاذم اللذات - يعني: الموت**»[2]. وتذكُّرُ الموت يردعُ عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ولا يذكره أحدٌ في ضيقٍ من العيش إلا وسَّعه عليه، ولا ذَكَره في سعة إلا ضَيَّقها عليه، ومن أعظم ما يذكِّر بالموت زيارة القبور؛ ولذلك أمر النبي ﷺ بزيارتها فقال: «**كنت نهيتُكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنها ترقُّ القلب، وتدمع العين، وتُذكِّر الآخرة، ولا تقولوا هجراً**»[3]. بل يجوز للمسلم أن يزورَ مقابرَ الكفار للاتعاظ، والدليل على ذلك ما وَرَدَ في الصحيح أنه ﷺ زار قبرَ أمه فبكى، وأبكى من حوله، فقال: «**استأذنتُ ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزورَ قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تُذكِّر الموت**»[4]. فزيارةُ القبور من أعظم وسائل ترقيق القلوب، وينتفع الزائر بذِكْر الموت.

ومَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الموت أُكْرِم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة.

٧ - ومن الأمور التي تُجدِّد الإيمان: **التفاعل مع الآيات الكونية** ففي الحديث أنَّ رسولَ الله ﷺ **كان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه**،

---

(١) أحمد في المسند: ح ١٧٦٦٧. وهو في صحيح الجامع: ح ٥٢٤٩.

(٢) الترمذي: ح ٢٣٠٧. وهو في صحيح الجامع: ح ١٢١٠.

(٣) الحاكم: ١/ ٣٧٦. وهو في صحيح الجامع، وقد رواه مسلم مختصراً: ح ٩٧٧.

(٤) مسلم: ح ٩٦٧.

فقالت عائشة: يا رسول الله! أرى الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكونَ فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية، فقال: **«يا عائشة ما يؤمنني أن يكونَ فيه عذابٌ؟! قد عُذِّب قومٌ بالريح، وقد رأى قومٌ العذابَ فقالوا:** ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[1]. وكان ﷺ يقوم فزعاً إذا رأى الكسوف؛ كما جاء في صحيح البخاري، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: خسفت الشمس، فقام النبي ﷺ فزعاً يخشى أن تكون الساعة[2]. وأمرنا عليه الصلاة والسلام عند الكسوف والخسوف أن نفزعَ إلى الصلاة، وأخبر أنهما من آيات الله التي يخوفُ بها عباده، ولا شكَّ أن تفاعل القلب مع هذه الظواهر والفزع منها يُجدِّد الإيمان في القلب، ويذكِّر بعذاب الله، وبطشه، وعظمته، وقدرته، وقوته، ونقمته، وقالت عائشة: أخذ رسولُ الله ﷺ بيدي، ثم أشار إلى القمر فقال: **«يا عائشة! استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب»**[3].

ومن أمثلة ذلك أيضاً: التأثر عند المرور بمواضع الخسف والعذاب وقبور الظالمين، وقد روى ابنُ عمر رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال لأصحابه لما حاذوا الحِجْر (ديار ثمود): **«لا تدخلُوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم»**[4].

٨ ـ ومن الأمور بالغة الأهمية في علاج ضَعْف الإيمان ذكر الله تعالى، وهو جلاء القلوب وشفاؤها، **ودواؤها عند اعتلالها، وهو روحُ الأعمال الصالحة، وقد أمر الله به فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[5]، **ووعد بالفلاح من أكثر منه فقال:** ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6].

---

(١) مسلم: ح ٨٩٩.
(٢) البخاري: ح ١٠٥٩.
(٣) أحمد: ح ٢٦٠٥٤، وهو في السلسلة الصحيحة: ح ٣٧٢.
(٤) البخاري: ح ٤٣٣.
(٥) الأحزاب: ٤١.
(٦) الجمعة: ١٠.

وذِكْرُ الله أكبر من كل شيء قال الله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1]. وهو وصيةُ النبي ﷺ لمن كثرت عليه شرائعُ الإسلام، فقال له: «**لا يزالُ لسانك رَطْباً من ذكر الله**»[2]. وهو مرضاةٌ للرحمن، مطردة للشيطان، مزيلٌ للهمِّ والغم، جالب للرزق، فاتح لأبواب المعرفة، وهو غراسُ الجنة، وسببٌ لترك آفات اللسان، وهو سلوةُ أحزان الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به، فعوَّضهم الله بالذكر الذي ينوبُ عن الطاعات البدنية والمالية، ويقوم مقامها.

وتَرْك ذكر الله من أسباب قسوة القلب، ولذلك لا بُدَّ لمن يريدُ علاجَ ضعف إيمانه من الإكثار من ذكر الله؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[3]، وقال الله مبيناً أَثَرَ الذكر على القلب: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[4].

قال ابنُ القيم عن العلاج بالذكر: (في القلب قسوةٌ لا يذيبها إلا ذِكْر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداويَ قسوة قلبه بذكر الله تعالى. وقال رجلٌ للحسن البصري رحمه الله: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوةَ قلبي، قال: أَذِبْهُ بالذكر. وهذا لأن القلبَ كلما اشتدت به الغفلة اشتدَّت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاصُ في النار، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل، والذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، وشفاؤها ودواؤها في ذِكْر الله تعالى، قال ابنُ عون: ذكر الله تعالى شفاء، وذكر الناس داء)[5].

٩ ـ **ومن الأمور التي تُجدِّد الإيمان**: مناجاة الله، والانكسار بين يديه عز وجل، وكلما كان العبدُ أكثر ذلة وخضوعاً كان إلى الله أقرب؛ ولهذا

---

(١) العنكبوت: ٤٥.
(٢) الترمذي: ح ٣٣٧٥، وقال: حسن غريب.
(٣) الكهف: ٢٤.
(٤) الرعد: ٢٨.
(٥) سير أعلام النبلاء: ٦/٣٦٩.

قال رسول الله ﷺ : «**أقربُ ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»[1] . يقول ابنُ القيم رحمه الله : (فللَّه ما أحلى قول القائل في هذه الحال: أسألك بعزك وذُلِّي إلا رحمتني ، أسألك بقوتك وضَعْفي ، وبغناك عني وفقري إليك ، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك ، عبيدك سواي كثيرون ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألةَ المسكين، وأبتهل إليك ابتهالَ الخاضع الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضَّرير ، سؤال من خضعت لك رقبته ، ورغم لك أنفه ، وفاضتْ لك عيناه وذلَّ لك قلبه)[2] .

١٠ ـ **قصر الأمل**: وهذا مهمٌّ جداً في تجديد الإيمان ، قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾[3] . وقال تعالى: ﴿ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ ﴾[4] . وكان السلفُ يتعوَّذون من طول الأمل الذي يُنْسِي حُسْنَ العمل.

١١ ـ **التفكر في حقارة الدنيا**: حتى يزولَ التعلُّقُ بها في قلب العبد ، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[5] . وقال النبي ﷺ : «**إن مطعمَ ابن آدم قد ضُرِب للدنيا مثلاً ، فانظرْ ما يخرجُ من ابن آدم وإن قزحه وملحه ، قد علم إلى ما يصير**»[6] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**الدنيا ملعونةٌ ، ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، أو عالماً أو متعلماً**»[7] .

١٢ ـ ومن الأمور المجددة للإيمان في القلب: **تعظيم حُرُمات الله** ، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[8] . وحرماتُ

---

(١) مسلم: ح ٤٨٢ .
(٢) الوابل الصيب.
(٣) الشعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .
(٤) يونس: ٤٥ .
(٥) فاطر: ٥ .
(٦) الطبراني في الكبير: ١/١٩٨ ، وهو في السلسلة الصحيحة: رقم ٣٨٢ .
(٧) ابن ماجه: ح ٤١١٢ ، وهو في صحيح الترغيب والترهيب: رقم ٧١ .
(٨) الحج: ٣٢ .

الله هي حقوقُ الله سبحانه وتعالى ، وقد تكون في الأشخاص ، وقد تكون في الأمكنة ، وقد تكونُ في الأزمنة ، فمن تعظيم حرمات الله في الأشخاص القيامُ بحق الرسول ﷺ ، ومن تعظيم شعائر الله في الأمكنة تعظيمُ الحرم ، ومن تعظيم شعائر الله في الأزمنة تعظيمُ شهر رمضان ، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾(١) . ومن التعظيم لحرمات الله عدمُ احتقار الصغائر، وقد روى عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه** » ، **وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً «كمثل قوم نزلوا أرضَ فلاة ، فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود ، والرجلُ يجيء بالعود ، حتى جمعوا سواداً ، فأجَّجوا ناراً ، وأنضجوا ماقذفوا فيها**»(٢) .

١٣ ـ ومن الأمور التي تُجدِّد الإيمانَ في القلب: **الولاء والبراء ، أي موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين** ، وذلك أن القلب إذا تعلَّق بأعداء الله يضعف جداً ، وتذوب معاني العقيدة فيه ، فإذا جرد الولاء لله فوالى عباد الله المؤمنين ، وناصرهم ، وعادى أعداء الله ، ومقتهم؛ فإنه يحيا بالإيمان.

١٤ ـ محاسبة النفس: وهي مهمةٌ في تجديد الإيمان ، يقول جلَّ وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾(٣) . قال عمر بن الخطاب: (حاسِبُوا أنفسكم قبل أن تحاسَبُوا ، وزِنُوا أعمالكم قبل أن توزنوا ، وتهيَّؤوا إلى العرض الأكبر ، يومئذ تُعْرَضُون ، لا تَخْفَى منكم خافية)(٤) .

فلا بُـدَّ أن يكونَ للمسلم وقتٌ يخلو فيه بنفسه فيراجعها ، ويحاسبها ، وينظر في شأنها ، وماذا قدَّم من الزاد ليوم المعاد.

١٥ ـ الدعاء: **فإنَّ دعاءَ الله عز وجل من أقوى الأسباب؛** التي ينبغي

---

(١) الحج: ٣٠.
(٢) أحمد: ح ٣٨١٧ ، وهو في السلسلة الصحيحة: ح ٣٨٩.
(٣) الحشر: ١٨.
(٤) الإحياء: ٣٩٦/٤.

على العبد أن يبذلها، كما قال النبيُّ ﷺ: «**إن الإيمانَ ليخلقُ في جوف أحدكم كما يخلقُ الثوبُ، فاسألوا اللهَ أن يجدِّد الإيمانَ في قلوبكم**»[(١)][(٢)].

والخلاصة: أنه كلما قويتْ شجرةُ الإيمان صمدتْ أمام عواصف الفتن، لذلك وَصَفَ اللهُ المؤمنين عند نزول الفتنة فَبَيَّنَ أنها تزيدهم إيماناً، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[(٣)].

* * *

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر هذا المبحث في كتاب: علاج ضعف الإيمان.

(٣) الأحزاب: ٢٢.

المطلب الرابع
مصاحبة أهل العلم والصالحين

إن ممَّا ينجي المؤمن من الفتن مجالسةَ الصالحين ، وخاصَّة العلماء الربانيين الذين تُذَكِّرُ بالله رؤيتهم ، ويزيدُ في العلم منطقهم ، وتُذَكِّرُ بالآخرة أعمالهم ، فهم زَيْنُ الرخاء ، وعدَّةُ البلاء ، قال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾[1] . وقد أخبر ﷺ عن فوائد الجليس الصالح فقال ﷺ: «**إنما مثلُ الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافِخ الكير ، فحاملُ المسك إما أن يَحْذِيك وإما أن تبتاعَ منه ، وإما أن تجدَ منه ريحاً طيبة ، ونافِخُ الكير إما أن يحرقَ ثيابك ، وإما أن تجدَ منه ريحاً خبيثة**»[2] .

قال النووي: (فيه فضيلةُ مجالسة الصالحين ، وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق ، والورع ، والعلم ، والأدب ، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومَنْ يغتاب الناس ، أو هو معروف بكثرة فجوره وبطالته ، وغير ذلك من الأخلاق المذمومة)[3] .

قال عليٌّ رضي الله عنه: (عليكم بالإخوان فإنهم عدَّةٌ في الدنيا والآخرة ، ألا تسمعوا لقول الله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾[4])[5] .

---

(١) الكهف: ٢٨ .
(٢) مسلم: ح ٢٦٢٨ ، البخاري: ح ٢١١٠ .
(٣) النووي على شرح مسلم: ١٦/١٧٨ .
(٤) الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١ .
(٥) الإحياء: ٢/١٦٠ .

وقال عمرُ رضي الله عنه: لا تتكلَّم فيما لا يعنيك ، واعتزلْ عدوك ، واحذرْ صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا مَنْ يخشى الله ، ويطيعه ، ولا تمشِ مع الفاجر فيعلِّمك من فجوره ، ولا تطلعه على سِرِّك ، ولا تشاورُ في أمرك إلا الذين يخافون الله عز وجل)[1].

وقال أبو الدَّرداء: (لولا ثلاثٌ ما أحببتُ البقاء: لولا إخوانٌ ينتقون أطايبَ الكلام كما ينتقى طيب التمر ، أو أعفِّر وجهي ساجداً لله ، أو غدوة أو روحة في سبيل الله)[2].

وقد أمر النبيُّ ﷺ بمجالسة الصالحين ، واختيارهم على مَنْ سواهم ، فقال: «**لا تصاحبْ إلا مؤمناً ، ولا يأكلْ طعامك إلا تقي**»[3].

فالجليسُ الصالحُ يذكِّركُ إذا نسيت ، ويُعِيْنُك إذا ذكرت ، ويستركُ إذا أخطأت ، قال الله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[4].

ثمرات مجالسة الصالحين:

١ ـ فمنها أنه **بمجالسة الصالحين تشمله بركةُ مجالسهم**: ويعمُّه الخير الحاصل لهم ، وإن لم يكن عملُه بالغاً مبلغهم. كما جاء في الحديث عن أبي هريرة: قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن لله ملائكةً يطوفون في الطرق يلتمسون أهلَ الذِّكْر ، فإذا وجدوا قوماً يذكُرون الله تنادوا: هَلمُّوا إلى حاجتكم ، قال: فيحفُّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهو أعلمُ بهم ـ: ما يقول عبادي؟ قال: تقول: (يعني الملائكة) يُسَبِّحونك ، ويكبِّرونك ، ويحمدونك ، ويُمَجِّدُونك**» فذكر الحديث بطوله. ثم قال في آخره: «**قال: فيقولُ الله: فأشهدكم أني قد غفرتُ لهم ، قال: فيقول ملكٌ من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة**» وفي لفظ:

---

(١) العزلة للخطابي: ص ١٤٤.

(٢) الزهد للإمام أحمد: ص ١٣٥.

(٣) الترمذي: ح ٢٣٩٥ ، أبو داود: ح ٤٨٣٢.

(٤) طه: ٢٩ ـ ٣٥.

«**فيهم فلان عبد خطَّاء إنما مَرَّ فجلس معهم ، قال: فيقول: هم الجلساء لا يشقى جليسُهم**» وفي لفظ: «**فيقول: وله غفرتُ ، هم القومُ لا يشقى بهم جليسُهم**»[1].

٢ ـ ومنها أن المرءَ مجبولٌ على **الاقتداء بجليسه** ، والتأثر بعلمه وعمله وسلوكه ومنهجه. فمجالسةُ أهل الخير يتأثَّر بهم. ومن المقرَّر عند علماء التربية أن التأثيرَ عن طريق القدوة أبلغُ من التأثير بالمقال والنصح[2] ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**المرءُ على دين خليله ، فلينظرْ أحدُكم مَنْ يخالل**»[3].

قال سفيانُ بن عُيينة رحمه الله: انظُروا إلى فرعون معه هامان! انظروا إلى الحَجَّاج معه يزيد بن أبي مسلم شَرٌّ منه ، انظروا إلى سليمان بن عبد الملك صحبه رجاء بن حيوة فقوَّمه وسدَّده[4].

قال ابنُ تيمية: الناسُ كأسراب القطا ، مجبولون على تَشَبُّه بعضهم ببعض[5]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**الأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف**»[6].

٣ ـ ومنها أن جليسَك الصالح **يُبَصِّرُك بعيوبك** ، ويدلُّ على أوجه الضعف عندك ، ووجهات النقص لديك ، ومواطن العِلل في نفسك وخُلُقك ، فتنطلق نحو العلاج ، وإصلاح الخلل ، وإزالة العيوب؛ ولذلك قالﷺ : «**المؤمنُ مرآةُ المؤمن**»[7].

قال الحسنُ: (المؤمنُ مرآةُ أخيه ، إن رأى فيه ما لا يعجبه سدَّده

---

(١) البخاري: ح ٦٤٠٨ ، مسلم: ح ٢٦٨٩.
(٢) من تجالس: ص ١٩.
(٣) الترمذي: ح ٢٣٧٨.
(٤) العزلة: ص ١٤١.
(٥) الفتاوى: ٢٨/ ١٥٠.
(٦) مسلم: ح ٢٦٣٨ عن أبي هريرة ، وعلَّقه البخاري: رقم ٣٣٢٦.
(٧) أبو داود: ح ٤٩١٨ ، عن أبي هريرة.

وقوَّمه ، وحاطه وحفظه في السر والعلانية)[1].

٤ ـ إنك تنظرُ إلى **عُلُوِّ مكانته** في العلم والعبادة والدعوة والسلوك ، وسَبْقه لك في مجالات كثيرة من مجالات الخير ، فيكون ذلك مصلحةً ومنفعةً لك من وجهين:

الوجه الأول: زوال ما قد يوجد لديك من العُجْب بالنفس والعمل حينما ترى مَنْ هو خيرٌ منك ، والعجبُ من الأمور التي خافها النبيُّ ﷺ على أمته ، وعدَّه أشدَّ من الذنب ، حيث قال ﷺ: «**لو لم تكونوا تذنبون لخفتُ عليكم ماهو أشدَّ من ذلك العجب العجب**»[2].

الوجه الثاني: أن ذلك يكون سبباً في منافستك له في هذه الأوصاف والأعمال ، فتزدادُ حرصاً على تحصيل العلم ، والقيام بالعبادة ، وتحسين السلوك ، وغير ذلك.

ولهذا قال عثمانُ بنُ حكيم رحمه الله: (اصحبْ مَنْ هو فوقك في الدِّيْن ودونك في الدنيا)[3].

٥ ـ ومنها أن المرء بمجرد رؤيته الصالحين والأخيار **يذكر الله تعالى** ، وقد دلَّ على ذلك الواقع والشرع ، قال عليه الصلاة والسلام: «**أولياءُ الله تعالى الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله تعالى**»[4].

وقال في حديث آخر: «**ألا أنبئكم بخياركم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: **خياركم الذين إذا رُؤُوا ذُكِر الله عز وجل**»[5].

---

(١) كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا: ص ١٣١.

(٢) البزار: رقم٣٦٣٣ ، قال المنذري في الترغيب: ٤/ ٢٠ ، والهيثمي في المجمع: ١٠/ ٢٦٩: إسنادهُ جيد ، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة: ح ٦٥٨.

(٣) الإخوان: ص ١٢٥.

(٤) عزاه السيوطي في الجامع الصغير للحكيم عن ابن عباس مرفوعاً ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع: رقم ٢٥٥٧.

(٥) ابن ماجه: ح ٤١١٩ من حديث أسماء بنت يزيد ، وحسن إسناده البوصيري في الزوائد: ٣/ ٢٧٣.

فأثبتَ عليه الصلاة والسلام في هذين الحديثين أنَّ للأولياء والأخيار تأثيراً على مَنْ رآهم، وأن مَنْ يراهم يتذكَّر الله - عز وجل - بمجرد هذه الرؤية، ولعلَّ سبب ذلك ما يجدُه فيهم من الهدي والسَّمْت والهيبة، ونور الإيمان وحُسْن السيرة، فإذا كان هذا يحصلُ لمن رآهم فكيف بمن يجالسهم ويخالطهم؟!

قال أبو سليمان: (كنت أنظرُ إلى أخٍ من إخواني بالعراق فأعملُ على رؤيته شهراً)[1].

٦ - ومنها أنهم زينٌ **وأنسٌ لك في الرخاء** وعدَّة في البلاء.. وهم خيرُ معينٍ لك على تخفيف همومك وغمومك وحلِّ مشكلاتك، فتستنير بآرائهم ومشورتهم، لا سيما إذا ألمَّتْ بك الخطوبُ، وضاقتْ بك الدروبُ، وأعيتك المسالك.

خرج ابنُ مسعود - رضي الله عنه - مَرَّةً على أصحابه فقال: (أنتم جلاءُ حزني)[2].

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: (عليكَ بإخوانِ الصِّدْق، فعشْ في أكنافهم، فإنهم زينٌ في الرخاء، وعدَّةٌ في البلاء)[3].

٧ - ومنها أن إخوتك ومصاحبتك لأهل الخير سَبَبٌ في دخولك ضِمْنَ الذين لا خوفٌ عليهم يوم القيامة ولا هم يَحْزَنُون، وكذلك هو ضمانٌ لاستمرار الصحبة وعدم انقطاعها، كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[4].

٨ - **إنك تنتفعُ بدعائهم لك بظهر الغيب** في حياتك وبعد مماتك. فإنَّ مِنْ عادة أهل الخير دعاء بعضهم لبعض. وعن أمِّ الدَّرداء قالت: قال

---

(١) روضة العقلاء: ص ٩٢.
(٢) المرجع السابق: ص ٩٢.
(٣) المرجع السابق: ص ٩٠.
(٤) الزخرف: ٦٧ - ٦٨.

رسولُ الله ﷺ : «**دعوةُ المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابةٌ ، عند رأسه ملكٌ موكَّل ، كلما دعا لأخيه بخيرٍ قال الملكُ الموكَّل به: آمين ، ولك بِمِثْلٍ**»[1].

٩ ـ **مجالسة أهل الخير يهابها شيطانُ الجن والإنس**. فمجالستُهم حِصْنٌ حصينٌ من وساوس الشياطين وأذاهم ، بخلاف مجالس الأشرار فإنها مَقَرُّ هذه الشياطين ، وكذلك إذا كان المرءُ معتزلاً فإنه عرضة للوساوس الرديئة ، والأفكار المنحرفة التي يلقيها الشيطانُ؛ ولذلك قال ﷺ : «**عليك بالجماعةِ فإنما يأكلُ الذئبُ القاصية**»[2].

١٠ ـ **أن المجالسة والمصادقة والزِّيارةَ في الله سببٌ لمحبة الله تعالى** ، كما في الحديث ، قال رسولُ الله ﷺ : «**قال اللهُ تبارك وتعالى: وجبتْ محبتي للمتحابين فِيَّ ، والمتجالسين فِيَّ ، والمتزاورين فِيَّ ، والمتباذلين فِيَّ**»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: «**أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد[4] الله له على مدرجته ملكاً[5] ، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريدُ أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟[6]. قال: لا ، غير أني أحببته في الله ـ عز وجل ـ قال: فإني رسولُ الله إليك بأن الله قد أَحَبَّكَ كما أحببتَه فيه**»[7].

---

(١) مسلم: ح ٢٧٣٣.
(٢) أبو داود: ح ٥٤٧ ، والنسائي: ٢/ ١٠٦ ، وحسنه الألباني في صحيح النسائي: ١/ ١٨٤.
(٣) مالك في الموطأ ، وصحح إسناده عبد البر ، والنووي في رياض الصالحين: رقم ٣٨٧ وقال الألباني: صحيح ، وهو في صحيح الجامع: ح ٤٣٣١.
(٤) أرصد: أقعده يرقبه. مختار الصحاح: ١/ ١١٣.
(٥) مدرجة: الطريق ، سُمِّي بذلك لأن الناس يدرجون عليها ، أي: يمضون ويمشون. مختار الصحاح: ١/ ٩٥.
(٦) تربها: تقوم بإصلاحها. النهاية: ١/ ١٠٥.
(٧) مسلم: ح ٢٥٦٧.

١١ ـ أن مجالسَ الصالحين مجالسُ ذِكْر الله ـ عز وجل ـ وقد قال ﷺ: «**لا يقعد قومٌ يذكرون الله ـ عز وجل ـ إلا حَفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلتْ عليهم السَّكينة، وذَكَرهم اللهُ فيمن عنده**»[١]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله، ولا يريدون بذلك إلا وجهه؛ إلا ناداهم منادٍ من السماء أن قُوْمُوا مغفوراً لكم، قد بدّلت سيئاتكم حسنات**»[٢].

١٢ ـ المرءُ بزيارته لإخوانه في الله تطيبُ نفسه، ويطيب ممشاه، ويتبوأ منزلةً عظيمة في الجنة، عن النبي ﷺ قال: «**من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله، ناداه منادٍ: أن طبتَ وطاب ممشاك، وتبوأتَ من الجنة منزلاً**»[٣].

١٣ ـ وبالجملة: فالجليسُ الصَّالحُ منفعةٌ لك من كلِّ وجه في دينك ودنياك، كما قال ﷺ: «**المؤمنْ إن ماشَيْتَه نفعك، وإن شاورته نفعك، وإن شاركته نفعك، وكل شيء من أمره منفعة**»[٤].

وقال ﷺ: «**مثلُ المؤمن مثل النخلةِ ما أخذتَ منها من شيء نفعك**»[٥].

١٤ ـ **ومن ثمرات مجالسة الصالحين أنها تؤدي إلى محبتهم في الله**. فكما أن المحبةَ تثمرُ المجالسة، فكذلك المجالسةُ تثمرُ المحبة، والحب في الله له ثمراتٌ عظيمة، وآثارٌ جليلة على النفوس، وقد رتَّب الله عليه الأجورَ العظيمة، والثوابَ الجزيل.

ثمرات وفضائل المحبة في الله:

أ ـ **منها أن المحبةَ في الله سببٌ لمحبة الله للعبد**، وقد مَرَّ قبل قليل ـ قوله عليه الصلاة والسلام ـ: «**قال الله ـ عز وجل ـ وجبتْ محبتي**

(١) مسلم: ح ٢٧٠٠.
(٢) أحمد: ح ١٢٤٦٣، وذكره الألباني في الصحيحة: ح ٢٢١٠.
(٣) الترمذي: ح ٢٨٠٠، وقال الترمذي: حسن غريب.
(٤) أبو نعيم في الحلية: ٨/١٢٩.
(٥) الطبراني: ١٢/٤١١، وذكره الألباني في صحيح الجامع: ح ٥٨٤٨.

للمتحابين فِيَّ ، والمتجالسين فِيَّ . .»[١]. وقول المَلَك للرجل الذي زار أخاً له في الله: «**إني رسولُ الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»[٢].

وعن أبي الدَّرداء ـ رضي الله عنه ـ يرفعه قال: «**ما من رجلين تحاباً في الله بظهر الغيب إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه**»[٣].

ب ـ ومنها أن الله سبحانه وتعالى **يُظِلُّ المتحابين فيه في ظله يوم لا ظل إلا ظله**. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سبعةٌ يظلُّهم اللهُ في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه**» فذكر منهم: «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**إن الله يقول يومِ القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أُظِلُّهم في ظِلِّي يوم لا ظِلَّ إلا ظِلِّي**»[٥].

ج ـ **أن الحبَّ في الله والبغضَ في الله دليلٌ على كمال إيمان العبد.**

فعن أبي أمامة قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**مَنْ أحبَّ لله وأبغضَ لله ، وأعطى لله ومَنَعَ لله ، فقد استكملَ الإيمان**»[٦].

د ـ **أن الحبَّ في الله سببٌ لذوق حلاوة الإيمان وطعمه**. كما في الصَّحيحين أن النبيَّ ﷺ قال: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بهن حلاوةَ الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في المعجم الأوسط كما في مجمع الزوائد: ٢٧٦/١٠ ، وقال المنذري في الترغيب: ٤٦/٤ ، رواه الطبراني بإسناد جيد.

(٤) البخاري: ح ٦٦٠ ، ومسلم: ح ١٠٣١.

(٥) مسلم: ح ٢٥٦٦.

(٦) أبو داود: ح ٤٦٨١ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ح ٥٩٦٥.

لله ، وأن يكره أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقْذَفَ في النار»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أحبَّ أن يجدَ طَعْمَ الإيمان فليحبَّ المرء لا يحبه إلا لله»[2].

هـ ـ أن المرءَ بمحبته لأهل الخير لصلاحهم واستقامتهم يلتحقُ بهم ، ويصلُ إلى مراتبهم ، وإن لم يكنْ عمله بالغاً مبلغهم. ففي الصَّحيحين عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! كيف تقولُ في رجل أحبَّ قوماً ولم يلحقْ بهم؟ قال: «المرءُ مَعَ مَنْ أحبَّ»[3].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رجلاً سأل النبيَّ ﷺ : متى الساعة؟ قال: «ما أعددتَ لها؟» قال: ما أعددتُ لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكني أحبُّ الله ورسوله ، قال: «أنتَ مع من أحببت»[4]. قال أنس: فما فرحنا بشيء فَرَحَنا بقول النبي ﷺ : «أنت مع مَنْ أحببت» فأنا أحبُّ النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكونَ معهم بحبي إياهم ، وإن لم أعملْ بمثل أعمالهم.

و ـ ومن فوائد المحبة في الله أن الله يُكْرِمُ مَنْ أحبَّ عبداً لله: وإكرام الله للمرء يشملُ إكرامه له بالإيمان ، والعلم النافع ، والعمل الصالح ، وسائر صُنُوف النعم ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ : «ما أحبَّ عبدٌ عبداً لله إلا أكرمه الله»[5].

---

(١) البخاري: ح ١٦ ، ومسلم: ح ٤٣.
(٢) أحمد: ٢/٢٩٨ ، الحاكم: ٤/١٨٦ ، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ح ٥٩٥٨.
(٣) البخاري: ح ٦١٩٦ ، ومسلم: ح ٢٦٤٠.
(٤) البخاري: ح ٣٦٨٨ ، مسلم: ح ٢٦٣٩.
(٥) ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان: رقم ٢٠ ، وأحمد في المسند: ٥/٢٥٩ ، وذكره الألباني في الصحيحة: ح ١٢٥٦.

ز ـ المتحابون في الله لهم منابرُ من نور ، يغبطهم النبيّون والشُّهداء. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**قال الله تعالى: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور ، يغبطهم النبيون والشهداء**»[1][2].

* * *

(١) الترمذي: ح ٢٣٩٠ ، وقال: حسن صحيح.

(٢) وانظر هذا المبحث في كتاب: من نجالس ، ص ١٧ وما بعدها.

المطلب الخامس
الابتعاد عن موارد الفتن

المؤمنُ يسألُ ربَّه العفوَ والعافيةَ من الفتنِ ما ظَهَر منها وما بَطَنَ ، فهو كالغريق في وسط اليَمِّ ، يقول: اللهم سَلِّم سَلِّم ، ولذلك لايلقي بنفسه في موارد الفتن؛ بل يتجنبُ أسبابها ووسائلها حتى لا يقع فيها ، وفي الشرع قاعدةٌ محكمةٌ وهي: سَدُّ الذرائع ، بمعنى غَلْق الطرق المؤدية للمعصية ، وفتح الطرق المؤدية لفعل الواجب ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1] .

ولذلك على المسلم أن يتجنبَ أسبابَ الفتن ، والموفَّقُ من وَفَّقه الله لاجتناب الفتن وأسبابها. عن المقداد بن الأسود قال: وايْمُ الله لقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن السعيدَ لمن جُنِّب الفتن ، إن السعيدَ لمن جُنِّب الفتن ، إن السعيدَ لمن جُنِّب الفتن ، ولمن ابْتُلِي فصبر ، فواهاً**»[2] .

فتنة النساء:

يتجنبها باتباع الوسائل الشرعية التي شرعها الله للبعد عنها ، ومن ذلك **الدعاءُ بصرف كيدهن** ، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾[3] ، ومن ذلك **الاستعفافُ بِغَضِّ البصر** ، وغير ذلك ، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[4] .

---

(١) الأنعام: ١٠٨.

(٢) أبو داود: ح ٤٢٦٣ ، وهو حسن.

(٣) يوسف: ٣٣.

(٤) النور: ٣٣.

ومن ذلك **النكاح لمن قدر عليه**، فقد جاء في الحديث أن النبيَّ ﷺ قال: «**يا معشرَ الشَّبابِ من استطاع منكم الباءةَ فليتزوج**»[1].

ومن ذلك أن يأمرَ أهله ومن تحت ولايته **بالحجاب**، **وأعظمه القرار في البيوت**، قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[2].

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**المرأةُ عورةٌ فإذا خرجتْ استشرفها الشيطان**»[3]، **ومن ذلك أمر الشارعُ النساءَ بترك الخضوع في القول**، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[4].

ومن ذلك **الحذرُ من الدخول على النساء الأجانب**، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**»، فقال رجلٌ من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**»[5]. إلى غير ذلك من الوسائل التي ذكرناها سابقاً.

فتنة المال:

وذلك **بأخذه من الحلال وأخذ الكفاية منه**، وأن يجعلَ هَمَّه طاعة ربه وذكره، ويملأ قلبه بمحبة الله حتى يصبح المال وعدمه سواء، ويكون المال في يده لا في قلبه.

فتنة الولد:

وذلك **بتربيته التربية الإيمانية وحُسْن اختيار أمه**، وذكر الله تعالى عند الجِماع، وغير ذلك ممَّا ذكرناه حتى يصبح الولد قُرَّة عينٍ، لا عذاب

---

(١) البخاري ومسلم.
(٢) الأحزاب: ٣٣.
(٣) الترمذي: ح ١٧٣.
(٤) الأحزاب: ٣٣.
(٥) البخاري ومسلم.

وفتنة ، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(١) .

فتنة الاختلاف والافتراق:

وذلك **باتباع آداب الاختلاف التي ذكرناها** ، مع مراعاة الإنصاف للخَصْم ، والعدل معه ، وعدم التحزُّب والتعصُّب لرأيه مهما كانت ، بل يكون الولاء والبراء على أصل الإسلام ، وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنه اقتتل غلامان؛ غلام من المهاجرين، وغلام من الأنصار، فنادى المهاجرُ: يا للمهاجرين ، ونادى الأنصاريُّ: يا للأنصار ، فخرج رسولُ الله ﷺ فقال: «**ما هذا؟ أبدعوى أهل الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟! دَعُوها فإنها منتنة**»(٢) . مع أن هذين اللقبين المهاجرين والأنصار محبوبان لله تعالى ، لكن لما استخدم لنوع من العصبية ، صار من فعل الجاهلية ، فليت قومي يعلمون.

وقريبٌ من هذا ما حصل لابن عباس رضي الله عنهما ، حين سُئِل: أأنت على ملّة عليّ؟ أو على ملة عثمان؟ فقال: (لست على ملّة عليّ ولا على ملّة عثمان ، بل أنا على ملّة رسول الله ﷺ)(٣) ، كذلك من مخارج من فتنة التفرق والاختلاف الالتفاف على اسم واحد ، ومسمَّى واحد ، وهو الإسلام ، والمسلمين ، قال الله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾(٤) .

كذلك من المخارج من هذه الفتنة **لزومُ جماعة المسلمين** ، ففي الحديث الصَّحيح: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**ثلاث لا يغلُّ عليهن صدر امرئ مسلم: إخلاص العمل لله ، ومناصحة**

---

(١) التوبة: ٥٥.
(٢) مسلم: ح ٢٥٨٤.
(٣) الإبانة لابن بطة: رقم ٢٣٣.
(٤) الحج: ٨٧.

أولي الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[1].

وثبت في الحديث الصَّحيح: «**إن الله لا يجمعُ أمتي على ضلالة ، ويَدُ الله مع الجماعة ، ومن شذَّ شذَّ في النار**»[2].

وقد جاءت السنةُ للتحذير من مفارقة الجماعة ، فعن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**من فارق الجماعةَ شبراً فقد خَلَعَ ربقةَ الإسلام من عنقه**»[3].

وقد ذكر الشافعيُّ: (أن معنى لزوم الجماعة ليس باجتماع الأبدان؛ لأنه لا يصنع شيئاً ، ولكن المعنى: لزومُ ما عليهم من التحليل والتحريم ، والطاعة فيهما)[4].

وعن حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافةَ أن يدركني ، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشَرٍّ فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» ، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دَخَنٌ» ، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي ، تعرفُ منهم وتنكر» ، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم دعاةٌ على أبواب جهنم؛ من أجابهم إليها قذفوه فيها» ، قلت: يا رسول صِفْهُم لنا ، قال: «هم من جِلْدتنا ، ويتكلَّمون بألسنتنا» ، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» ، قلت: فإن لم يكنْ لهم جماعة ولا إمام ؟ قال: «فاعتزلْ تلك الفرق كلها ، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[5].

---

(١) أحمد: ح ٢١٦٤٥ ، وابن أبي عاصم في السنة: ح ١٤ ، وهو في السلسلة الصحيحة: ح ٤٠٤.

(٢) أبو داود: ح ٤٢٥٣ ، والترمذي: ح ٢١٦٧ ، وصحَّحه الألباني في تخريج المشكاة: ص ١٧٣.

(٣) أبو داود: ح ٤٧٥٨ ، وصححه الألباني. انظر صحيح أبي داود: ٣/ ٩٠٢.

(٤) الرسالة: ص ٤٧٥.

(٥) البخاري: ح ٧٠٨٤.

والجماعة لها معنيان: معنى عمليّ، وهو لزومُ جماعة المسلمين وإمامهم إن كانت موجودة، أو الالتفاف حول العلماء الربانيين في حالة غياب الإمام. **والمعنى العلمي** هو اتباعهم في معتقداتهم وفيما يحلُّون ويحرمون، واتباع مناهجهم السلوكية والأخلاقية، قال ابنُ مسعود رضي الله عنه: (لو أن فقيهاً على رأس جبل لكان هو الجماعة)[1]. وفي لفظ: (الجماعة ماوافق الحق وإن كنت وحدك)[2].

فتنة البدع والأهواء:

يتجنبها الإنسانُ **بالتسلح بالعلم الشرعي**، واجتناب مجالسة أهل الأهواء والبِدَع، وعدم قراءة كتبهم. قال الفضيل: (مَنْ جالَسَ صاحبَ بدعة لم يعط الحكمة)، وعن إبراهيم النَّخَعي: (لا تكلِّموا أهلَ الأهواء فإني أخاف أن ترتدَّ قلوبكم)، وعن يحيى بن أبي كثير: (إذا لقيتَ صاحبَ بدعةٍ في طريق فخذْ في طريق آخر)، وعن بعض السَّلَف أنه قال: (من جالس صاحبَ بدعة نزعت منه العصمة ووكّل إلى نفسه)، وعن العَوَّام بن حَوْشَب أنه كان يقول لولده: (والله لئن أراك في مجالس أصحاب البرابط والأشربة والباطل أحب إليَّ من أن أراك تجالس أصحاب الخصومات، أي: البدع)[3].

وفي الحديث عن عبد الله بن ثابت أن النبيَّ ﷺ قال لعمر لما رأى في يده وَرَقة من التوراة يقرؤها: «**أمتهوِّكون أنتم يا بن الخطاب، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، والله لو كان موسى حياً ما وَسِعَهُ إلا أن يتبعني**»[4].

فتنة تسلط الكفار على المسلمين:

يمكنُ تجنُّبها بإزالة أسبابها ألا وهي ضَعْفُ الأمة إيمانياً وخُلُقياً مع

---

(١) الفقيه والمتفقه: ٢/ ٤٤، ح ١١٤٦.
(٢) نفس المرجع السابق.
(٣) انظر هذه النقولات في باب الاعتصام، ص ١١٢ وما بعدها.
(٤) أحمد: ح ١٥٨٧٠.

مجاهدة أعداء الله ، وسوف نذكرُ بحثاً مختصراً عن **الجهاد في سبيل الله**؛ لأنه مخرجٌ كبيرٌ من هذه الفتنة.

فتنة الشهوات على العموم:

ويتجنبها المرء **بالبعد عن أسباب المعاصي** ، واجتناب مخالطة أهل الفسوق والعصيان ، مع الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، وهو مخرجٌ كبيرٌ من هذه الفتنة.

* * *

المطلب السادس
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هو أصلٌ عظيمٌ من أصول الشريعة ، وركنٌ مُهِمٌّ من أركانها ، فإنه من أعظم حقوق لا إلٰه إلا الله ، فهو من أحد قواعد الدين ، وأعظم واجبات الشريعة ، وأظهر شعائر الملة ، وأحد الثوابت في التشريع الإسلامي ، ولا صلاحَ للعباد والبلاد إلا بالقيام به ، وعلى قدر التقصير فيه يكون النقص ، وتحدث الفتن ، ويظهر الفساد في الأرض.

١ ـ فضله وأهميته:

١ ـ سبب لخيرية هذه الأمة ، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١) .

٢ ـ وصف أساسي من صفات أهل الإيمان ، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾(٢) .

٣ ـ صفة من صفات العلماء الربانيين ، قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾(٣). قال ابنُ جرير: كان العلماءُ يقولون: مافي القرآن آية أشدّ توبيخاً للعلماء منها(٤).

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) التوبة: ٧١.

(٣) المائدة: ٦٣.

(٤) جامع البيان: ٦/ ١٧٠.

٤ ـ سبب في صلاح المجتمعات واستقرارها ، فعن النُّعمان بن بشير قال: قال رسولُ الله ﷺ : **«مثلُ القائم على حدود الله ، والواقع فيها؛ مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضُهم في أسفلها وبعضُهم في أعلاها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مَرُّوا على مَنْ فوقهم ، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»**[(١)] .

٥ ـ القيام به سبب للأمان من الفتنة والهلاك العام ، ففي الحديث عن أبي بكر: **«أن الناس إذا رأوا الظالم ، فلم يأخذوا على يديه؛ أوشك اللهُ أن يَعُمَّهم بعقابٍ منه»**[(٢)] .

٦ ـ تَرْكُه سَبَبٌ في عدم استجابة الدعاء ، فعن حذيفة أن النبيَّ ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده! لتأمرنَّ بالمعروف ، ولتنهونَّ عن المنكر ، أو ليوشكنَّ الله أن يبعثَ عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم»**[(٣)] .

٧ ـ تركه سبب في حصول الخلاف والافتراق بين الأمة عقوبة قدرية من الله ، ففي الحديث عن ابن مسعود أن النبيَّ ﷺ قال: **«والله لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر ، ولتأخذنَّ على يدي السفيه ، ولتأطرنَّه على الحق أطراً ، أو ليضربنَّ الله قلوب بعضكم ببعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم ، ثم تلا قوله تعالى:** ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾[(٤)] .

٨ ـ هو واجبٌ بإجماع الإمة ، والخلافُ: هل هو عيني أو كفائي ؟ ، واتفقوا على أنه إذا لم تقم به طائفةٌ على الوجه المطلوب؛ فهو واجبٌ عيني

---

(١) البخاري: ح ٢٤٩٣.

(٢) أبو داود: ح ٤٣٣٨ ، والترمذي: ح ٢١٦٩.

(٣) الترمذي: ح ٢١٧٠ ، حسنه الألباني.

(٤) المائدة: ٧٨ ـ ٧٩.

على جميع الأمة ، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1] .

٢ ـ فوائده:

يحصلُ بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر؛ فوائد من أهمها:

أ ـ **إقامة حُجَّة الله على العباد** ، قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[2] .

ب ـ **إقامة المعذرة له بين يدي الله.**

ج ـ رجاء أن **ينتفعَ المأمورُ** ، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[3] .

٣ ـ شروط صحته:

١ ـ **الإخلاص** حتى يكون إقدامُك على العمل هو وجه الله ، وليس لدوافع أخرى ، فنحن نأمرُ الناس ، وننهاهم لا للتشفِّي والانتقام ، بل لنصحهم وهدايتهم.

٢ ـ **موافقة هدي الرسول** ﷺ: وذلك يكون بأمرين:

أ ـ **العلم الشرعي.**

ب ـ **ألا يترتب على الإنكار منكر مثله ، أو أكبر منه.**

٤ ـ شروط وجوبه:

١ ـ العلم بما تأمر به وتنهى عنه ، كذلك العلم بحال المأمور وحال المنهي.

٢ ـ **القدرة** ، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4] ، وفي

---

(١) آل عمران: ١٠٤.
(٢) النساء: ١٦٥.
(٣) الأعراف: ١٦٤.
(٤) البقرة: ٢٨٦.

الحديث: «إذا أمرتُكُم بأمرٍ فائْتُوا منه ما استطعتم»[1] ، **فإذا خاف الآمر على نفسه وماله ، أو خاف تعدِّي الضرر إلى غيره سقط الوجوب عنه.**

٣ ـ ألا يترتب على أمره ونهيه مفسدةٌ أعظم. والمفاسدُ إنما يكون بميزان الشرع ، لا بهوى النفوس ، وميل الطباع.

* فإذا كانت المصلحةُ الحاصلةُ بالأمر أو النهي أعظم من المفسدة ، أو كانت المفسدة منتفية ، كان الأمر أو النهي مأموراً به.

* وإن كانت المصلحةُ التي تفوت أو المفسدة التي تحدثُ أكبر ، لم يكن الأمرُ والنَّهي مأموراً به ، بل يكون محرماً ، وقد يكون الآمر والناهي آثماً.

* وإن تساوتِ المصلحةُ والمفسدة في نظر المحتسب ، لم يأمر ولم ينه؛ لأن درء المفاسد مُقدَّمٌ على جلب المصالح.

* وإن اشتبهتِ الحالُ عليه ، فلم يترجَّحْ لديه أي من المصلحة أو المفسدة ، انتظر حتى يتبين له الراجح بواسطة المطالعة والبحث في النصوص ، أو سؤال أهل العلم بهذا الخصوص؛ لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

٤ ـ العدالة وإذن الإمام وزوال المنكر بالاحتساب ، وهي شروط محل خلاف بين أهل العلم قد رجح المحققون عدم اشتراطها[3].

٥ ـ آدابه:

١ ـ الرفق في الأمر والنهي ، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[4].

---

(١) مسلم: ح ١٣٣٧.
(٢) النحل: ٤٣.
(٣) تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ص ٣٣.
(٤) آل عمران: ١٥٩.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النَّبيَّ ﷺ يقول: «**إن الله يحبُّ الرفقَ في الأمر كله**»[1].

وفي رواية لمسلم: «**إن الله يحبُّ الرفقَ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**»[2]. وفي لفظ: «**إن الرفقَ لا يكونُ في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»، وفي لفظ: «**من يحرم الرفق يحرم الخير كله**»[3].

٢ ـ **الصبر على أذى الخلق**: قال الله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ﴾[4]. قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[5]. وعن أبي مالك الأشعري أن النبيَّ ﷺ قال: «**والصبر ضياء**»[6].

وفي الحديث: أن النبيَّ ﷺ قال: «**واعلمْ أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً**»[7].

٣ ـ **الحكمة**: قال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[8]. **والحكمة** هي وضع الشيء في محله، والبدء بالأصول قبل الفروع، وبالكليات قبل الجزئيات، ومخاطبة الناس على قَدْر منازلهم، فالتابع غير المتبوع، والتأليف قبل التعريف، والتعريف قبل التكليف، ونقصد بالتعريف تعريف الناس بربهم، وإلزامهم بالتكاليف.

وهكذا إذا قام المسلمون بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مع

---

(١) البخاري: ح ٦٢٥٦، ومسلم: ح ٢١٦٥.
(٢) مسلم: ح ٢٥٩٣.
(٣) مسلم: ح ٢٥٩٢، ٢٥٩٤.
(٤) لقمان: ١٧.
(٥) الأعراف: ١٩٩.
(٦) مسلم: ح ٢٢٣.
(٧) الإمام أحمد: ١/٣٠٧.
(٨) النحل: ١٢٥.

مراعاة آدابه وشروطه ، تحقق الخير ، لكن لما تصدَّر بهذا الواجب من يتصرف بعاطفته لا بعقله؛ وبهواه لا بالشرع ، حصل فسادٌ وشَرٌّ عظيم ، فتسلط أهل الشر على أهل الخير ، وضيق على الدعوة والدعاة ، وأضرّ بها إضراراً بالغاً.

ويحسنُ هنا في ختام هذا المبحث أن نذكرَ **حُكْم الاحتساب** ، ومتى يكون واجباً أو مستحباً أو محرماً.

وأقول: إن الاحتسابَ **يكون واجباً** عند القدرة على تغيير المنكر ، مع الأمن على النفس والمال والأهل ، كذا **يكون واجباً** عند القدرة مع الأمن ، وإذا كان الانتفاع مرجواً من الأمر والنهي على أرجح الأقوال.

ويكون مستحباً عند القدرة مع رجاء الانتفاع لكن يلحقه أذى ، كذلك **يستحبُّ** إذا علم أن المأمور لا ينتفع ، ولكن في الاحتساب فوائد أخرى ، مثل أن تتقوى نفوس المؤمنين ، وتنكسر ، وتضعف شوكة الفاسقين.

ويكون محرماً إذا لحق المحتسبَ أذى جسيماً بأهله وجيرانه ومن حوله ، ويكون محرماً كذلك إذا ترتب على الاحتساب منكر أكبر ، **ويكون محرماً** إذا لم يكن من وراء الاحتساب إلا إلحاق الأذى بنفسه دون أن يكون لاحتسابه مصلحة ، أو أي أثر في إزالة المنكر ورفعه[1].

* * *

---

(١) أصول الدعوة: ١/ ٢٠٠.

المطلب السابع
الجهاد في سبيل الله

الجهاد لغة: بَذْلُ واستفراغ مافي الوسع والطاقة من قول، أو فعل[1].

وشرعاً: هو بَذْلُ الجهد من المسلمين لقتال الكفار، والبغاة، والمرتدِّين، ونحوهم.

والجهادُ فَرْضُ كفايةٍ، إذا قام به مَنْ يكفي من المسلمين سقط الإثم على الباقين، قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2].

أنواع الجهاد:

١ ـ جهاد الطلب: وهو تطلُّبُ الكفار في عقر دارهم ودعوتهم إلى الإسلام، وقتالهم إذا لم يقبلوا الخضوعَ لحكم الإسلام. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾[4]. ولقوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[5].

---

(١) النهاية: ٣١٩/١.
(٢) التوبة: ١٢٢.
(٣) التوبة: ٥.
(٤) التوبة: ٣٦.
(٥) التوبة: ٤١.

ويقول النبيُّ ﷺ: «**اغزوا باسم الله، وقاتِلُوا من كفر بالله**»[1].

وقد أجمع المسلمون على أنَّ جهادَ الكفار، وتطلُّبهم في عقْر دارهم، ودعوتهم إلى الإسلام وجهادهم إن لم يقبلوه، أو يقبلوا الجزية؛ فريضة محكمة غير منسوخة[2]. ولقد نقل ابنُ حَجَر أن جهادَ الابتداء والطلب فَرْضُ عَيْنٍ مثل جهاد الدَّفع عن بعض الصَّحابة وسعيد بن المسيب[3]. لكن قول الجمهور على أن **جهادَ الطلب فرضُ كفاية**. وهل يجب على المسلمين غزو الكفار في كل شهر، بل في كل عام؟ اختلف العلماءُ على قولين:

أ ـ الجمهور:

على **أن غزوةً واحدةً في العام تسقط الفريضة**، والباقي تطوع، وحُجَّتهم في ذلك أن الجزية تجبُ بدلاً عن الجهاد، والجزية لا تجبُ في السنة أكثر من مرة اتفاقاً؛ فليكنْ بدلها كذلك.

ب ـ **أنه يجبُ غزو الكفار في عقر دارهم**، كلما أمكن ذلك، من غير تحديد بعدد، وقال ابنُ حَجَر عنه: هذا القولُ قويٌّ[4].

٢ ـ جهاد الدفاع: **وهو دَفْعُ الكفار إذا اجتاحوا ديارَ الإسلام**:

حكمه **فَرْضُ عينٍ على المسلمين عموماً**، حتى يندفع شَرُّ الأعداء بإجماع علماء الإسلام.

أهداف الجهاد وغاياته:

الهدفُ الرئيسيُّ هو تعبيدُ الناس لله وحده، وإخراجهم من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، وإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً؛ لأن خضوع البشر لبشر مثلهم بتقديم أنواع العبادة لهم من دعاء ونذر وذبح

(١) مسلم: ح ١٧٣١.
(٢) المغني: ٨/٣٤٦، زاد المعاد: ٣/٧١.
(٣) الفتح: ٦/٢٨.
(٤) فتح الباري: ٦/٢٨.

وتشريع وتحاكم هو أساس فساد الدنيا. فهدفُ الجهاد الأكبر هو إرجاع البشر إلى الأصل، وهو الملّةُ الحنيفية التي تخضعهم لربِّ العالمين، وتجعلهم يستمدُّون منه سبحانه منهج حياتهم الدنيا، ويعبدونه كما أمر، ولا يعبدون أحداً غيره، وفي ذلك سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة.

فعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال فيما يرويه عن الله تعالى: «**إني خلقتُ عبادي حُنَفاء كلهم، وإنه أتتهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهم، وحرمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأَمَرَتْهُم أن يشركوا بي ما لم ينزلْ به سلطاناً**»[1].

والأدلَّةُ على أن هدفَ الجهاد الأكبر هو تعبيدُ الناس لرب العالمين، قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[3].

نقل ابنُ كثير وابنُ جرير والشّوكاني عن السَّلف أن الفتنةَ هي الشرك، وأن المعنى أن يكونَ دينُ الله هو الظاهر على سائر الأديان[4]. وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال في الحديث: «**مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[5].

وجاء في الحديث: «**بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريكَ له، وجُعِل رزقي تحت ظِلِّ رمحي، وجعل الذلُّ والصَّغارُ على من خالف أمري**»[6]. وفهم الصحابة هذا الأمر فانطلقوا في أرض الله يجاهدون من كفر بالله لإعلاء كلمة الله، فهذا ربعيُّ بن عامر رضي الله عنه

---

(١) مسلم: ح ٢٨٦٥.
(٢) البقرة: ١٩٣.
(٣) الأنفال: ٣٩.
(٤) ابن كثير: ١/٣٢٩، والطبري: ١٣/٥٣٧، فتح القدير: ١/٢٠٠.
(٥) البخاري: ح ٢٨١٠، ومسلم: ح ١٩٠٤.
(٦) أحمد في مسنده: ح ٥١١٤، وصححه الألباني في الإرواء: ح ١٢٦٩.

يقول لرستم ملك الروم في القادسية: **(إن الله ابتعثنا لنخرجَ العبادَ من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى رحب الآخرة)**(١).

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾(٢). والظهورُ يكون بالحُجَّة والبيان في جميع الأزمان، وبالسيف والسِّنان في زمان دون زمان، ومع هذا الهدف الأكبر للجهاد في سبيل الله، فهناك أهدافٌ أخرى في الجهاد؛ على سبيل المثال:

١ - ردُّ اعتداء المعتدين: قال الله تعالى: ﴿**وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ**﴾(٣). وقال تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٤). وفي الحديث عن الله عز وجل: «**إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماءُ، تقرأه نائماً ويقظانَ. وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً، قلت: يا ربِّ إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خبزةً، قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغْزُهُم نغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعثْ جيشاً نبعثْ خمسة مثله، وقاتلْ بمن أطاعك من عصاك**»(٥).

٢ - نصر المظلومين: قال الله تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ** وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾(٦).

---

(١) البداية والنهاية: ٣٩/٧.
(٢) الصف: ٩.
(٣) البقرة: ١٩٠.
(٤) التوبة: ١٣.
(٥) مسلم: ح ٢٨٦٥.
(٦) النساء: ٧٥.

٣ ـ إزالة الفتنة عن الناس حتى يستمعوا إلى دلائل التَّوحيد من غير عائق. والفتنةُ ثلاثةُ أنواع:

أ ـ **ما يمارسه الكفار من أشكال التعذيب والتضييق على المسلمين** ليرتدوا عن دينهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ (١).

ب ـ **الأوضاع والأنظمة الشركية** وما ينتجُ عنها من فساد خُلُقي وسلوكي، ممَّا يفتن المسلم في دينه، فكان إزالتها هدفاً من أهداف الجهاد.

ج ـ **فتنة الكفار أنفسهم** وصدهم عن استماع الحق وقبوله؛ لأن هذه الأنظمة الشركية تحول بين شعوبها وبين سماعها للحق، فالجهاد شرع لإزالة هذه الموانع.

٤ ـ **قتل الكافرين وإبادتهم إذا لم يسلموا أو يخضعوا للحكم الإسلامي** حتى لا يفسد المجتمع الذي يوحدون فيه. قال تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ (٣).

٥ ـ **إرهاب الكافرين وإخزائهم وإذلالهم وإغاظتهم**، قال الله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ (٤). وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (٥)(٦).

---

(١) البقرة: ٢١٧.
(٢) البقرة: ١٩١.
(٣) محمد: ٤.
(٤) التوبة: ١٥.
(٥) الأنفال: ١٦٧.
(٦) انظر هذا المبحث في كتاب: أهمية الجهاد: ١/ ٢٤.

الترهيب من ترك الجهاد:

اعتبر الشارع أنَّ تَرْكَ الرمي بعد تعلُّمه من الكبائر، فكيف بتعطيل الجهاد؟! فعن عُقْبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: **«من تعلَّم الرمي ثم تركه، فليس منا»**[1].

وقد جاءت الأحاديثُ بالترهيب من ترك الجهاد: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من مات ولم يَغْزُ، ولم يحدِّث به نفسه مات على شُعْبة من نفاق»**[2]. وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«من لم يَغْزُ، أو يجهز غازياً، أو يخلف غازياً في أهله بخير، أصابه الله بقارعةٍ قبل يوم القيامة»**[3].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلَّط اللهُ عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»**[4].

فضل الجهاد في سبيل الله:

جاء في فضل الجهاد نصوصٌ كثيرة، وأنواع من الثواب الجزيل، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١ ـ الجهاد في سبيل الله تجارة رابحة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[5]. وقد بين الله تعالى الصِّفاتِ الجميلةَ والأعمالَ الجليلةَ لهؤلاء الأبطال؛ الذين وعدهم الله بهذه البشارة، فقال تعالى:

---

(١) مسلم: ح ١٩١٩.
(٢) مسلم: ح ١٩١٠.
(٣) أبو داود: ح ٢٥٠٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٢/ ٧٥.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) التوبة: ١١١.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1] .

٢ ـ فضل الرباط في سبيل الله :

الثغورُ التى يمكنُ أن تكونَ منافذَ ينطلقُ منها العدو إلى دار الاسلام يجب أن تُحصَّن تحصيناً منيعاً ، حتى لا تكونَ جانبَ ضعف يستغله العدو ، ويجعله منطلقاً له . ولهذا جعل الله للمرابطين في سبيله الثواب العظيم ، فعن سلمان ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «**رباطُ يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عَمَلُه الذي كان يعمله ، وأُجري عليه رزقه ، وأَمِنَ الفتّان**[2]»[3] .

٣ ـ فَضْلُ الحراسة في سبيل الله تعالى :

عن أبي ريحانة ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «**حُرِّمَتِ النارُ على عين دمعت أو بكت من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرتْ في سبيل الله**»[4] . وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «**عينان لا تمسُّهما النار : عين بكتْ من خشية الله ، وعين باتتْ تحرسُ في سبيل الله**»[5] .

٤ ـ فضل الغدوة أو الروحة في سبيل الله :

عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : «**رباطُ يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضعُ سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحةُ يروحها العبدُ في سبيل الله أو الغدوة خيرٌ من الدنيا وما عليها**»[6] .

---

(١) التوبة : ١١٢ .

(٢) أَمِنَ الفتان : أي يؤمن من كل ذي فتنة ، والمقصود به فتان القبر ، النهاية : ١/ ٦٩١ .

(٣) مسلم : ح ١٩١٣ .

(٤) النسائي : ح ٣١١٩ .

(٥) الترمذي : ح ١٦٣٩ ، وحسنه ، انظر صحيح الترمذي : ٢/ ١٢٧ .

(٦) البخاري : ح ٢٧٩٤ ، مسلم : ح ١٨٨١ .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قال: «**لغدوةٌ في سبيل الله أو روحة خيرٌ من الدنيا وما فيها**»[1].

٥ ـ فضل من اغبرَّت قدماه في سبيل الله:

عن عبد الرحمن بن جَبْر ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ما اغبرَّتْ قدما عبدٍ في سبيل الله فتمسّه النار**»[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يلجُ النارَ رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبنُ في الضرع، ولا يجتمعُ على عبد غبارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنم**»[3].

٦ ـ الجنة تحت ظلال السيوف:

عن عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنهما ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو وسَلُوا اللهَ العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعْلَمُوا أن الجنةَ تحت ظِلال السيوف**»[4].

٧ ـ الجهاد لا يعدله شيء:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: دلَّني على عمل يعدلُ الجهادَ؟ قال: «لا أجده» قال: «**هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟**» قال: ومن يستطيع ذلك[5]؟!.

٨ ـ درجات المجاهدين في سبيل الله:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**إن في الجنة مئة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء**

---

(١) مسلم: ح ١٨٨٠، البخاري: ح ٢٧٩٢.
(٢) البخاري: ح ٢٨١١.
(٣) الترمذي: ح ١٦٣٣، وقال: حسن صحيح.
(٤) البخاري: ح ٢٨١٨، مسلم: ح ١٧٤٢.
(٥) البخاري: ح ٢٧٨٥، مسلم: ح ١٨٧٨.

والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوسَ؛ فإنه أوسطُ الجنة وأعلى الجنة ، وفوقُهُ عرشُ الرحمن ، ومنه تفجرُ أنهارُ الجنة»[1] .

٩ ـ ضيافة الشهداء عند ربهم :

عن المقدام بن معد يكرب ، عن رسول الله ﷺ قال: **«للشهيد عند الله ستُّ خصال: يُغْفَر له في أول دفعةٍ من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويُجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويُحلَّى حليةَ الإيمان ، ويُزَوَّجُ من الحُور العين ، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه»**[2] . وفي حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال في وصف الحور العين: **«ولو أنَّ امرأةً من أهل الجنة اطلعتْ إلى الأرض لأضاءتْ ما بينهما ، ولملأته ريحاً ، ولنَصِيْفُها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها»**[3] .

١٠ ـ دم الشهيد يوم القيامة :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده! لا يُكْلَم**[4] **أحدٌ في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة اللونُ لونُ الدم والريحُ ريحُ المسك»**[5] .

١١ ـ تمني الشهيد أن يُقْتَلَ عشر مرات :

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قال: **«ما من عبدٍ يموتُ ـ له عند الله خير ـ يسرُّه أن يرجعَ إلى الدنيا وأنَّ له الدنيا وما فيها ، إلا الشهيد؛ لما يرى من فضل الشهادة»** ، وفي لفظ: **«ما أحد يدخلُ الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد ، يتمنَّى أن يرجعَ إلى الدنيا فَيُقْتَل عشر مرات لما يرى من الكرامة»**[6] .

---

(١) البخاري: ح ٢٧٩٠ .
(٢) الترمذي: ح ١٦٦٣ ، وقال: حسن صحيح .
(٣) البخاري: ح ٦٥٦٨ ، والنصيف: هو الخمار .
(٤) يكلم: يجرح. مختار الصحاح: ١/٢٥٣ .
(٥) رواه البخاري: ح ٢٨٠٣ ، مسلم: ح ١٨٧٦ .
(٦) البخاري: ح ٢٧٩٥ ، مسلم: ح ١٨٧٧ .

١٢ ـ أرواح الشهداء تسرحُ في الجنة:

سُئل عبدُ الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١)، قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «**أرواحُهم في جَوْف طيرٍ خضرٍ لها قناديلُ معلقة بالعرش، تسرحُ من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطَّلع عليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرحُ من الجنة حيث شئنا**»(٢).

١٣ ـ ما يجد الشهيد من ألم القتل:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**الشهيدُ لا يجد من القتل إلا كما يجد أحدُكم القرصةَ يقرصها**»(٣).

١٤ ـ فضل النفقة في سبيل الله تعالى:

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤). وعن خُرَيْم بن فَاتِك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أنفق نفقةً في سبيل الله كتبت له سبعمئة ضعف**»(٥). وعن أبي مسعود الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجلٌ بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لك بها يوم القيامة سبعمئة ناقة كلها مخطومة**»(٦)(٧).

١٥ ـ الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ

---

(١) آل عمران: ١٦٩.
(٢) مسلم: ح ١٨٨٧.
(٣) النسائي: ح ٣١٦٣. وانظر صحيح النسائي: ٢/ ٦٦٥.
(٤) البقرة: ٢٦١.
(٥) الترمذي: ح ١٦٢٥. وانظر صحيح الترمذي: ٢/ ١٢٤.
(٦) مخطومة: أي فيها خطام، وهو قريب من الزمام.
(٧) مسلم: ح ١٨٩٢.

يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1] .

١٦ ـ الجهاد باب من أبواب الجنة :

عن عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**جاهدوا في سبيل الله فإن الجهادَ في سبيل الله باب من أبواب الجنة ينجي الله به من الهمِّ والغَمِّ**»[2] .

١٧ ـ ما يبلغ منازل الشهداء :

ويحصلُ هذا الخير العظيم لمن سأل الله الشَّهادةَ بصدق ، فعن سهل بن حنيف ـ رضي الله عنه ـ أن النبيَّ ﷺ قال: «**من سأل الله الشهادةَ بصدق بلَّغه اللهُ منازلَ الشهداء وإن مات على فراشه**»[3] . وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من طلب الشَّهادةَ صادقاً أعطيها ولو لم تصبه**»[4] .

١٨ ـ فضل المجاهدين على القاعدين :

قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾[5] .

١٩ ـ الرحمة والمغفرة للشهداء :

قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ

---

(١) آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١.

(٢) أحمد: ح ٢٢٧٤٦ ، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ، ٢/ ٧٥.

(٣) مسلم: ح ١٩٠٨.

(٤) المرجع السابق.

(٥) النساء: ٩٥ ـ ٩٦.

﴿مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾[1] .

٢٠ ـ القتل في سبيل اللهُ يكفِّر كل شيء إلا الدين :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**يُغْفَرُ للشهيد كلُّ ذنب إلا الدين**»[2] . وعن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر لهم: «**أن الجهاد في سبيل الله ، والإيمان بالله أفضل الأعمال**» فقام رجلٌ فقال: يا رسول الله ، أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ : «**نعم ، إن قُتِلْتُ في سبيل الله وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر**» ثم قال رسول الله ﷺ : «**كيف قلت؟**» فقال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسولُ الله ﷺ : «**نعم ، وأنت صابر محتسب ، مُقْبِل غير مُدْبِر ، إلا الدين ، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك**»[3] .

٢١ ـ المجاهد بنفسه وماله أفضل الناس :

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل: يا رسول الله ، أي الناس أفضل؟ فقال: «**مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم مؤمن في شِعْب من الشّعاب ، يعبد الله ربه ، ويدع الناس من شره**»[4] .

٢٢ ـ من خرج من بيته مجاهداً فمات فقد وقع أجره على الله :

قال الله تعالى: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[5] . وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**انتدب الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه إلا إيمانٌ بي ، وتصديق برسلي أن**

---

(١) آل عمران: ١٥٧ ـ ١٥٨ .

(٢) مسلم: ح ١٨٨٦ .

(٣) مسلم: ح ١٨٨٥ .

(٤) البخاري: ح ٢٧٨٦ ، مسلم: ح ١٨٨٨ .

(٥) النساء: ١٠٠ .

أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشقَّ على أمتي ما قعدت خَلْفَ سرية ، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل» ، وفي لفظ: «وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يُدْخِلَه الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة» وفي لفظ: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله ، وتصديق كلمته أن يدخله الجنة ، أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة»[١]. والأعمال بالنيات ، وقد جاء في مسند الإمام أحمد: «من خرج من بيته مجاهداً في سبيل الله عز وجل فَخَرَّ عن دابته ، ومات ، فقد وقع أجره على الله تعالى ، أو لدغته دابة فمات فقد وقع أَجْرُهُ على الله ، أو مات حَتْفَ أنفه فقد وقع أَجْرُهُ على الله عز وجل»[٢].

وقال ﷺ فيمن مات في الرباط في سبيل الله: «وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجري عليه رزقه ، وأَمِنَ الفتّان»[٣].

وهذا يُـؤكِّد فَضْلَ الموت في سبيل الله تعالى مرابطاً ، والمعنى والله أعلم: إن مات في حال الرباط أجري عليه أجر عمله الذي كان يعمله في حال رباطه ، فينمو له عمله ، وأجري عليه رزقه ، فيرزق في الجنة كما يرزق الشهداء الذين تكون أرواحهم في حواصل الطير ، تأكل من ثمر الجنة ، ويؤمن من كل فتنة ، وقيل: من فَتَّان القبر[٤].

٢٣ ـ مثل المجاهد في سبيل الله تعالى:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبيَّ ﷺ قال: «مثلُ المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ، ولا صيام ، حتى يرجع المجاهدُ في سبيل الله»[٥].

---

(١) البخاري: ح ٢٧٨٧ ، مسلم: ح ١٨٧٦.
(٢) أحمد: ح ١٦٤٢٠.
(٣) مسلم: ح ١٩١٣.
(٤) المفهم: ٣/٧٥٦.
(٥) البخاري: ح ٢٧٨٥ ، مسلم: ح ١٨٧٨.

٢٤ ـ ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله تعالى:

عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ أن النبيَّ ﷺ قال له: «**رأسُ الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذِرْوةُ سنامه الجهاد**»[١].

٢٥ ـ سياحة أمة محمد ﷺ الجهاد في سبيل الله:

عن أبي أُمامة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله! اِئْذَنْ لي في السياحة، قال النبيُّ ﷺ: «**إن سياحةَ أمتي الجهادُ في سبيل الله عز وجل**»[٢].

٢٦ ـ الرمي بسهم في سبيل الله يعدل إعتاق رقبة:

عن أبي نجيح عمرو بن عبسة السلمي ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدلُ محرر**»[٣]. وفي لفظ: «**من رمى العدوَّ بسهم، فبلغ سَهْمُه العدو، أصاب، أو أخطأ، فيعدل رقبة**»[٤].

٢٧ ـ عمل قليلاً وأجر كثيراً:

عن البراء ـ رضي الله عنه ـ: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ **مُقَنَّع**[٥] **بالحديد** فقال: يا رسول الله، أقاتل أو أسلم؟ فقال ﷺ: «**أسلم ثم قاتل**» فأسلم ثم قاتل فقتل، فقال رسولُ الله ﷺ: «**عمل قليلاً وأجر كثيراً**»[٦].

---

(١) الترمذي: ح ٢٦١٦.

(٢) أبو داود: ح ٢٤٨٦، حسنه الألباني. انظر صحيح أبي داود: ٢/ ٤٧٢.

(٣) الترمذي: ح ١٦٣٨.
محرر: الرقبة المعتقة، والعدل: هو المثل. انظر المعجم الوسيط: ١/ ١٨٦.

(٤) ابن ماجه: ح ٢٨١٢.

(٥) مقنع: مغطى بالسلاح، وقيل: هو الذي على رأسه خوزة. النهاية: ١/ ٤٧٤.

(٦) البخاري: ح ٢٨٠٨، مسلم: ح ١٩٠٠.

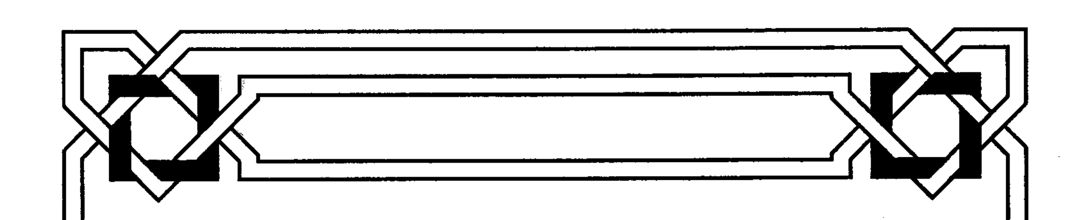
٢٨ ـ من جهز غازياً فقد غزا:

عن زيد بن خالد ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«من جَهَّز غازياً فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا»**[1][2].

❋ ❋ ❋

---

(١) البخاري: ح ٢٨٤٣، مسلم: ح ١٨٩٥.
(٢) انظر هذا المبحث في كتاب فضل الجهاد في سبيل الله: ص ١٩ وما بعدها.



المبحث الثاني
موقف المسلم أثناء الفتن

وذلك في مطالب:

المطلب الأول: **الفرار من مواطن الفتن.**

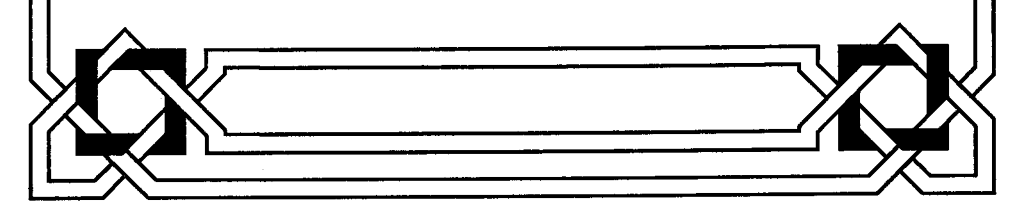
المطلب الثاني: **حفظ اللسان عما ليس تحته علم ولا فائدة.**

المطلب الثالث: **الصبر.**

المطلب الرابع: **اللجوء إلى الله تعالى.**

المطلب الخامس: **الحذر من تطبيق أحاديث الفتن على واقع معين إلا بعلم وبصيرة.**

المطلب السادس: **الاعتزال.**





المطلب الأول
الفرار من مواطن الفتن

إذا وقعتِ الفتنُ وَجَبَ على المسلم أن يفرَّ من مواطنها ، ولا يتعرض لها ، فالسلامةُ لا يعدلها شيء. عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «**يوشك أن يكون خيرَ مال المسلم غنمٌ يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفرُّ بدينه من الفتن**»(١). وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «**ستكون فتنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خيرٌ من الساعي ، من تشرَّف لها تستشرفه ، فمن وَجَدَ منها ملجأ أو معاذاً فيعذ به**»(٢).

فالأحاديثُ ترشدُ المسلمَ أن يبتعدَ عن مواطن الفتن ، وقد أمر النبي ﷺ بالابتعاد عن الدَّجَّال ، لأنه موطن شبهة وفتنة ، فعن عمران بن حصين قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**من سمع بالدَّجَّال فلينأْ عنه ، فوالله إن الرجلَ ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه ممَّا يبعث به من الشبهات**»(٣).

وعن أبي بكرة أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنها ستكون فتن . . . فإذا نزلت فمن كان له إبل فليلحقْ بإبله ، ومن كانت له غنم فليلحقْ بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحقْ بأرضه**»(٤).

ويدخل في البعد عن مواطن الفتن أمورٌ نذكر بعضها:

---

(١) البخاري: ح ١٩ ، والشعف: هو أعالي الجبال.

(٢) البخاري: ح ٧٠٨١.

(٣) أبو داود: ح ٤٣١٩.

(٤) أبو داود: ح ٤٢٥٦.

١ ـ الهجرة من دار الحرب: يجبُ على كلِّ مسلم أسلم في دار الحرب، وهو لا يستطيعُ أن يظهرَ دينه، وهو قادرٌ على الهجرة أن يهاجر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[١].

أما من يقدر على إظهار دينه، فيستحبُّ له الهجرة، لتكثير سواد المسلمين، وللجهاد معهم[٢].

٢ ـ الهجرة من ديار غلبت عليها المعاصي والبدع وأكل الحرام إلى دار أخرى لمن قدر على ذلك. قال الإمامُ مالك: (لا يحلُّ المكث بأرض يُسَبُّ فيها السلف)[٣]، ولذلك هاجر المسلمون إلى الحبشة وإلى المدينة فراراً بدينهم، وقد وَرَدَ في الحديث عن أبي سعيد رضي الله عنه أن نبيَّ الله ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قَتَلَ تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مئة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدلَّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مئة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبدِ الله معهم، ولا ترجعْ إلى أرضك فإنها أرضُ سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكةُ الرحمة وملائكةُ العذاب، فقالت ملائكةُ الرحمة: جاء تائباً مُقْبِلاً إلى الله، وقالت ملائكةُ العذاب: إنه لم يعملْ خيراً قط، فأتاهم ملكٌ في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له**

---

(١) النساء: ٩٧ ـ ٩٩.

(٢) المغني: ٨/ ٤٥٦.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٤٨٤.

فقاسوه ، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة»[1].
وفي رواية: «**فأدركه الموت فناء بصدره نحوها**» أي: نحو القرية الطيبة.
وفي رواية: «**فأوحى الله إلى هذه أن تقربي ، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي**» ، وفي رواية: «**فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجعلَ من أهلها**»[2].

قال الإمام النوويُّ في شرح الحديث: (في هذا استحبابُ مفارقة التائب للمواضع التي أصاب فيها الذنوب ، والأخدان والمساعدين له على ذلك ، وأن يستبدلَ بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبِّدين)[3].

وقال ابنُ حَجَر في شرح الحديث: (فيه فَضْلُ التَّحوُّل من الأرض التي يصيب فيها الإنسانُ المعصيةَ حتى لا يتذكر أفعاله الصَّادرة قبل ذلك ، ولذلك قال له الأخير: لا ترجع إلى أرضك فإنها أرضُ سوء)[4]. قال القرطبيُّ: (هذا الحكمُ ـ وهو هجران أرض المعصية ـ كان في زمن من قبلنا من الأمم؛ كما في قصة أصحاب السبت حين هجروا العاصين ، وقالوا: لا نساكنكم ، وبهذا قال السلفُ ، ثم ذكر عن مالك أنه قال: تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهاراً ولا يستقر فيها ، واحتج بصنيع أبي الدرداء رضي الله عنه في خروجه من أرض الشام ، لما أجاز معاوية ربا الفضل ، فقال له أبو الدرداء: والله لا أساكنك أبداً ، ولما رجع أبو الدرداء إلى عمر رضي الله عنه في المدينة قال له: ارجعْ إلى الشام فلا بورك في أرض لست فيها أنت وأمثالك ، وكتب إلى معاوية أن الأمر كما قال أبو الدرداء)[5].

ونقل القرطبي على سفيان الثوري أنه قال: (هذا زمانُ سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين؟! هذا زمان ينتقل فيه الرجلُ من قرية إلى

---

(١) مسلم: ح ٢١١٨.
(٢) البخاري: ح ٣٤٧٠.
(٣) النووي: ١٧/ ٨٣.
(٤) الفتح: ٦/ ٥٩٨.
(٥) التذكرة: ٢/ ٢٠٨.

قرية يفرُّ بدينه من الفتن، وقال: والله ما أدري أي البلاد أسكن، فقيل له: خراسان، فقال: مذاهب مختلفة وآراء فاسدة، فقيل: الشام. فقال: يشار إليكم بالأصابع، فقيل له: العراق. قال: بلاد الجبابرة، فقيل له مكة: فقال: مكة تذيبُ الكيس والبدن)[1].

٣ - هجر العصاة والمبتدعين: لأنهم بُؤْرَةٌ للشهوات والشبهات، بعد نصحهم ومحاولة هدايتهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[3].

ولكن فليعلمْ أن الهجرَ يختلفُ بحسب الأحوال والأزمنة والأمكنة وضعف الهاجر والمهجور وقوتهما؛ لأن الهجرَ ليس مراداً لذاته بل لمصلحة الهاجر والمهجور، فهو مبنيٌّ على رعاية المصالح، ودرء المفاسد.

قال ابنُ تيمية: (والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبيُّ ﷺ يتألف قوماً، ويهجر آخرين، كما أن الثلاثةَ الذين خلفوا كانوا أفضل من المؤلَّفة قلوبهم، ولما كان المؤلَّفة قلوبهم كانوا سادةً مطاعين في عشائرهم، فكانت المصلحةُ الدينيةُ في تأليف قلوب هؤلاء، أما الثلاثة الذين خُلِّفُوا فكانوا مؤمنين، والمؤمنون سواهم كثير، فكان في هجرهم عِزُّ الدين، وتطهيرهم من ذنوبهم، وهذا كما أن المشروعَ في العدو القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح.

---

(١) المرجع السابق.
(٢) الأنعام: ٦٨.
(٣) النساء: ١٤٠.

وجوابُ الأئمة كأحمد وغيره ، في هذا الباب مبنيٌّ على هذا الأصل ، ولهذا كان يفرقُ بين الأماكن التي كثرت فيها البدع ، كما كثر القدر في البصرة ، والتنجيم بخراسان ، والتشيع بالكوفة ، وبين ما ليس كذلك ، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم ، واذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه.

فالهجرانُ قد يكون مقصوده: ترك سيئة البدعة؛ التي هي ظلم وذنب ، وإثم وفساد ، وقد يكون مقصوده: فعل حسنة الجهاد ، والنهي عن المنكر وعقوبة الظالمين ، لينزجروا ويرتدعوا. وليقوى الإيمانُ والعمل الصالح عند أهله. فإن عقوبةَ الظالم تمنعُ النفوس عن ظلمه ، وتحضُّها على فعل ضد ظلمه: من الإيمان والسنة ونحو ذلك. فإذا لم يكن في هجرانه انزجارُ أحد ، ولا انتهاءُ أحد ، بل بطلانُ كثيرٍ من الحسنات المأمور بها ، لم تكن هجرة مأموراً بها).

وقال ـ رحمه الله ـ في تأصيل المسألة وتأكيدها ما نصه:

(فإن أقواماً جعلوا ذلك عاماً ، فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يُؤْمَرُوا به ، فلا يجبُ ولا يستحبُّ ، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات ، وفعلوا به محرماً.

وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية ، فلم يهجروا ما أمروا به من السيئات البدعية ، بل تركوها ترك المعرض لا ترك المنتهي الكاره ، أو وقعوا فيها ، وقد يتركونها ترك المنتهي الكاره ، ولا ينهون عنها غيرهم ، ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحقُّ العقوبة عليها ، فيكونون قد ضَيَّعُوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجاباً ، أو استحباباً ، فهم بين فعل المنكر ، أو ترك النهي عنه ، وذلك فعل ما نهوا عنه ، وترك ما أمروا به ، فهذا هذا ، ودين الله وسط بين الغال فيه ، والجافي عنه)[1].

---

(١) الفتاوى: ٢٨/ ٢٠٤ ـ ٢١٣.

٤ ـ حرمة السفر إلى بلاد المشركين: لا يجوزُ السفر إلى بلاد المشركين لأنها مواطنُ الفتن، وقد قال ﷺ: **«أنا بريءٌ من كل مسلم يقيمُ بين ظهراني المشركين لا تتراءى ناراهما»**[1].

وقال ﷺ: **«من جامَعَ المشركَ، أو سكن معه فهو مثله»**[2]. وقد ذكر العلماء أن السفر إلى بلاد المشركين لا يجوز إلا بشروط ثلاثة:

أ ـ القدرة على إظهار الدين، ولا يُشْتَرَطُ سَبُّ المشركين، وتسفيه آلهتهم.

ب ـ أن يأمنَ في الوقوع في الشبهات والشهوات بأن يكونَ عنده عِلْمٌ صحيح، وإيمان قوي.

ج ـ وجود الحاجة الماسَّة للسَّفر إلى بلادهم[3].

٥ ـ البعد عن المجالس والأماكن التي تكثر فيها المعاصي، ويختلط فيها النساء بالرجال مثل الأسواق والمتنزهات وشواطئ البحار. جاء في الحديث عنه ﷺ قال: **«أحبُّ البقاعِ إلى الله مساجدها، وشَرُّ البقاعِ إلى الله أسواقها»**[4].

٦ ـ عدم اقتناء ما يحرك بواعثَ النفس عن الشر والفساد: مثل المجلات الخليعة، والأطباق الفضائية، وجهاز التلفاز؛ لأنها مصادرُ للشهوات والشُّبهات، قال الله تعالى واصفاً دعاة الشر والفساد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ﴾[5]. وقال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾[6].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أبو داود: ح ٢٧٨٧، عن سمرة بن جندب.

(٣) انظر الضياء اللامع: ٢/ ٦٤٢ بتصرف.

(٤) مسلم: ح ٦٧١.

(٥) البقرة: ٢٢١.

(٦) النساء: ٢٧.

واعلمْ أن هذه المجلات ، وما يُبَثُّ في الأطباق الفضائية ، وجهاز التلفاز؛ فيه من الأمور التي تخدشُ الحياء ، وتفسد الأخلاق ، وتدمِّر المجتمعات.

يقول ابنُ عثيمين ـ رحمه الله ـ: ومن مفاسد هذه المجلات ما يحدث من هيام في الحب ، وإغراق في الخيال الذي لا حقيقةَ له ، فهو كسرابٍ بِقِيْعَةٍ يحسبه الظمآنُ ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، يسبحُ شيئاً في خيال فارغ لا يحصلُ به إلا قلق النفس ، وتشتيت الفكر ، ونسيان مصالح الدِّيْن والدنيا ، **ومن مفاسدها** تأثيرها على الفكر والأخلاق والعادات ، حيث يألف ما يقرؤه من أفكار منحرفة ، وما يشاهده من مظاهر فاتنة ، في الصور وأزياء الألبسة وغيرها ، فيتأثر بذلك الفردُ والمجتمعُ ، وينطبعان بهذا الطابع **الفاسد** ، **ومن مفاسدها** إغراء ناشريها على نَشْرِها ، وتقوية رصيدهم المالي لينشروا ما هو أقبحُ من ذلك إذا سَنَحَتْ لهم الفرصة ، فيكون المشتري والمتقبل لها مشارِكاً في نشر الفساد ، وعليه من إثمه نصيبٌ ، فيا أيها المؤمنون! قاطِعُوا هذه المجلات ، وجانبوها ، وإياكم واقتناءها ، واحذروا منها ، يقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1][2].

* * *

---

(١) الأنفال: ٢٥.

(٢) الضياء اللامع: ٢/٦١٦.

المطلب الثاني
حِفْظُ اللسان عما ليس تحته علم ولا فائدة

يجبُ على كل مكلَّف أن يكفَّ لسانه ، ويحفظه عن كل باطل في جميع الأوقات والأزمنة ، ويزدادُ هذا الحفظ عند ورود الفتنة وحلول المحنة ، ففيها تكثرُ الأقاويلُ ، وتزداد شهوةُ الإشاعات والمبالغات والأباطيل ، وعندها تكون الآذانُ مستعدةً لاستقبال كل ما يقال ، ورُبَّ كلمة تكون أشد وقعاً من السيف أثناء المحنة ، ولذلك أمر اللهُ بحفظ اللسان ، فقال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1] .

وقال مجاهدٌ في تفسير الآية: (ما من شيء يتكلم به العبدُ إلا أُحصي عليه ، حتى أنينه في مرضه)[2]. وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾[3] .

قال الإمامُ النووي: (اعلمْ أنه ينبغي لكل مكلَّف أن يحفظَ لسانه عن جميع الكلام ، إلا كلاماً تظهر فيه المصلحةُ ، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة ، فالسنةُ الإمساكُ عنه؛ لأنه قد ينجر الكلامُ المباحُ إلى الحرام أو المكروه ، بل هذا كثير وغالبٌ في العادة ، والسلامة لا يعدلها شيء)[4]. فاللسانُ جرمه صغير ، وجرمه كبير ، فالعاقلُ يجعل لسانه وراء قلبه ، فلا ينطق حتى يتدبر ما يقول ، والأحمق يجعلُ لسانه أمام قلبه فيتكلم بلا تدبرٌ.

---

(١) ق: ١٨ .

(٢) ابن كثير: ٤/ ٢٠ .

(٣) الإسراء: ٥٣ .

(٤) الأذكار: ص٥١٦ .

يقول ابنُ القيم: (فالعجبُ أنَّ الإنسانَ يهونُ عليه التحفظ من أكل الحرام والظلم والزنى والسرقة وغير ذلك من المحرمات، ويصعبُ عليه التحرز والتحفظُ من حركة لسانه، حتى تجدَ الرجلَ يُشارُ إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلَّم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالاً، قد تهوي به في النار سبعين خريفاً، وتهوي به في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجلٍ متورِّع عن الفواحش والظلم، ولسانه ينتهكُ أعراض الأحياء والأموات، وينهشُ في لحومهم، ولا يبالي بما يقول)[1].

وقد كان السَّلَفُ الصَّالحُ يحاسِبُ أحدُهم نفسه، في قوله: يوم حار ويوم بارد. وقد رُئي بعضُ الأكابر من أهل العلم، فَسُئِل عن حاله، فقال: أنا موقوفٌ على كلمة قلتُها، قلت: ما أحوجَ الناسَ إلى غيث! فقيل لي: وما يدريك؟! أنا أعلمُ بمصلحة عبادي[2]. وقال يزيدُ بن حبيب: (إن المتكلم لينتظرُ الفتنة، وإن المنصتَ لينتظر الرحمة)[3].

وكان عمر يقول: (من كَثُرَ كلامُه كثر سَقَطُه، ومن كثر سقطه كثرتْ ذنوبه، ومن كثرتْ ذنوبُه كانتِ النارُ أولى به). وكان الصديقُ رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول: (هذا الذي أوردني الموارد). وقال ابن مسعود: (واللهِ الذي لا إله إلا هو ما من شيء أحوجُ إلى طول سجن من اللسان)، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول وهو على الصَّفا: (يا لسانُ قل خيراً تغنمْ، واسكتْ عن شر تسلم قبل أن تندم)، وفي حكمة داود عليه السلام: حق على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، حافظاً للسانه، مقبلاً على شأنه[4].

وسوف نتكلَّم في هذا المطلب على حِفْظ اللسان في صورتين:

أ ـ الصورة الأولى: التحذير من اللسان على العموم.

---

(١) الجواب الكافي: ص ٢٨٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) جامع بيان العلم وفضله: ١/٥٤٩.

(٤) انظر هذه الأقاويل في الإحياء: ٣/١١١.

ب ـ **الصورة الثانية**: التحذير من اللسان في زمن الفتنة.

الصوة الأولى: التحذير من اللسان في عموم الأوقات:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «.... **ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**» قلت: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «**كُفَّ عليك هذا**»، فقال: أو إنَّا لمؤاخذون بما نتكلَّم به؟ فقال: «**ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكبُّ الناس على وجوههم أو مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**»[(١)].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سأل النبيَّ ﷺ قال: ما النجاةُ يا رسول الله؟ فقال الرسول ﷺ: «**أمسكْ عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك**»[(٢)]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن العبدَ ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في نار جهنم**»[(٣)]. وفى رواية: «**يهوي بها في النار أبعدَ من المشرق والمغرب**»[(٤)].

وعن أم حبيبة رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال: «**كلُّ كلام ابن آدم عليه لا له، إلا أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو ذِكْراً لله عز وجل**»[(٥)].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**إذا أصبح ابنُ آدم فإن الأعضاء كلها تكفِّر اللسان، فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحنُ بك إن استقمتَ استقمنا، وإن اعوججتَ اعوججنا**»[(٦)].

فإيمانُ العبد لا يستقيمُ حتى يستقيمَ قلبه، ولا يستقيمُ قلبه حتى يستقيمَ لسانه، فعن عبد الله بن عمر أن النبيَّ ﷺ قال: «**من صمت نجا**»[(٧)].

---

(١) الترمذي: ح ٢٦١٦، وقال: حسن صحيح.

(٢) الترمذي: ح ٢٤٠٦، وقال: حسن.

(٣) البخاري: ح ٦١١٣.

(٤) مسلم: ح ٢٩٨٨.

(٥) الترمذي: ح ٢٤١٢، وقال: حسن.

(٦) الترمذي: ح ٢٣٠٧، وقال: حسن صحيح. ومعنى تكفر: تخضع.

(٧) الترمذي: ح ٢٥٠١، وصححه الألباني في الصحيحة: ح ٥٣٦.

وجعل النبيُّ ﷺ حِفْظَ اللسان من مُكَمِّلاتِ الإيمان ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليقلْ خيراً أو ليصمتْ**»[١].

قال ابنُ القيم رحمه الله: (فالكلامُ أسيرك ، فإن خرج من فِيْكَ صرتَ أنت أسيره ، واللهُ عند لسان كل قائل ، قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾)[٢]. ثم قال: (وفي اللسان آفتان ، إن خلص من أحدهما لم يخلصْ من الآخر ، آفة الكلام وآفة السكوت. وقد يكون كلٌّ منهما أعظمَ أثماً من الآخر في وقتها ، فالساكتُ عن الحق شيطانٌ أخرس ، عاصٍ لله ، مراء مداهن ، إذ لم يخفْ على نفسه ، والمتكلف بالباطل شيطان ناطق ، عاصٍ لله ، وأكثر الخَلْق منحرف في كلامه وسكوته ، وأهلُ الوسط هم أهل الصراط المستقيم ، كَفُّوا ألسنتهم عن الباطل ، **وأطلقوها فيما يعودُ عليهم** نفعه في الآخرة ، فلا ترى أحدَهم يتكلَّم بكلمةٍ تذهبُ عليه ضائعة بلا منفعة ، فضلاً أن تضرَّه في آخرته ، وإن العبدَ ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال ، فيجد لسانه قد هَدَمَها عليه كلها ، ويأتي بسيئات أمثال الجبال ، يجدُ لسانه قد هدمها كلها من كثرة ذِكْر الله عز وجل ، وما اتصل به)[٣].

الصورة الثانية: حفظ اللسان في زمن الفتنة:

فقد جاءتِ الأحاديثُ في حِفْظ اللسان زمان الفتنة: فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكروا الفتنة فقال: «**إذا رأيتم الناسَ قد مرجتْ عهودهم ، وخَفَّت أماناتهم ، وكانوا هكذا**» ، **وشَبَّك بين أصابعه ، قال: فقمتُ إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟** قال: «**الزمْ بيتك ، واملك عليك لسانك ، وخُذْ بما تعرف ، ودَعْ ما تنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ، ودَعْ عنك أمر**

---

(١) البخاري: ح ٦٤٧٥.
(٢) ق: ١٨.
(٣) الجواب الكافي: ص ٢٨١.

العامة»[1]. ومعنى املك عليك لسانك: احفظه وصُنْه ولا تُجْرِه إلا فيما لك، لا عليك، أو أمسكه عما لا يعنيك[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «**ستكون فتنةٌ تستنظفُ العرب، قتلاها في النار، اللسان فيها أشدُّ من وقع السيف»**[3].

ومعنى تستنظف: أي تستوعبهم هلاكاً[4]. قال القاري[5]: (أي تطهرهم من الأراذل وأهل الفتن).

قال القرطبيُّ: (اللسانُ أشدُّ فيها من السيف، إما بالكذب عند أئمة الجَوْر، وإما نقل الأخبار إليهم، فربما نَشَبَ عن ذلك النهبى والقتل والجَلْد والمفاسد العظيمة، أكثر مما ينشأ من وقوع الفتنة نفسها)[6]. وقد ترجم الحافظُ ابنُ كثير لهذا الحديث بقوله: (إشارةٌ نبويةٌ إلى أنه سيكون فتنة وَقْعُ اللسان فيها أشد من وَقْعِ السيف)[7].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ستكونُ فتنةٌ بكماء عمياء صَمَّاء، من أَشْرَفَ لها استشرفت له، وإشرافُ اللسان فيها كوقوع السيف»**[8]. فتبين أن إشرافَ اللسان في الفتن كوقوع السيف، أي: إطلاقه وإطالته بالكلام يعد كوقوع السيف في التأثير والمحاربة، قال ابنُ العربي: (وَجْهُ كونه أشدّ من السيف أن السيفَ إذا ضرب ضربةً واحدة مضى، واللسان يضربُ بها في تلك الحالة الواحدة ألف نسمة، ثم هذا يحتملُ أنه إخبار عما وقع في الحروب في الصدر الأول، ويحتمل أنه سيكون،

---

(١) أبو داود: ح ٤٤٣، وهو في السلسلة الصحيحة: ح ٥٠٢.
(٢) فيض القدير: ١/٣٥٣.
(٣) أبو داود: ح ٤٢٦٥، وابن ماجه: ح ٣٩٦٧، وضعفه الألباني.
(٤) النهاية لابن الأثير: ٩/٧٩.
(٥) تحفة الأحوذي: ٦/٤٠٢.
(٦) التذكرة: ٢/٢٤٩.
(٧) النهاية: ١/٧٧.
(٨) أبو داود: ح ٤٢٦٤، وضعفه الألباني.

وكيف ما كان فإنه معجزةٌ من معجزات النبيﷺ لأنه إخبارٌ عن الغيب)[1].

ثم اعلمْ أن القولَ في زمن الفتنة له ضوابط ، يضبطُ بها ، فليس كل مقالة تبدو حسنةً تُعلن وتظهر ، وكذلك ليس كل فعل يبدو حسناً يفعل ، لأن القولَ والفعلَ أيام الفتن يترتَّبُ عليه أشياء وأشياء ، ولهذا كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: (حفظتُ من رسول اللهﷺ وعاءين من العلم ، فأما أحدهما فقد بثثته ، وأما الآخر لو بثثته قُطِع هذا البلعوم)[2]. وهذا الوعاءُ الذي لم يبثه هو أسماء أمراء السوء وأحوالهم ، فلم يصرح به خوفاً على نفسه ، وفى هذا الكتمان مصالح ، ودَرْءٌ للمفاسد حتى لا يتفرق الناس بعد أن اجتمعوا).

وهذا ابنُ مسعود رضي الله عنه يقول: (ما أنت مُحَدِّثٌ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)[3]. لأن الكلامَ مع العوام بكلام لا يفهم يجرُّ إلى سوء الفهم والفتن ، وقد نقل الإمامُ ابنُ حَجَر كلاماً جيداً يؤيد أن الإنسانَ يتكلم بكلام قد يفهم فهماً خاطئاً ، فقال رحمه الله: (وممن ترك التحديث ببعض دون بعض: أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج عن السلطان ، ومالك: في أحاديث الصفات ، وأبو يوسف: في الغرائب ، ومن قبلهم أبو هريرة: في الجرابين لأن المرادَ ما يقع من الفتن ، ونحوها عن حذيفة: وعن الحسن: أنه أنكر على أنس بن مالك تحديثه للحَجَّاج بحديث العرنيين؛ لأنه اتخذه وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي ، وضابط ذلك أن يكون ظاهرُ الحديث يقوِّي البدعة ، وظاهره في الأصل غيرُ مراد ، فالإمساكُ عنه عند من يخشى عليه بأخذ ظاهره مطلوب)[4].

* * *

(١) عون المعبود: ٣٤٦/١١ ، والتحفة: ٤٠٣/٦ ، فيض القدير: ١٠١/٤.
(٢) البخاري: ح ١٢٠.
(٣) مسلم في المقدمة: ٧٦/١.
(٤) الفتح: ٣٣٨/١.

المطلب الثالث
الصبر

الصبر: من شارات الكمال، ومن معالم بِناء الرجال، ومن دلائل قوة الإرادة، ومضاء العزيمة، وانضباط النفس، والقدرة على التحمُّل، لأن أعباء الحياة لا يطيقها المجاهيل، ولا يقوى عليها المهازيل، **والإيمانُ نصفان: نصف صبر، ونصف شكر**، والصبرُ من الإيمان بمنزله الرأس من الجسد، فكما أنه لا جَسَدَ لمن لا رأسَ له، فلا إيمانَ لمن لا صَبْرَ له.

وقد بيَّن القرآنُ أن الابتلاء بالمكلَّف لامحيصَ عنه، وأنه لا علاجَ له إلا أن يواجهه بالصبر، فقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[2].

وبالصبر واليقين **تُنال الإمامةُ في الدين**، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[3].

وأخبر تعالى أن بالصبر والتقوى يتقي العبدُ كثيراً من الضرر، فقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾[4].

---

(١) البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٨.

(٢) محمد: ٣١.

(٣) السجدة: ٢٤.

(٤) آل عمران: ١٢٠.

وبالصبر نال يوسفُ عليه السلام العزة والتمكين في الأرض، فقال تعالى على لسان يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وعلَّق الله عز وجل الفلاحَ على الصبر والتقوى، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]. وأخبر جلَّ وعلا أن الصابرين هم أهلُ محبته، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3].

وأمر اللهُ عباده بالاستعانة بالصبر والصَّلاة على مُهمَّات الحياة وبلائها وفتنتها، فقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[4].

وأمر جلَّ وعلا عباده بالصبر الجميل، فقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[5]. والصبرُ الجميلُ هو الذي لا شكوى معه، كما أن الهجرَ الجميلَ الذي لا عتاب معه، وكما أن الصفحَ الجميلَ هو الذي لا أذى معه. والصبر أيام الفتن هو الذي يميزُ الصادقين من الكاذبين[6].

قال ابنُ القيم: (والفتن من صبر عليها كانت رحمة في حقه، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها، ومن لم يصبرْ عليها وَقَعَ في فتنة أشد منها)[7].

والصبرُ محتاجٌ إليه عند كل المحن والفتن:

* **فعند المصائب والكوارث نحتاجُ إلى الصبر**، وهو حَبْسُ النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعاصي، مثل شق الجيوب، ولطم الخدود، وغير ذلك، فتتحولُ المحنةُ في حق

---

(١) يوسف: ٩٠.
(٢) آل عمران: ٢٠٠.
(٣) آل عمران: ١٤٦.
(٤) البقرة: ٤٥.
(٥) المعارج: ٥.
(٦) موقف المسلم من الفتن: ص٣٩٠ وما بعدها.
(٧) إغاثة اللهفان: ٥٣٦.

الصابر إلى منحة ، والبلية إلى عطية ، قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾[1] . وعن صُهَيْب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**عَجَباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سَرَّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضَرَّاء صبر فكان خيراً له**»[2] .

* وفتنةُ المعاصي لا تكون سهلة ميسرة ، لا ينجو منها العبدُ إلا بالصبر والمراقبة. يقول صاحبُ الإحياء: (اعلمْ أن كثرة المعاصي في شيئين: قلة الصبر عَمَّا يحبون ، وقلة الصبر فيما يكرهون)[3] .

وأيامُ الفتن يكونُ الصبرُ على الطاعات من أجلّ العبادات ، لأنه يحتاجُ إلى جهد ومجاهدة ، ولذلك وَرَدَ عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمانٌ؛ الصابرُ فيهم على دينه كالقابض على الجمر**»[4] . بل جعل الشارعُ العبادةَ في أيام الفتن في ثوابها؛ كثواب الهجرة إلى النبي ﷺ ؛ فجاء في الحديث: «**عبادةٌ في الهَرْج خيرٌ من هجرةٍ إليَّ**»[5] . وفي رواية: «**عبادةٌ في الفتنة خير من هجرة إليَّ**»[6] . وجاء في الحديث عنه ﷺ قال: «**إن من ورائكم أيام الصبر ، أجرُ العامل فيهن أجرُ خمسين**» ، **قالوا: منا أو منهم؟ قال: «بل منكم ، إنكم تجدون على الخير أعواناً ، وهم لا يجدون على الخير أعواناً**»[7] .

* وأوصى النبيُّ ﷺ أبا ذَرٍّ بالصبر على الفتن ، وأمره بالاستعفاف ، فعن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: ركب رسولُ الله ﷺ حماراً ، وأردفني خَلْفه ، ثم قال: «**أبا ذر! أرأيت إن أصابَ الناسَ جوعٌ شديد ، حتى لا تستطيعُ أن تقوم**

---

(١) البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٢) مسلم: ح ٢٩٩٩.

(٣) قوت القلوب: ١/١٩٩.

(٤) الترمذي: ح ٢٢٦٦ ، وقال: حديث غريب.

(٥) مسلم: ح ٢٩٤٨ ، والهرج: الفتنة والاختلاط ، وفسره النبي ﷺ بالقتل.

(٦) الطبراني في الكبير: ح ٤٩٢ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ح ٣٩٧.

(٧) الترمذي.

من فراشك إلى مسجدك؟!» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «تعفَّفْ». قال: «يا أبا ذر! أرأيت إن أصاب الناسَ موتٌ شديد حتى يكون البيتُ بالعبد كيف تصنع؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «اصبرْ يا أبا ذر! أرأيت إن قتل الناسُ بعضَهم بعضاً حتى تغرق حجارةُ الزيت في الدماء كيف تصنع؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «اقعدْ في بيتك وأغلقْ عليك بابك»، قال: أرأيت إن لم أُتْـرَكْ؟ قال: «ائتِ مَنْ أنت منه فكن فيهم» قال: فآخذ سلاحاً؟ قال: «إذاً تشاركهم، ولكن إن خشيتَ أن يروعـك شعـاعُ السيف فألْـقِ طـرفَ ردائك علـى وجهـك يبـؤْ بإثمـه وإثمك»[1].

* ومن المعاصي التي تحتاجُ إلى صبر: معصية الغيبة والنميمة، خاصة أيام الفتن، كذلك الكذب، ونقل الكلام على غير وَجْه التثبت، وخاصة ما يتعلَّق بالعلماء والأمراء.

* ومن الفتن التي لا بُدَّ للإنسان من صبرٍ عليها: فتنة الدنيا وإقبالها، ففتنةُ السَّراء أشدُّ من فتنة الضراء، ولهذا قال بعضُ الصالحين: (البلاء يصبرُ عليه المؤمن، والعافية لا يصبرُ عليها إلا الصِّدِّيق). وقال عمر رضي الله عنه: (ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسَّراء فلم نصبر)، ولذلك حَذَّر النبيُّ ﷺ من فتنـة السراء، وإقبال الدنيا، وأمر بالصَّبر عليها، فقال ﷺ: «أبشروا وأمِّلوا ما يسرُّكم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُـبْسَطَ عليكم الدنيا، كما بُسِطَتْ على مَنْ كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»[2]. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «كيف أنتم إذا فُتحت عليكم خزائنُ فارس والروم؟ أي قوم أنتم؟» قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال رسولُ الله ﷺ: «أو غير ذلك؟ تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغَضُون، ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين، فتجعلون

---

(١) أبو داود: ح ٤٢٦١، ابن ماجه: ح ٣٩٥٨، وهو صحيح، والمعنى: يفزعك. مختار الصحاح: ١/ ١٢١.

(٢) البخاري: ح ٣١٥٨، مسلم: ح ٧٣٥١.

بعضَهم على رقاب بعض»[1].

* **ومن الصَّبر على فتن الدنيا: الصبر على التطلُّع إلى دنيا الآخرين**، والاغترار بما يتنعَّمون به من مال وبنين، ولذلك نهى اللهُ رسولَه أن تتطلعَ عيناه إلى ما في أيدي الناس، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[2].

* **وعلماءُ الإسلام ودعاتهم مُتَعرِّضون للفتن** والمحن والإيذاء، فلا بُدَّ لهم من صبر ومصابرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ﴾[4]. فطريقُ الدعوة محفوفٌ بالمكاره، فقد ناح فيه نوحٌ، ونشر فيه زكريا ويحيى، وألقي إبراهيمُ بسببه في النار، وتعرَّض إسماعيلُ للذبح، وقاسى موسى المعاناة مع قومه، وتعرَّض سيدُ الأنبياء للأذى حتى كسرت رباعيته، وشُجَّ وجهه، صلوات ربي وسلامه عليه.

والعصاةُ المنحرفون في الرذيلة يحتاجون إلى صَبْر عليهم من الدعاة، وعدم استعجال، وأن يكون الداعيةُ رحيماً، شفوقاً عليهم، قال الله تعالى واصفاً خُلُقَ رسوله تجاه المدعوين: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[5].

* **وفتنة استضعاف المسلمين بتسلُّط الكافرين**، تحتاجُ إلى صبر وقوة يقين، وثقة أن هذا التسلُّط يجري بقدر الله وبحكمته، وأن العاقبة للمتقين، قال الله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ

---

(١) مسلم: ح ٧٣٥٣.

(٢) طه: ١٣١.

(٣) الأنعام: ٣٤.

(٤) الأحقاف: ٣٥.

(٥) الشعراء: ٣.

مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[1] . وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2] . وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ قال: «**والله ليتمنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حَضْرَمَوْتَ لا يخشى إلا الله ، والذئبَ على غنمه ، ولكنكم تستعجلون**»[3] .

* **وعند الفتن يُوصي الأنبياءُ أقوامَهم بالصبر** ، قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4] .

* **وفتنة أئمة الجَوْر تحتاجُ إلى صبر** ، حتى لا تخرجَ الأُمَّةُ عليهم؛ فتتولد المفاسد العظيمة ، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**من كره من أميره شيئاً فليصبرْ ، فإنه من خَرَجَ على السلطان شبراً مات ميتة الجاهلية**»[5] . وفي لفظ: «**من رأى من أميره شيئاً فليصبرْ عليه ، فإنه من فارق الجماعةَ شبراً فمات؛ إلا مات ميتةً جاهلية**»[6] . وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ : «**ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برئ ، ومن أنكر فقد سَلِمَ ، ولكن مَنْ رضي وتابع**» ، فقالوا: أفلا نقاتلهم ، **قال: «لا؛ ما صَلَّوا»**[7] . وذلك لأن الصبرَ على جَوْرهم وفسادهم خيرٌ من الخروج عليهم ، لا يحلُّ الخروجُ عليهم حتى نرى كُفْراً بواحاً عندنا من الله فيه برهانٌ ، مع القدرة على الخروج؛ مع تحقُّق المصلحة للخروج.

* والمسلمُ يحتاجُ إلى صبر حين يستأثر ولاةُ الأمور بالأموال ،

---

(١) آل عمران: ١٩٦ ـ ١٩٧ .

(٢) هود: ٤٩ .

(٣) البخاري: ٣٦١٢ .

(٤) الأعراف: ١٢٨ .

(٥) البخاري: ح ٧٠٥٣ .

(٦) البخاري: ح ٧٠٥٤ .

(٧) مسلم: ح ١٨٥٤ .

ولا يعطون الرعية شيئاً ، فقد قال ﷺ : **«إنكم سَتَلْقَوْنَ بعدي أثرةً ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»**[1] .

* **وبالجملة: السعيدُ من جُنِّبَ الفتن** ، ومن ابْتُلِيَ فصبر ، فليس العجبُ في الفتن ، من هلَكَ كيف هلك ، ولكن العجبَ مَنْ نجا كيف نجا ، فعن المقداد بن الأسود أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: **«إن السعيدَ لمن جُنِّبَ الفتن ، إن السعيدَ لمن جُنِّبَ الفتن ، إن السعيدَ لمن جُنِّبَ الفتن ، ولمن ابتلي فصبر ، فواهاً»**[2] . قال الخطابيُّ: (واهاً: كلمة معناها التلهف ، ومعناها هاهنا: الإعجاب بالشيء)[3] .

* **وقد وعد الله عباده الصَّابرين في الفتن بالمغفرة والرحمة** ، فبالمغفرة تُدفعُ المضار ، وبالرحمة تُستجلب المنافع ، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4] .

* ومع الصبر فلا بُدَّ من الثقة بنصر الله ، وأن الله غالبٌ على أمره ، وأن الله ناصرٌ دينه ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[5] . وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[6] . وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«إن الله زَوَىَ لي الأرضَ فرأيتُ مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغُ ملكها ما زُوِي لي منها»**[7] . وعن تميم الدَّاري رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«ليبلغنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك اللهُ بيتَ مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخله الله هذا الدين ، بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليل ، عزاً يعزُّ الله**

---

(١) البخاري: ح ٤٣٣٠ .

(٢) أبو داود: ح ٤٢٦٣ ، وصححه الألباني. انظر صحيح أبي داود: ٣/ ١٠٣ .

(٣) معالم السنن: ٤٤/ ٢٦٠ .

(٤) النحل: ١١٠ .

(٥) الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣ .

(٦) غافر: ٥١ .

(٧) مسلم: ح ٢٨٨٩ .

به الإسلام، وذلاً يذلُّ الله به الكفر»[1]. وقد سُئل النبيُّ ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية، أو رومية؟ فقال ﷺ: «مدينة هِرَقْلَ أولاً يعني قسطنطينية»[2]. فرومية ستفتحُ يقيناً لوعد النَّبيِّ ﷺ. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بُعثت بجوامع الكَلِم، ونُصِرْتُ بالرعب، وبينما أنا نائمٌ أُوتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فَوُضِعَتْ في يدي»، فقال أبو هريرة: فذهب رسولُ الله ﷺ وأنتم تنقلونها»[3]. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رأيتُ ذات ليلةٍ فيما يرى النائمُ كأني في دار عقبة بن رافع، فأوتينا برطبٍ من رطبِ ابن طاب، فأوّلت ذلك الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبة في الآخرة، وأن ديننا قد طاب»[4]. والخيرُ موجودٌ في الأمة إلى يوم القيامة، والأمة كالغيث، لا يُدْرَىٰ أوله خير أم آخره، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «إن الله يبعثُ لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يُجَدِّد لها دينها»[5]. وهؤلاء المجدِّدون قد يكونوا أفراداً أو جماعات، بل ثبت عن أبي عنبة الخولاني أن رسولَ الله ﷺ قال: «لا يزالُ الله يغرسُ غرساً لهذه الدين ليستعملهم في طاعته»[6].

* * *

---

(١) أحمد: ح ١٦٩٥٩، وصححه الألباني.
(٢) أحمد: ح ٦٦٥٣.
(٣) البخاري: ح ٦٩٩٨.
(٤) مسلم: ح٢٢٧٠، وابن طاب: رجل معروف في المدينة.
(٥) أبو داود: ح ٤٢٩١.
(٦) أحمد: ح ١٧٨٠٢.

المطلب الرابع
اللجوء إلى الله تعالى

عند نزول الفتن ما أحوجَ المسلم إلى أن يلتجأ إلى الله تعالى دون ما سواه ، وأن يفزعَ إليه بالطاعة والعمل الصَّالح. والالتجاءُ إلى الله في المحن فيه مضاعفةٌ للأجر والثواب ، فعن معقل بن يسار أن النبيَّ ﷺ قال: «**عبادةٌ في الهَرْج كهجرةٍ إليَّ**»[1]. وفي لفظ: «**عبادةٌ في الهرج أو الفتنة كهجرة إليَّ**»[2].

قال النوويُّ: (المرادُ بالهرج: الفتنة واختلاط أمور الناس ، وسببُ كثرة فضل العبادة فيه أن الناسَ يغفلون عنها ، ويشتغلون عنها ، ولا يتفرَّغ لها كل الأفراد)[3].

قال ابنُ العربيِّ: (ووجه تمثيله ﷺ العبادة بالهرج بالهجرة إليه ، أن الناس في الزمن الأول كانوا يفرُّون بدينهم من دار الكفر إلى دار الإيمان ، فإذا وقعتِ الفتنُ ، تَعَيَّنَ على المرء أن يفرَّ بدينه من الفتنة إلى العبادة ، ويهجر أولئك القومَ العصاة ، وهو أحدُ أقسام الهجرة)[4].

وأخبر النبيُّ ﷺ أن أَجْرَ العبادة مضاعفٌ أيام الفتن بخمسين من الصحابة ، وقد تقدَّم ذِكْرُ الحديث قبل ذلك ، **والعبادةُ في الفتنة محبوبةٌ إلى الله تعالى** ، فإن الله ما ابتلى العبادَ إلا ليسمع تضرُّعَهم ، وقد ذمَّ الله من

(١) مسلم: ح ٢٩٤٨.
(٢) الطبراني في الكبير: ح ٤٩٢.
(٣) النووي: ١٨/٨٨.
(٤) عارضة الأحوذي: ٥/٥٣.

لم ترجعه المحنة إلى الله ، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[1] .

وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2] .

ومن أهمِّ مظاهر الالتجاء إلى الله أيام الفتن:

١ ـ الالتجاء إليه بالصلاة ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3] .

وعن أم سَلَمة رضي الله عنها زوج النبيِّ ﷺ قالت: استيقظ رسولُ الله ﷺ ليلةً فزعاً يقول: «**سبحان الله ماذا أنزل اللهُ من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ ـ يريد: أزواجه ـ لكي يصلين ، رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عارية في الآخرة**»[4] .

قال ابنُ حَجَر: (فيه الندبُ إلى الدعاء والتضرُّع عند نزول الفتنة ، ولا سيما في الليل لرجاء وقت الإجابة؛ لتكشف ، أو يسلم الداعي ، أو من دُعِي له)[5] .

٢ ـ الالتجاء إلى الله بالتوبة والاستغفار ، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6] .

والفلاحُ كلمةٌ جامعةٌ للفوز بالمطلوب والنَّجاة من المرهوب. وقد أمر اللهُ تعالى بالاستغفار ، فقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[7] .

---

(١) المؤمنون: ٧٦.
(٢) الأنعام: ٤٣.
(٣) البقرة: ١٥٣.
(٤) البخاري: ح ٧٠٦٩.
(٥) الفتح: ١٢/٢٦.
(٦) النور: ٣١.
(٧) هود: ٣.

فدلَّتِ الآيةُ على أن التوبةَ والاستغفارَ من **أسباب المتاع الحسن** ، وذلك يتضمَّن حصولَ المحبوب ، والنجاة من المكروه ، والسَّلامة من الفتن ، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1] . فالاستغفارُ سَبَبٌ لرفع العذاب ، وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾[2] .

وفي الحديث: «**مَنْ لزم الاستغفارَ جَعَلَ اللهُ له من كل هَمٍّ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه اللهُ من حيثُ لا يحتسب**»[3] .

٣ ـ الالتجاء إلى الله بالذكر ، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[4] . قال ابنُ عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي ، وقال سعيدُ بن جُبَيْر: (اذكروني في النعمة والرَّخاء ، أذكُرْكُم في الشدة والبلاء)[5] .

والآيةُ تتضمَّنُ أن الذِّكْرَ وقايةٌ من الفتن والمحن والشدائد؛ لأن مَنْ ذكره الله فلا خوفَ عليه ، ومن كان الله معه فمن ذا الذي يكون عليه؟! فمعه القيوم الذي لا ينامُ ، ومعه الجبار العزيز الذي لا يُغْلَب ، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[6] . فبينت الآيةُ أن التسبيحَ سببٌ للنجاة من الكرب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**يقولُ اللهُ تعالى: أنا عند ظَنِّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذَكَرني**»[7]. وهذه معيةٌ خاصَّةٌ تقتضي النصرةَ والمعونةَ والتَّسديدَ ، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم

---

(١) الأنفال: ٣٣.
(٢) نوح: ١٠ ـ ١٢.
(٣) ابن ماجه: ح ٣٨١٩ ، وأبو داود: ح ١٥١٨.
(٤) البقرة: ١٥٢.
(٥) انظر القولين في تفسير البغوي: ١/١٢٨.
(٦) الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤.
(٧) مسلم: ح ٢٦٧٥.

مُحْسِنُونَ﴾[1] . ومعيَّةُ الله تقتضي العصمةَ من الفتن.

٤ ـ الالتجاءُ إليه بالدُّعاء: أمر اللهُ تعالى بالدُّعاء، وتكفَّل بالإجابة، وهو لا يُخْلِفُ الميعاد، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2] .

وقد بين اللهُ تعالى في القرآن أنَّ كثيراً من الأنبياء لجؤوا إلى الله بالدعاء عند نزول المِحَن والفِتَن، فنجَّاهم الله عز وجل. ومن ذلك دعاء يونس عليه السلام إذ دعا به في بَطْن الحُوت، قال الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] . وقد قال ﷺ في دعوة ذي النون: «**ما دعا بها رجلٌ مسلمٌ في شيء قَطُّ إلا استجاب الله له**»[4] .

ومن ذلك ما دعا به يوسف عليه السلام عندما أحاطتْ به فتنةُ النساء، فقال تعالى: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[5] .

ومن ذلك إخبار الله تعالى عمَّن كان قبلنا من الصالحين أنهم لجؤوا إلى الله عند المحن والشدائد، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[6] .

وانظر إلى قوم موسى عليه السلام كيف التجؤوا إلى الله تعالى أن ينجِّيهم من فتنة فرعون، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾

---

(١) النحل: ١٢٨.
(٢) غافر: ٦٠.
(٣) الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨.
(٤) الترمذي: ح ٣٥٠٥. انظر صحيح الترمذي: ٣/ ١٦٣.
(٥) يوسف: ٣٣ ـ ٣٤.
(٦) البقرة: ٢٥٠ ـ ٢٥١.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] . وانظر إلى قوم إبراهيم عليه السلام كيف لجؤوا إلى الله ، فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2] .

وقد أرشدنا رسولُ الله ﷺ إلى دعاء الكرب نقوله عند الشَّدائد: «لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السَّموات ورب الأرض ، رب العرش الكريم»[3] .

وأخبر اللهُ تعالى عن عباد الرحمن أنهم يَدْعُون الله عز وجل ألا يكون الأهل والولد فتنة عليهم ، فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[4] .

وقد استعاذ النبيُّ ﷺ من فتنة المال في حالتي الفقر والغنى ، فقال ﷺ : «**وأعوذُ بك من شَرِّ فتنة الغِنى ، ومن شَرِّ فتنةِ الفقر**»[5] .

وقد أمر اللهُ تعالى عباده بأن يستعيذوا به من فِتَن الشَّياطين ، فقال جَلَّ وعلا: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[6] .

ولقد لجأ النبيُّ ﷺ إلى ربِّه ، واستعاذ به من فِتَن الدُّنيا كلها ، فعن أنس أن الرسولَ ﷺ كان يدعو ربه: «**أعوذُ بك من البخل والكسل ، وأرذل العمر ، وعذاب القبر ، وفتنة الدَّجَّال ، وفتنة المحيا والممات**»[7] .

وقد لجأ الرسولُ ﷺ إلى ربه يطلب منه النصرةَ على الكفار حتى لا يتسلَّطوا على عباد الله المؤمنين ، فقد كان ليلةَ بدر يدعو قائماً باكياً ، يقول: «**اللهم أنجزْ لي ما وعدتني ، اللهم آتِني ما وعدتني ، اللهم إن تهلك**

---

(١) يونس: ٨٤ ـ ٨٦ .
(٢) الممتحنة: ٥ .
(٣) مسلم: ح ٢٧٣٠ .
(٤) الفرقان: ٧٤ .
(٥) البخاري: ح ٦٣٦٨ .
(٦) المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨ .
(٧) البخاري: ح ٦٣٦٧ .

هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعْبَد في الأرض ، حتى نزل قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾»(١)(٢).

٥ ـ التعوُّذ من الفتن خاصة ، فقد قال ﷺ : **«تعوَّذُوا بالله من الفتن ما ظَهَر منها وما بَطَن»**(٣).

وقد استعاذ ﷺ من فِتن عديدة ، ومِحَن شديدة ، قريبة كانت أم بعيدة ، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال: **«اللهمَّ إني أعوذُ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ، ومن فتنة القبر وعذاب القبر ، ومن فتنة النار وعذاب النار ، ومن شَرِّ فتنة الغِنى ، وأعوذُ بك من فتنة الفقر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدَّجَّال»**(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«إذا فرغ أحدُكم من التشهد فليتعوَّذ بالله من أربع: من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدَّجَّال»**(٥).

ومَنْ وقاه اللهُ من الفِتَن المذكورة في الحديثين السَّابقين ، فقد وقاه من كل شَرٍّ وسوءٍ في الحال والمآل؛ لأنَّ هذه هي أصولُ الفتن.

٦ ـ الالتجاء إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فعن أبي بكر رضي الله عنه ، أنه قال: (يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتتأوَّلونها على غيرِ وجهها ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾(٦) ، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: **«إن الناسَ إذا رأوا**

---

(١) الأنفال: ٩.
(٢) مسلم: ح ١٧٦٣.
(٣) مسلم: ح ٢٨٦٧.
(٤) البخاري: ح ٦٣٦٨.
(٥) مسلم: ح ٥٨٨.
(٦) المائدة: ١٠٥.

الظالمَ فلم يأخذوا على يديه أوشك اللهُ أن يَعُمَّهم بعقابٍ من عنده»[1]. وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾[2].

٧ ـ الالتجاء إليه بالإيمان الصادق والعمل الصالح، وحُسْن التوكل عليه، والاعتماد عليه، وإفراده بالعبادة، دُون ما سواه. وقد فَسَّرنا هذا في أوائل المبحث.

* * *

(١) الترمذي: ح ٢١٦٨، وقال: حسن صحيح.

(٢) الأعراف: ١٦٥.

المطلب الخامس

الحذر من تطبيق أحاديث الفتن على واقع معين إلا بعِلْم وبصيرة

يَحْلُو للناس عند ظهور الفتن مراجعةُ أحاديث الفتن ، ويكثر في مجالسهم ومنتدياتهم قولهم: قال رسولُ الله ﷺ كذا ، وهذا وقتها ، وهذه هي الفتنةُ التي أخبرنا بها الرسولُ ﷺ عنها ، ولكن السلفَ الصَّالحَ عَلَّمونا أن أحاديثَ الفتن لا تطبق على الفتن في وقتها إلا إذا كان ظهورها واضحاً كالخوارج ، وذي الثدية منهم ، إنما يظهرُ صدقُ النبيِّ ﷺ بما أخبر به من حدوث الفتن بعد حدوثها وانقضائها. ولكن يحلو للناس تطبيقُ أحاديث الفتن على أوقات أو أشخاص معينين ، وهذا منهج خاطئ ، وليس بمنهج أهل السُّنة والجماعة ، ولكنَّ أهلَ السنة يذكرون أحاديثَ الفتن محذرين منها ، ومباعدين المسلمين من القُرْب منها ، فإذاً لسنا متعبدين بتطبيق أحاديث الفتن على الواقع ، ولكنْ ندعُ الواقع هو الذي ينطق ، فإذا وقع الأمرُ قلنا: هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصَدَقَ الله ورسوله ، وأما أن يتكلَّف الإنسانُ في تأويل نُصُوص الشريعة من أجل أن تطابقَ الواقع ، فهذا لا يصلحُ ، وإن صلح فهو للعلماء ، ولا يصلحُ لغيرهم ، واعلمْ أن تطبيقَ أحاديث الفتن على الواقع بدون بصيرة ، فيه محاذيرُ كثيرةٌ ، منها:

١ ـ القول على الله بغير علم ، وهو من كبار الذُّنوب ، وهو أشدُّ من الشرك ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ

بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] . فالآيةُ رتبتِ المحرماتِ ترتيباً تصاعدياً[2] .

٢ ـ تشكيك الناس في النصوص الشرعية إذا لم يوافقِ الواقعُ النصوصَ، وفي هذا تشكيكٌ للمسلمين في دينهم ، وزعزعةٌ لليقين في قلوبهم ، وهذه مفسدةٌ كبيرة.

٣ ـ تقاعس الناس عن العمل والاستعداد والجهاد بزعم أن هذا آخر الزمان ، وأن الساعةَ قد اقتربت ، إلى غير ذلك من المحاذير.

* * *

(١) الأعراف: ٣٣.

(٢) مفتاح دار السعادة: ١/ ١٦٢ ، جامع بيان العلم وفضله: ١/ ١٠.

المطلب السادس
الاعتزال

قال الخطابيُّ: (العزلةُ عند الفتنة سُنَّة الأنبياء ، وعصمةُ الأولياء ، وسيرة الحكماء والأولياء ، فما أعلم لمن عابها عذراً ، لا سيما في هذا الزمان القليل خيره ، البكيّ درّه ، وبالله نستعيذُ من شره وريبه)[1].

ولا شك أن الاعتزالَ عند الفتن موضوعٌ جدير بالبحث ، ولذلك سوف أبحثه في مبحثين:

الأول: الاعتزال في عموم الأزمنة والأمكنة.

الثاني: الاعتزال عند حدوث فتنة القتال بين المسلمين.

الأول: الاعتزال في عموم الأزمنة والأمكنة:

لا شكَّ أن الأصلَ في الإسلام الخلطةُ وليست العزلة ، إذ الإسلامُ دِيْنُ الجماعة والاجتماع ، والأصلُ في المسلم: الاختلاط بالناس ومعاشرتهم لا اعتزالهم وهجرهم ، وكذلك الأصلُ في العزلة الكلية المطلقة هو المنع ، حيث يترتَّبُ عليها تضييعُ الحقوق ، وتفويت الفرائض ، وتعطيلُ كثير من الواجبات ، كترك التعلم والتعليم ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وصلة الرحم ، والقرابة ، مع التعرُّض لكيد الشياطين ومكرهم ، ووسوستهم ، فإنما يأكلُ الذئبُ من الغنم القاصيةَ.

عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما من

---

(١) العزلة: ص٥٣.

ثلاثةٍ في قرية ولا بدو لا تُقَام فيهم الصلاةُ إلا استحوذَ عليهم الشيطان ، فعليك بالجماعة فإنما يأكلُ الذئبُ من الغنم القاصية»[١].

الثاني - ومن المعلوم أنه قد وردتْ أحاديثُ تمدح العزلة ، وتُبيِّن فَضْلَها ، وأخرى تمدحُ الخلطة وتبين فضلها. فمن الأول حديثُ عقبة بن عامر قال: قال رسولُ الله ﷺ لما سأله ما النجاة؟ فقال: «**أمسكْ عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابْكِ على خطيئتك**»[٢].

ومنها حديث أبي سعيد: قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: «**مؤمنٌ مجاهدٌ في سبيل الله بنفسه وماله**» ، قالوا: ثم من؟ قال: «**مؤمنٌ في شعب من الشعاب يتقي الله ، ويدع الناسَ من شره**»[٣]. ومنها قوله ﷺ: «**إنَّ اللهَ يحبُّ العبدَ التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ**»[٤].

ومنها حديثُ أبي سعيد أن النبيَّ ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمانٌ ، يكون خيرَ مال المسلم غنمٌ يتبع بها شعفَ الجبال ومواقع القَطْر ، يفرُّ بدينه من الفتن**»[٥].

وأما الآثار في مدح العزلة: فقد قال عمر رضي الله عنه: (خُذوا بحظكم من العزلة) وقال: (فالعزلة راحةٌ من خليط السوء) ، وقال أبو الدرداء: (نِعْمَ صومعةُ الرجل بيته ، يكفُّ سمعه وبصره ، ودِيْنه وعرضه ، وإياكم والجلوس في الأسواق فإنها تُلْهي وتلغي)[٦].

وأما الأحاديثُ التي تمدحُ الخلطة ، فعن ابن عمر أن النبيَّ ﷺ قال: «**المسلم الذي يخالطُ الناسَ ويصبرُ على آذاهم ، خيرٌ من المسلم الذي**

---

(١) أبو داود: ح ٥٤٧ ، وإسناده صحيح كما قال النووي في المجموع: ٤/ ١٨٣.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) البخاري: ح ٢٧٨٦ ، مسلم: ح ١٨٨٨.
(٤) مسلم: ح ٢٩٦٥.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) انظر هذه الآثار في كتاب العزلة: ص ٧٠.

لا يخالطُ الناسَ ولا يصبرُ على آذاهم»[١].

ولا تعارضَ بين هذه الأحاديث ، فالأصلُ في المسلم الخلطة ، ولا تشرعُ العزلةُ إلا في حالتين:

١ ـ في حَقِّ أفراد معينين لا يستطيعُ الجهاد ولا الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر ، ولو خالطوا الناسَ لتضرَّروا بالمخالطة ، وأضرُّوا بغيرهم ، إذ من الناس مَنْ لا يستطيع مَنْعَ شره وأذاه عن الآخرين إلا باعتزالهم ، كذلك من يعرفُ من نفسه الضعف والميل إلى الفواحش إذا خالط أهلها؛ فالاعتزالُ في حقه واجب ، كذلك من يتعكَّر مزاجه ، وتتكدَّر حياته ، فلا تهنأ بعيش ولا عبادة إذا خالط الناس ، ورأى المنكر دون أن يصنع شيئاً لضعفه[٢].

٢ ـ الاعتزال في زمان الفتن وفساد الأحوال والأزمنة:

فعن عبد الله بن عمر أن رسولَ الله ﷺ قال: «**كيف بكم وبزمان يغربلُ الناس فيه غربلة ، فتبقى حثالةٌ من الناس قد مرجتْ عهودهم ، وخَفَّتْ أمانتهم ، واختلفوا ، فكانوا هكذا**» ، وشَبَّك بين أصابعه ، فقلت: كيف بنا يا رسول الله؟ قال: «**تأخذون ما تعرفون ، وتدعون ما تنكرون ، وتُقْبِلُون على أمر خاصتكم ، وتَذَرُون أَمْرَ عامَّتكم**»[٣]. وفي حديث أبي ثعلبة الخشني ، حين سُئِل عن قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾[٤] ، فقال للسائل: لقد سألتَ عنها خبيراً ، سألتُ عنها رسولَ الله ﷺ قال: «**بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر؛ حتى إذا رأيتَ شُحّاً مطاعاً ، وهوى مُتَّبعاً ، ودنياً مؤثرة ، وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه ، فعليك بنفسك ، ودَعْ عنك العوام**»[٥].

---

(١) الترمذي: ح ٢٥٠٧ ، وابن ماجه: ح ٤١٣٠ ، وهو في السلسلة الصحيحة رقم: ح ٩٣٩.
(٢) النووي: ١٣/ ٣٤ ، الفتح: ١١/ ٣٣٩ ، العزلة: ص ٤٠ ، الإحياء: ٢/ ٢٤٧.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) المائدة: ١٠٥.
(٥) أبو داود: ح ٤٣٤١ ، وهو في صحيح أبي داود: ٣/ ٨١٩.

ففي غير هاتين الحالتين فالأصلُ الخلطة ، فالإسلامُ دِيْنُ الجماعة والاجتماع ، والتوجيهات الربانية معظمُها موجَّهةٌ للجماعة المؤمنة ، وفيها الحثُّ على الاعتصام بِحَبْل الله وعَدَم التفرق ، والحَثّ على التعاون ، وعلى البِرِّ والتقوى ، وفيها الحَثُّ على الجهاد صفاً كالبنيان المرصوص ، وأمرنا بإقامة بنيان الأخوة الإسلامية بين المسلمين ، وهذه الأمورُ لا تتم إلا بالخلطة ، وقد قال ﷺ في الحديث: «**وكونوا عِبادَ الله إخواناً**»[١].

تنبيه:

قسَّم الخطابيُّ العزلةَ إلى عزلة أديان وعزلة أبدان ، فكلامُنا السابقُ على عزلة الأبدان ، وأما عزلةُ الأديان فهي مشروعةٌ في كل زمان ومكان ، وهي مخالفةُ الناس في باطلهم وانحرافهم عن الدين ، وأن تكون معهم ببدنك وقلبك متصلٌ بالملأ الأعلى. قال ابنُ مسعود رضي الله عنه: (**خالِطِ الناسَ وزايِلْهُم ، ودِيْنك لا تكْلَمَنْ**)[٢]. ومعنى زايلهم: فارقهم في الأفعال التي لا ترضي الله ورسوله. قال الخطابيُّ: (خالطهم ببدنك وزايلهم بقلبك ، وليس هذا من باب النفاق، ولكن من باب المداراة ، قال الحسن: المداراةُ نصفُ العقل). وعلَّق الخطابي على قول الحسن فقال: (وأنا أقول: هو العقلُ كله. قال محمد بن الحنفية: ليس الحكيمُ من لم يعاشر بالمعروف ، من لا يجدُ مِنْ معاشرته بداً ، حتى يجعلَ اللهُ له فرجاً أو مخرجاً)[٣].

الثاني: الاعتزال عند فِتْنة القتالِ بين المسلمين:

عند حُدوث قتالٍ بين المؤمنين تكون هناك فتنةٌ عظيمة؛ لأن قَتْلَ النفس المؤمنة أمرٌ عظيمٌ عند الله ، ولذلك يقولُ اللهُ تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٤].

---

(١) مسلم: ص ٢٥٦٤.
(٢) العزلة: ص ٢٣٩.
(٣) انظر هذه الآثار في العزلة: ص ٢٤٠.
(٤) النساء: ٩٣.

وعن عبد الله بن بريدة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**قَتْلُ المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا**»[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا يزالُ المؤمنُ في فسحةٍ من دينه ما لم يصبْ دماً حراماً**»[٢].

وعن عُبادة بن الصامت أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ قَتَلَ مؤمناً فاعتبط بقتله، لم يقبلِ اللهُ منه صَرْفاً ولا عَدْلاً**»[٣].

وقد اختلف العلماءُ في الاعتزال عند حدوث فتنة القتال بين المؤمنين على أقوال:

١ ـ وجوب الاعتزال: للأحاديث الكثيرة التي أمرتْ بالاعتزال عند حُدوث فتنةِ القتال بين المسلمين. منها حديثُ أبي موسى أن النبيَّ ﷺ قال: «**إن بين يدي الساعة فتناً كقِطَع الليل المظلم، يصبحُ فيها مؤمناً ويمسي فيها كافراً، ويُمْسِي مؤمناً ويصبح كافراً، والقاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، فكسروا قسيّكم، وقطعوا أوتاركم، واضربوا بسيوفكم الحجارة، فإن دخل على أحدكم فليكنْ خيرَ ابني آدم**»[٤].

ومنها حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**ويلٌ للعرب من شَرٍّ قد اقترب، أفلح من كَفَّ يده**»[٥].

٢ ـ ذهب جمهورُ الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام إلى وجوب نَصْر الحق وقتال الباغين، وذلك بالمشاركة والخوض في فتنة القتال، لوجوب

---

(١) النسائي: ٧/ ٨٣، وصححه الألباني.

(٢) البخاري: ح ٦٨٦٢.

(٣) أبو داود: ح ٤٢٧٠، وانظر صحيح أبي داود: ٣/ ٨٠٤، ومعنى اعتبط: بالمهملة أي قتله ظلماً لا قصاص، يقال: غبطت الناقة: إذا نحرتها من غير داء أو آفة تكون فيها، وبالمعجمة، أي: اغتبط من الفرح والسرور.

(٤) الترمذي: ح ٢٢٠٤، وقال: حسن صحيح.

(٥) أبو داود: ح ٤٢٤٩، وانظر في صحيح أبي داود: ٣/ ٨٠٠.

إظهار الحق، ونصرته في الفتن، وقتال الباغين، واحتجُّوا بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[1]. وقد أجاب الجمهورُ عن أدلة أصحاب القول الأول أنها تحملُ على:

* من لم يظهرْ له الحق.

* تحمل على من ضَعُفِ عن القتال.

* على طائفتين ظالمتين لا تأويلَ لواحدة منهما. وهذا ما رَجَّحه الطبري والنووي[2].

٣ ـ التفصيل: إذا كان لهم إمام، فيجبُ نصرةُ الحق، وإذا لم يكنْ لهم إمامٌ حرم القتال والمشاركة. يقول ابنُ تيمية: (إن القتالَ الذي كان بين الصحابة قتال فتنة؛ لأنه رأي رآه علي رضي الله عنه، وكان أحياناً يحمدُ من لم ير القتال)[3].

وقد أخبر النبيُّ ﷺ في الحديث فقال: «**إنَّ ابني هذا سيد، وسيصلح اللهُ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[4]. قال ابنُ حَجَر مُعلِّقاً على هذا الحديث: (استدلَّ به على تصويب من رأى القعود عن القتال بين الصحابة، وإن كان علياً رضي الله عنه أحقّ بالخلافة، وأقرب إلى الحق، وهذا قولُ سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وسائر من اعتزل الحرب)[5].

ووجه ما رجَّحه النووي والطبري، ما قاله الطبري: (لو كان الواجب في كل اختلاف بين الفريقين من المسلمين الهرب منه، ولزوم البيوت ما أقيم حدّ، ولا أبطل باطل، ولوجد أهلُ النفاق سبيلاً إلى استحلال كل

---

(١) الحجرات: ٩.

(٢) الفتح: ١٣/ ٣٤، القرطبي: ١٦/ ٢٠٨.

(٣) الفتاوى: ٣٥/ ٥٥.

(٤) البخاري: ح ١٧٠٩.

(٥) الفتح: ١٣/ ٧٢.

ما حرم الله من أموال المسلمين ، وسَبْي نسائهم ، وسفك دمائهم)[1].

ويقول النوويُّ: (قال معظمُ الصَّحابة والتابعين وعامة العلماء: يجب نَصْرُ المحق في الفتنِ ، والقيام معه لمقاتلة البغاة لقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبۡغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾)[2][3].

قال جامعه: والظاهرُ أنَّ رأيَ الجمهور هو الصَّواب ، عند تبين الحق ، لكنَّ القتالَ الواقعَ بين الصحابة لم يكن الحق فيه مُتَّضحاً ، لذلك كان الاعتزالُ هو الأفضل ، كما قال شيخُ الإسلام ابن تيمية: إنه قتال فتنة ، وليس قتالاً مشروعاً.

واعلمْ أنَّ القائلين بوجوب الاعتزال وعدم المشاركة في القتال ، قال بعضهم: اعتزالُ الفتنة يكونُ بلزوم البيت ، وهذه عزلةٌ جزئية ، وهذا قولُ أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وغيرهم ، وقال بعضُهم: الاعتزالُ يكون بالتحول عن بلاد الفتن؛ بحيث يذهبُ إلى شعف الجبال ، ومواقع القَطْر ، وإلى إبله أو أرضه مثل ما فعل سعد بن أبي وقاص.

واختلفوا أيضاً إذا داهمهم الخَصْم وأراد قتلهم ، فقال قوم: لا يدخل في الفتنة ، وإذا أراد أحدٌ قتله وَجَبَ أن يكفَّ يده ، لأن الطالبَ متأول ، وهذا مذهبُ أبي بكر رضي الله عنه ، وقال بعضُهم: بل يشرع له أن يدفع من أراد قتله ، وهذا مذهبُ ابن عمر ، وعمران بن حصين ، ومعظم القائلين بالاعتزال عند فتنةِ القتال بين المسلمين[4].

* * *

---

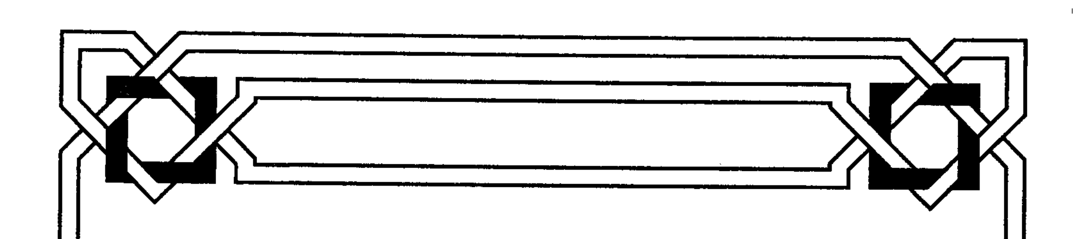
(١) القرطبي: ١٦/٢٠٨.

(٢) الحجرات: ٩.

(٣) النووي: ١٨/١٠ ، وانظر الفتح: ١٣/٣٤.

(٤) الفتح: ١٣/٣٤ ، النووي: ١٨/١٠.

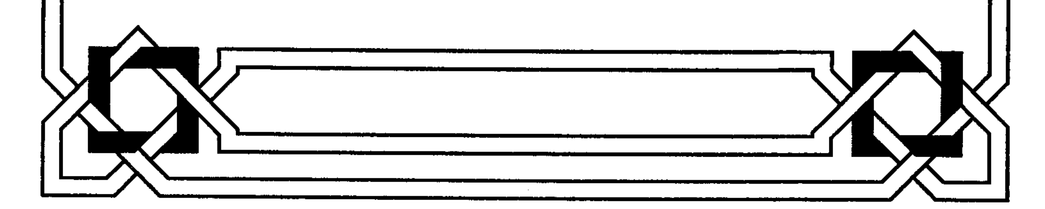




المبحث الثالث
موقف المسلم بعد الفتن

المطلب الأول : عدم الخوض فيها إلا بعلم .

المطلب الثاني : أخذ العبرة والعظة .





المبحث الثالث
موقف المسلم بعد الفتن

وذلك في مطلبين:

المطلب الأول
عَدَمُ الخوض فيها إلا بعلم

إذا انقضتِ الفتنةُ والمحنةُ حمد المسلمُ ربَّه على زوالها، وكفَّ لسانه عن الخوض فيها، إلا على سبيل أَخْذ العبرة، أما الخوضُ فيها من باب القيل والقال، وقضاء الأوقات فلم يكنْ من هدي السَّلف، وفيه محاذيرُ ومفاسد:

١ ـ إضاعة الأوقات في غير فائدة، والوقتُ أغلى ما يملكه العبد، فأنفاسُه معدودة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ»**[1].

فالوقتُ كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ونفسك إن لم تَشْغَلْها بالحق شَغَلَتْكَ بالباطل، وكانت عائشة تقول لأهلها، حينما كانوا يكثروا الكلام: (ألا تريحون الكُتَّاب)[2].

وفوق ذلك كثرة الكلام والخوض، يُقَسِّي القلب، وإذا قَسِيَ القلب

---

(١) البخاري: ح ٦٤١٢.

(٢) الموطأ: ح ٩، في باب: ما يكره من الكلام بغير ذكر الله عز وجل.

ذهبت لذةُ العبادة ، قال ﷺ : **«لا تكثروا الكلامَ بغير ذِكْر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذِكْر الله تقسي القلب ، وإنَّ أَبْعَدَ الناس من الله القلب القاسي»**[1].

٢ ـ مخالفة منهج السلف فهو الكَفُّ عن الخَوْض في الفتن السابقة ، فقد قال الإمامُ أحمد عن التابعي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، لما سُئل عن فتنة القتال بين الصحابة: (تلك دماءٌ لم تتلوَّثْ أيدينا فيها ، فلا تتلوث ألسنتنا بالخَوْض فيها ، وتلا قولَه تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2][3].

ولما قال رَجُلٌ للشَّعبي: إني لا أحبُّ معاوية رضي الله عنه ـ لأنه نازع علياً رضي الله عنه الخلافة ـ فقال الشَّعبيُّ: خَصْمُ معاوية كريم ، ورَبُّ علي رحيم ، فمالك ولهما يا لئيم؟![4]. وهكذا كان هديُ السلف لا يتكلمون إلا فيما ينفع ، فكلُّ مسألة لا يترتب عليها عمل ، فالخوضُ فيها باطل ، والسلامة لا يعدلها شيء.

٣ ـ قد يجرُّ الخوضُ في الفتن إلى ما لا تُحْمَدُ عقباه ، فقد تُذَكِّر بالضَّغائن والاختلاف ، مما يجعل الشيطان ينزغُ بين المسلمين ، فتحيا الفتنة بعد موتها ، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾[5].

فقد نزلتْ هذه الآيةُ في شاس بن قيس اليهودي ، حينما ذَكَّر الأنصارَ بما كان بينهم من فتن الجاهلية ، حتى تثاور الأوس والخزرج ، فكادتِ الحربُ أن تنشبَ بينهم ، فنزلت الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ

---

(١) الترمذي: ح ٢٤١١ ، عن ابن عمر.
(٢) البقرة: ١٤١.
(٣) حلية الأولياء: ٩/ ١١٤ ، الطبقات الكبرى للبيهقي: ٥/ ٣٩٤ ، تهذيب الأسماء: ٢/ ٢٤٠ ، جامع بيان العلم: ٢/ ٤٣٤ ، ح ١٧٧٨.
(٤) الحلية: ٤/ ٣٢١.
(٥) آل عمران: ١٠٠.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[1] . وتلاها عليهم النبي ﷺ ، فندموا على ما فعلوا ، واصطلحوا ، وتعانقوا ، وألقوا السلاح[2] .

٤ ـ الخوض في الفتن يقدحُ في حُسْن إسلام المرء ، كما أنه مكروه عند الله عز وجل ، فقد قال ﷺ : **«مِنْ حُسْنِ إسلام المرء تَرْكُه ما لايعنيه»**[3] .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبيَّ ﷺ قال: **«إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويسخطُ لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا ، وأن تناصحوا مَنْ وَلاَّه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثة: قيل وقال ، وكثرة السُّؤال ، وإضاعة المال»**[4] .

٥ ـ في الخوض في الفتن: إعلام ما لا يعلمُ من المسلمين ، وفي ذلك إيغار للصدور ، وكشف لعورات المسلمين ، ولذلك كان يقول ﷺ : **«لا يبلغني أحدٌ عن أحدٍ شيئاً ، فإني أحبُّ أن أخرجَ إليكم وأنا سليم الصدر»**[5] .

وقال بعضُ السلف للمحتسبين: اجتهدوا أن تستروا العصاة ، فإنه أحسنُ للإسلام والمسلمين.

٦ ـ فالفتنُ والحُكْم فيها مَرْجِعُهُ إلى الله تعالى ، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[6] . فنسأل اللهَ أن يرحمَ الأموات ، وأن يهديَ الأحياء ، وأن يستر العصاة ، إنه وليُّ ذلك ، والقادرُ عليه.

* * *

---

(١) آل عمران: ١٠٠.
(٢) ابن كثير: ١/٣٩٧.
(٣) الترمذي: ح ٢٣٨١ ، ابن ماجه: ح ٣٩٧٦ ، وحسنه النووي.
(٤) مسلم: ح ١٧١٥.
(٥) الترمذي: ٣٨٩٦ ، عن ابن مسعود.
(٦) الزمر: ٣١.

المطلب الثاني
أَخْذُ العِبْرة والعظة

المسلمُ قد يذكر الفتن؛ لأخذِ العِبْرة منها؛ والاستفادة حتى لا يقعَ في مثلها. وأَخْذُ العِبَر من الأحداث والوقائع منهجٌ قرآني ، فها هو القرآنُ يذكِّر الصحابةَ بما كان بينهم من مِحَن وفِتَن ، وكيف أن الإيمانَ حَوَّلها إلى مِنَح ، وصاروا إخواناً ، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[1] .

وقد أمر اللهُ تعالى بالسَّير في الأرض حسياً ومعنوياً ، لأخذ العِبْرة والعِظة من الأحداث ، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[2] . وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾[3] .

وقد ذَكَر الله قصصَ الأنبياء في سورة الشعراء: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4] .

وعَقَّب الله تعالى بعد قصص الأنبياء فقال جَلَّ ذِكْرُه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ

---

(١) آل عمران: ١٠٣ .

(٢) الحج: ٤٦ .

(٣) الروم: ٤٢ .

(٤) الشعراء: ٦٧ .

﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(1) .

فالمؤمنُ نُطْقُه ذِكْر ، وصَمْتُه فِكر ، ونَظَره عِبْرة ، ولا يبصرُ إلى شيء إلا على أَخْذ العبرة منه ، بخلاف الذين لا يؤمنون ، وفي غيِّهم يتردَّدون ، وفي باطلهم يلعبون ، قال الله عنهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾(2) .

وقد وصف اللهُ عبادَ الرحمن فقال جَلَّ ذِكْره: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾(3) . فهم يبصرون العِبَر في آيات الله الشرعية وآياته الكونية.

والفِتَنُ التي تحدث بين العباد من قضاء الله وقدره ، وقضاؤه كله خير ، مبنيٌّ على العلم والحكمة ، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(4) .

فالشَّرُّ المحضُ ليس من خلق الله ، ولكن الشر الموجود في هذه الدنيا ، هو نسبيٌّ ، بمعنى أنه شرٌّ لطائفة ، وهو خيرٌ لطائفة أخرى ، وفِعْلُ الله لا شَرَّ فيه ، كله خيرٌ ورحمة ، بل الشرُّ في المخلوقات والمفعولات.

أ ـ ففتن المحن والحروب:

فيها تمحيصٌ للمؤمنين ، وقد ذَكَر ابنُ القيم أصولاً مستفادة من غزوة أُحُد؛ إذا وضعها المسلم نُصْبَ عينيه استفاد منها ، فقال رحمه الله:

* الأصل الأول: أن ما يصيبَ الكافرَ والفاجرَ والمنافقَ من العز والنصر والجاه ، دون ما يحصلُ للمؤمنين بكثير ، بل باطن ذلك ذل وكسر وهوان ، وإن كان في الظاهر بخلافه. قال الحسنُ ـ رحمه الله ـ: (إنهم وإن

(1) يوسف: ١١١.
(2) يوسف: ١٠٥.
(3) الفرقان: ٧٣.
(4) الإنسان: ٣٠.

هَمْلَجَتْ[1] بهم البراذينُ ، وطَقْطَقَتْ بهم البغالُ ، إنَّ ذُلَّ المعصية لفي قلوبهم ، أبى الله إلا أن يذلَّ مَنْ عصاه)[2].

* الأصل الثاني: أن ابتلاء المؤمن كالدَّواء له يستخرجُ منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته ، أو نقصت ثوابه ، وأنزلت درجته ، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء ، ويستعدّ به لتمام الأجر ، وعلوّ المنزلة ، ومعلومٌ أنَّ وجودَ هذا خيرٌ للمؤمن من عَدَمه ، كما قال النبيُّ ﷺ : «**والذي نفسي بيده لا يقضي اللهُ للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن ، إن أصابته سَرَّاء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضَرَّاء صبر ، فكان خيراً له**»[3]. فهذا الابتلاء والامتحان من تمام نَصْره ، وعِزِّه ، وعافيته ، ولهذا كان أشدَّ الناس بلاءً الأنبياءُ ، ثم الأقرب إليهم فالأقرب ، يُبتلى المرءُ على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة شُدِّد عليه البلاء ، وإن كان في دينه رِقَّةٌ خفف عنه ، ولا يزال البلاءُ بالمؤمن حتى يمشي على وجه الأرض وليس عليه خطيئة.

* الأصل الثالث: إن ما يصيب المؤمنَ في هذه الدار من إدالة عدوه عليه ، وغلبته له ، وأذاه له في بعض الأحيان: أمر لازم ، لا بُدَّ منه ، وهو كالحرِّ الشديد ، والبرد الشديد ، والأمراض ، والهموم ، والغموم ، فهذا أمر لازم للطبيعة والنشأة الإنسانية في هذه الدار ، حتى للأطفال ، والبهائم ، لما اقتضته حكمةُ أحكم الحاكمين ، فلو تجرَّد الخير في هذا العالم عن الشر ، والنفع عن الضر ، واللذة عن الألم ، لكان ذلك عالماً غير هذا ، ونشأة أخرى غير هذه النشأة ، وكانت تفوتُ الحكمةُ التي مزج لأجلها بين الخير والشر ، والألم واللذة ، والنافع والضَّار ، وإنما يكونُ تخليصُ هذا من هذا ، وتمييزه في دار أخرى ، غير هذه الدار ، كما قال

(١) الهملجة: حسن السير في سرعة وتبختر ، ودابة هملاج: لا مخ فيها لهزالها. المعجم الوسيط: ١/ ١٣٧.
(٢) مسلم: ح٢٩٩٩.
(٣) مسلم: ح ٢٩٩٩ ، وابن حبان: ح ٢٨٩٦ ، بمعناه.

تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1].

* الأصل الرابع: إنَّ ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم، وقهرهم، وكسرهم لهم أحياناً فيه حكمةٌ عظيمة، ولا يعلمها على التفصيل إلا الله عز وجل.

* فمنها: استخراجُ عبوديتهم، وذلهم لله، وانكسارهم له، وافتقارهم إليه، وسؤاله نَصْرهم على أعدائهم، ولو كانوا دائماً منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشروا. ولو كانوا دائماً مقهورين مغلوبين منصوراً عليهم عدوهم لما قامتْ للدِّيْنِ قائمة، ولا كانت للحقِّ دولةٌ، فاقتضت حكمةُ أحكم الحاكمين أن صرفهم بين غلبهم تارة، وكونهم مغلوبين تارة.

فإذا غُلِبُوا تضرَّعوا إلى ربهم، وأنابوا إليه، وخضعوا له، وانكسروا له، وتابوا إليه، وإذا غَلَبُوا أقاموا دينه وشعائره، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وجاهدوا عدوَّه، ونصروا أولياءه.

ومنها: أنهم لو كانوا دائماً منصورين، غالبين، قاهرين، لدخل معهم مَنْ ليس قَصْده الدين، ومتابعة الرسول. فإنه إنما ينقادُ إلى مَنْ له الغلبة والعزَّة، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائماً لم يدخلْ معهم أحد، فاقتضت الحكمةُ الإلٰهية أن كانت لهم الدولة تارة، وعليهم تارة. فيتميز بذلك بين من يريدُ اللهَ ورسولَه، ومَنْ ليس له مرادٌ إلا الدنيا والجاه.

ومنها: أنه سبحانه يحبُّ من عباده تكميلَ عبوديتهم على السراء والضراء، وفي حال العافية والبلاء، وفي حال إدالتهم والإدالة عليهم فلله سبحانه على العباد في كلتا الحالتين عبودية بمقتضى تلك الحال، لا تحصلُ إلا بها، ولا يستقيم القلبُ بدونها، كما لا تستقيمُ الأبدان إلا بالحر والبرد، والجوع والعطش، والتعب والنصب، وأضدادها. فتلك المحن والبلايا شرط في حُصُول الكمال الإنساني، والاستقامة المطلوبة

---

(١) الأنفال: ٣٧.

منه ، ووجود الملزوم بدون لازمة ممتنع .

ومنها : أن امتحانهم بإدالة عدوهم يمحِّصهم ، ويخلِّصهم ، ويهذِّبهم . كما قال تعالى في حكمة إدالة الكفار على المؤمنين يوم أُحُد : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[١] .

ب ـ فتن المعاصي :

يأخذ المسلمُ منها العِبْرة ، فيحمد الله على العافية ، قال عيسى عليه السلام : (لا تنظروا إلى ذنوب العباد كأنكم أرباب ، ولكن انظروا إليها كأنكم عبيد ، الناس صنفان مُبتلى ومُعافى ، فارحموا أهلَ البلاء وسلوا الله العافية)[٢] .

يقول ابنُ القيم : (ينبغي للعبد أن يشهدَ مَشْهَدَ الحكمة ، فيما قَدَّرَ الله عليه من المعاصي ، وهو أن يشهدَ حكمةَ الله في تخليته بينه وبين الذنب وإقداره عليه ، وتهيئته أسبابه له ، وأنه لو شاء لعصمه ، وحال بينه وبينه ، ولكنه خلَّى بينه وبينه لِحِكَمٍ عظيمة لا يعلمُ مَجْمُوعَها إلا الله :

(أحدهما) أنه يحبُّ التوابين ، ويفرحُ بتوبتهم ، فلمحبته للتوبة وفرحه بها قَضَى على عبده بالذنب ، ثم إذا كان مِمَّن سبقتْ له العنايةُ قضى له بالتوبة .

---

(١) آل عمران : ١٣٩ ـ ١٤٤ .

(٢) الموطأ : ٨ ، في باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله عز وجل ، ص ٧٥٣ .

(الثاني) تعريف العبد عِزَّة الله سبحانه في قضائه ، ونفوذ مشيئته ، وجريان حُكْمه.

(الثالث) تعريفه حاجته إلى حفظه وصيانته ، وأنه إن لم يحفظْه ويَصُنْه فهو هالك ولا بُدَّ ، والشياطينُ قدمت أيديها إليه تمزِّقه كلَّ مُمَزَّق.

(الرابع) استجلابه من العبد استعانته به ، واستعاذته به من عدوه وشر نفسه ، ودعاءه ، والتضرع إليه ، والابتهال بين يديه.

(الخامس) إرادته من عبده تكميل مقام الذُّلِّ والانكسار ، فإنه مَنْ شَهِدَ صلاحه واستقامته شَمَخَ بأنفه ، وظنَّ أنه ، وأنه... فإذا ابتلاه بالذَّنْبِ تصاغرتْ عنده نفسه ، وذلَّت ، وتيقن ، وتمنَّى أنه ، وأنه...

(السادس) تعريفه بحقيقة نفسه ، وأنها الخَطِئَةُ الجاهلة ، وأنَّ كلَّ ما فيها من علم أو عمل أو خير فمن الله مَنَّ به عليه ، لا من نفسه.

(السابع) تعريفه عبده سَعَة حلمه وكرمه في ستره عليه ، فإنه لو شاء لعاجله على الذنب ، ولهتكه بين عباده؛ فلم يَصْفُ له معهم عيش.

(الثامن) تعريفه أنه لا طريقَ إلى النجاة إلا بعفوه ومغفرته.

(التاسع) تعريفه كرمه في قبول توبته، ومغفرته له على ظُلْمه، وإساءته.

(العاشر) إقامة الحُجَّة على عبده ، فإنَّ له عليه الحُجَّةَ البالغة ، فإن عَذَّبه فبعدله ، وببعض حَقِّه عليه ، بل باليسير منه.

(الحادي عشر) أن يعاملَ عباده في إساءتهم إليه وزلاَّتهم معه بما يَجِبُ أن يعامِلَه اللهُ به ، فإن الجزاءَ من جنس العمل ، فيعمل في ذنوب الخلق معه ما يحبُّ أن يصنعه الله بذنوبه.

(الثاني عشر) أن يقيمَ معاذير الخلائق ، وتَتَّسع رحمته لهم ، مع إقامة أَمْرِ الله فيهم ، فيقيم أَمْرَ الله فيهم رحمةً لهم ، لا قسوةً وفظاظةً عليهم.

(الثالث عشر) أن يخلعَ صَوْلَةَ الطاعة والإحسان من قلبه ، فتتبدل بِرِقَّةٍ ورأفةٍ ورحمةٍ.

(الرابع عشر) أن يُعَرِّيه من رداء العجب بعمله ، كما قال النبيُّ ﷺ : «لو

لم تذنبوا لخفتُ عليكم ما هو أشدّ منه ، العجب»[1] . أو كما قال .

(الخامس عشر) أن يُعَرِّيه من لباس الإدلال الذي يصلحُ للملوك ، ويلبسه لباس الذُّلِّ الذي لا يليقُ بالعبد سواه .

(السادس عشر) أن يستخرجَ من قلبه عبوديته بالخوف والخشية ، وتوابعهما من البكاء ، والإشفاق ، والندم .

(السابع عشر) أن يعرفَ مقداره مع معافاته وفضله في توفيقه وعصمته ، فإنَّ مَنْ تربَّى في العافية لا يعرفُ ما يقاسيه المبتلى ، ولا يعرف مقدار العافية .

(الثامن عشر) أن يستخرجَ منه محبته ، وشكره لربه إذا تابَ إليه ، ورجع إليه ، فإنَّ الله يحبه ، ويُوجِبُ له بهذه التوبة مزيد محبة ، وشكر لربه إذا تاب إليه ، ورَجَع إليه ، فإن الله يحبه بهذه التوبة ، وإن كان يحصلُ بغيرها من الطاعات أثر آخر ، لكنَّ هذا الأثرَ الخاصَّ لا يحصلُ إلا بالتوبة .

(التاسع عشر) أنه إذا شهدَ إساءته وظُلْمه ، واستكثر القليلَ من نِعَم الله لعلم بأن الواصلَ إليه منها كثيرٌ على مسيءٍ مثله ، فاستقلَّ الكثير من عمله ، لعلمه بأن الذي يصلحُ له أن يغسلَ به نجاسته وذنوبه أضعاف أضعاف ما يفعله ، فهو دائماً مستقلٌّ لعمله كائناً ما كان ، **ولو لم يكن في فوائد الذنب وحكمته إلا هذا وَحْدَهُ لكان كافياً .**

(العشرون) أنه يُوجِبُ له التيقظ والحَذَر من مصايد العدو ومكايده ، ويعرفه من أين يدخله عليه ، وبما يحذر منه ، كالطبيب الذي ذاق المرض والدواء .

(الحادي والعشرون) أنَّ مثلَ هذا ينتفع به المرضى ، لمعرفته بأمراضهم وأدوائها .

(الثاني والعشرون) أنه يرفعُ عنه حِجاب الدعوى ، ويفتحُ له طريق الفاقة ، فإنه لا حِجابَ أغلظُ من الدعوى ، ولا طريقَ أقربُ من العبودية .

---

(١) الترمذي : ٢٥٢٦ ، عن أبي هريرة بلفظ مختلف .

فإن دوامَ الفقر إلى الله مع التخليط خيرٌ من الصَّفاء مع العجب.

(الثالث والعشرون) أن تكونَ في القلب أمراضٌ مزمنة لا يشعرُ بها، فيطلب دواءها فيمنُّ عليه اللطيف الخبير، ويُقْضَى عليه بذنب ظاهر، فيجد ألم مرضه، فيحتمي، ويشرب الدواء النافع، فتزول تلك الأمراض؛ التي لم يكنْ يشعرُ بها، ومن لم يشعرْ بهذه اللطيفة فلغلظ حجابه، كما قيل:

لَعَـلَّ عَتْبَـكَ مَحْمُـودٌ عَـوَاقِبُـهُ وَرُبَّمـا صَحَّـتِ الأَجْسَـامُ بِـالْعِلَـلِ

(الرابع والعشرون) أن يذيقه ألمَ الحجاب والبُعْد بارتكاب الذنب؛ ليكملَ له نعمته وفرحه وسروره إذا أقبل بقلبه إليه، وجمعه عليه، وأقامه في طاعته، فيكون التذاذُه في ذلك ـ بعد أن صَدَر منه ما صَدَر ـ بمنزلة التذاذِ الظَّمآن بالماء العَذْب الزُّلال، والشديد الخوف بالأم، والمحب الطويل الهَجْر بِوَصْل محبوبه، وإنَّ لُطْفَ الرب وبِرّهَ وإحسانه ليبلغُ بعبده أكثر مَنْ هذا، فيا بؤس من أعرض عن معرفة ربه، ومحبته!!

(الخامس والعشرون) امتحان العبد واختباره هل يصلحُ لعبوديته وولايته أو لا؟! فإنه إذا وَقَعَ الذنب، سلب حلاوةَ الطاعة والقربة، ووقع في الوحشة. فإن كان مِمَّن يصلحُ اشتاقتْ نفسه إلى لذة تلك المعاملة، فحنَّت وأنَّت، وتضرَّعت واستعانت بربها ليردَّها إلى ما عَوَّدَها من بِرّه ولُطْفه، وإن ركنت عنها، واستمرَّ إعراضها، ولم تحنَّ إلى تعهُّدها الأول وما ألفها، ولم تحسن بضرورتها وفاقتها الشَّديدة إلى مراجعة قُربْها من ربها؛ علم أنها لا تصلحُ لله.

(السادس والعشرون) أن الحكمةَ الإلٰهية اقتضتْ تركيب الشهوة والغضب في الإنسان أو بعضها، ولو لم يخلقْ فيه هذه الدواعي لم يكن إنساناً بل مَلِكاً، فالذنبُ من موجبات البشرية، كما أن النسيانَ من موجباتها، كما قال النبيُّ ﷺ: «**كلُّ بني آدم خَطَّاء، وخيرُ الخطَّائين التوابون**» ولا يتمُّ الابتلاء والاختبار إلا بذلك. والله أعلم.

(السابع والعشرون) أن ينسيه رؤية طاعته، ويشغله برؤية ذنبه، فلا يزال نُصْب عينيه، فإن الله إذا أراد بعبد خيراً سلبه رؤيةَ أعماله الحسنة من

قلبه، والإخبار بها من لسانه، وشَغَله برؤية ذنبه، فلا يزالُ نُصْبَ عينيه حتى يدخلَ الجنة، فإن ما تقبل من الأعمال رفع من القلب رؤيته ومن اللسان ذِكْره. وقال بعضُ السلف: إن العبد ليعملُ الخطيئةَ فيدخل بها الجنة، ويعملُ الحسنةَ فيدخلُ بها النار. قالوا: كيف؟ قال: يعملُ الخطيئة فلا تزال نُصْبَ عينيه، إذا ذَكَرها ندم واستقال وتضرَّع إلى الله وبادر إلى محوها، وانكسر، وذلَّ لربه، وزال عنه عجبه وكبره، ويعملُ الحسنةَ فلا تزالُ نُصْبَ عينيه، يراها ويمنُّ بها، ويعتد بها، ويتكبَّر بها حتى يدخلَ النار.

(الثامن والعشرون) أن شهودَ ذنبه وخطيئته يُوجِبُ له ألا يرى له على أَحَدٍ فضلاً، ولا له على أَحَد حقاً. ولا يظن أنه خيرٌ من مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، وإذا شهد ذلك من نفسه لم يَرَ لها على الناس حقوقاً من الإكرام يتقاضاهم إياها، ويذمُّهم على ترك القيام بها، فإنها عنده أخسُّ قدراً، وأقل قيمة من أن يكونَ لها على عباد الله حقوق يجبُ مراعاتها، أولها عليهم فَضْل يستحقُّ أن يلزموه لأجله، فيرى أن من سلَّم عليه، أو لقيه بوجه منبسطٍ قد أحسن إليه، وبَذَلَ له ما لا يستحقه، فاستراحَ في نفسه، واستراح الناسُ من عتبه وشكايته، فما أطيب عيشه! وما أنعم باله! وما أقرّ عينه! وأن هذا ممن لا يزالُ عاتباً على الخلق، شاكياً ترك قيامهم بحقه، ساخطاً عليهم، وهم عليه أسخط؟ فسبحان ذي الحكمة الباهرة التي بهرتْ عقولَ العالمين.

(التاسع والعشرون) أنه يُوجِبُ له الإمساكَ عن عيوب الناس والفكر فيها، فإنه في شُغلٍ بعيبه ونفسه، وطُوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وويل لمن نسي عيبه، وتفرغ لعيوب الناس، فالأولُ علامةُ السعادة، والثاني علامةُ الشقاوة.

(الثلاثون) أنه يجلبُ له الإحسانَ إلى الناس، والاستغفار لإخوانه الخاطئين من المؤمنين، فيصير هِجِّيْرَاه: ربِّ اغفر لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، فإنه يشهدُ أن إخوانه الخاطئين يصابون بمثل ما أُصيب به، ويحتاجون إلى مثل ما هو محتاجٌ إليه، فكما يجبُ أن

يستغفر له أخوه المسلم يجبُ أن يستغفرَ هو لأخيه المسلم، وقد قال بعضُ السلف: إن الله لما عتبَ على الملائكة في قوله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[1]، وامتحن هاروت وماروت جعلت الملائكةُ بعد ذلك تستغفرُ لبني آدم، ويدعون الله لهم.

(الحادي والثلاثون) أنه يوجب له سعةَ إبطائه وحَمْله ومغفرته لمن أساء إليه، فإنه إذا شهد نفسه مع ربه سُبحانه مسيئاً خاطئاً مذنباً ـ مع فرط إحسانه إليه، وبِرّه، وشدَّة حاجته إلى ربه، وعدم استغنائه عنه طرفةَ عين، وهذا حاله مع ربه ـ فكيف يطمعُ أن يستقيمَ له الخَلْقُ، ويعاملوه بمحض الإحسان، وهو لم يعاملْ ربه بتلك المعاملة؟ وكيف يطمعُ أن يطيعه مملوكه وولده وزوجته في كلِّ ما يريد، وهو مع ربه ليس كذلك، وهذا يُوجِبُ أن يغفر لهم، ويسامحهم، ويعفو عنهم، ويغضي عن الاستقصاء في طلب حقه قبلهم)[2]؟!

ج ـ وإذا نظرت إلى أهل الأهواء والبِدَع وحيرتهم ـ رَغْم علمهم ـ علمت فضل الله عليه بالهداية إلى السُّنة، وشكَرتَ الله، وسألتَ الله أن يميتك على منهاج أهل السُّنة.

د ـ وإذا نظرتَ إلى فتنة التفرق والاختلاف أخذت العِبْرة، وأن السَّببَ تَرْكُهم لبعض الشريعة، فوقع الخلافُ، مِمَّا يجعلك تأخذُ الكتابَ بقوة، وتدخل في السِّلْم كافة، قال ابنُ تيمية: (سببُ الاجتماع والألفة جَمْع الدين، والعملُ به كله، وهو عبادةُ الله وحده لا شريكَ له، كما أمر به باطناً وظاهراً. وسببُ الفرقة تَرْكُ حَظٍّ مما أمر العبد به، والبغي بينهم. ونتيجةُ الجماعة رحمة الله ورضوانه، وصلاته، وسعادةُ الدنيا والآخرة، وبياضُ الوجوه. ونتيجةُ الفرقة عذابُ الله، ولعنته، وسوادُ الوجوه، وبراءة الرسول منهم)[3].

---

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) طريق الهجرتين: ص ١٦٩.

(٣) فتاوى: ١/ ١٧.

هـ - وإذا نظرتَ إلى تسلُّط الكُفَّار على المؤمنين ، وَجَدْتَ العِبْرةَ في ذلك ، فقد قال اللهُ تعالى رَدًّا على الصحابة: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾[1] ؛ مِمَّا يؤدي ذلك إلى رجوعك إلى نفسك وتوبتك واستغفارك ، وعلمت أنا أُوتينا من قبل أنفسنا ، قال ﷺ : «**إذا تبايعتم بالعينة ، ورضيتم بالزَّرع ، واتبعتم أذنابَ البقر ، وتركتم الجهادَ في سبيل الله ، سلَّط اللهُ عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تراجعوا دينكم**»[2] .

و - وإذا نظرتَ إلى المصائب والكوارث التي تنزل بك؛ أخذتَ العِبْرةَ منها ، فتحمد ربَّك على أنها لم تكنْ في الدين ، وأنها لم تكنْ أكبر من ذلك ، وأنها كفَّارةٌ لذنب سبق ، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[3] .

وفي مراسيل الحسن: لما نزلتْ هذه الآية قال ﷺ : «**والذي نَفْسُ محمد بيده ما من خَدْشِ عود ، ولا اختلاجِ عرق ، ولا عثرةِ قدم؛ إلا بذنبٍ ، وما يعفو عنه اللهُ أكثر**»[4] .

وقال عليٌّ: ألا أحدِّثكم بحديثٍ ينبغي لكلِّ مؤمن أن يعيه: (فتلا الآية السابقة) ثم قال: (ما عاقب اللهُ تعالى به في الدنيا فاللهُ أحلمُ من أن يثني عليه العقوبة يوم القيامة ، وما عفا اللهُ عنه في الدنيا ، فالله أكرمُ من أن يعودَ في عفوه يوم القيامة)[5] .

ز - وإذا نظرتَ إلى التقدم الحضاري للكفَّار ، نظرتَ بعين العبرة ، أنه نعمةٌ في الظاهر وعذابٌ في الباطن ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ

---

(١) آل عمران: ١٦٥ .
(٢) سبق تخريجه ، أبو داود: ح ٣٤٦٢.
(٣) الشورى: ٣٠.
(٤) ابن كثير: ٤/١٠٦ ، وعزاه لابن أبي حاتم.
(٥) ابن كثير: ٤/١٠٦ ، عزاه لابن أبي حاتم.

﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٢) .

وهكذا كلَّما تأمل المؤمنُ في المحن والفتن وَجَدَ فيها العِبْرة والعِظَة ، فازدادَ إيماناً وتسليماً ، مِصْداقاً إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٣) .

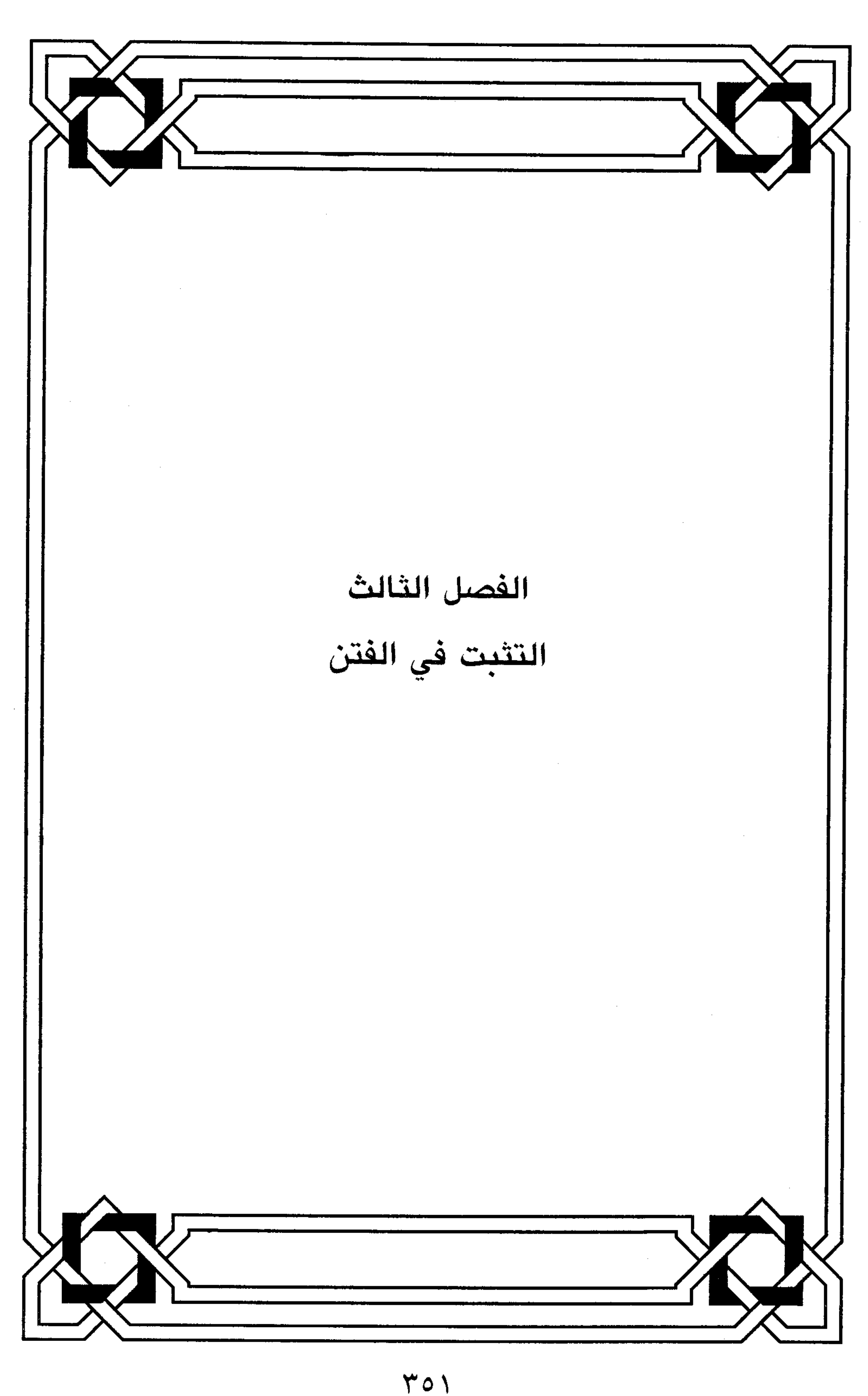
* * *

(١) آل عمران: ١٧٨ .

(٢) التوبة: ٥٥ .

(٣) الأحزاب: ٢٢ .

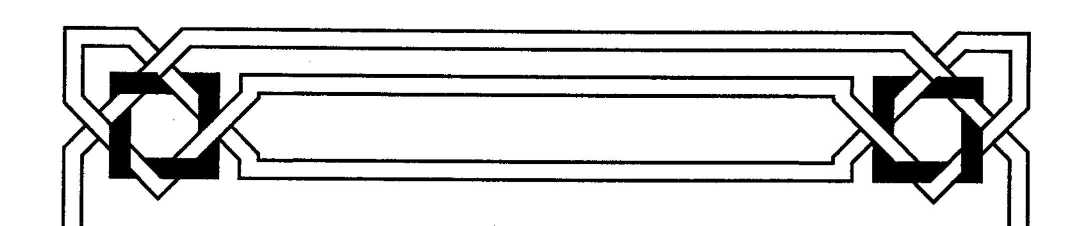




الفصل الثالث

التثبت في الفتن





الفصل الثالث

التثبت في الفتن

وجعله في مبحثين:

المبحث الأول: **معنى التثبت وطُرقه. وذلك في مطالب:**

المطلب الأول: معنى التثبت لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: طُرق التثبت.

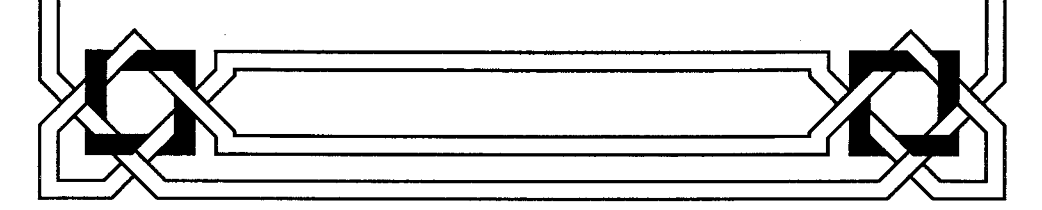
المبحث الثاني: **كيفية التثبت في الفتن، وذلك في مطالب:**

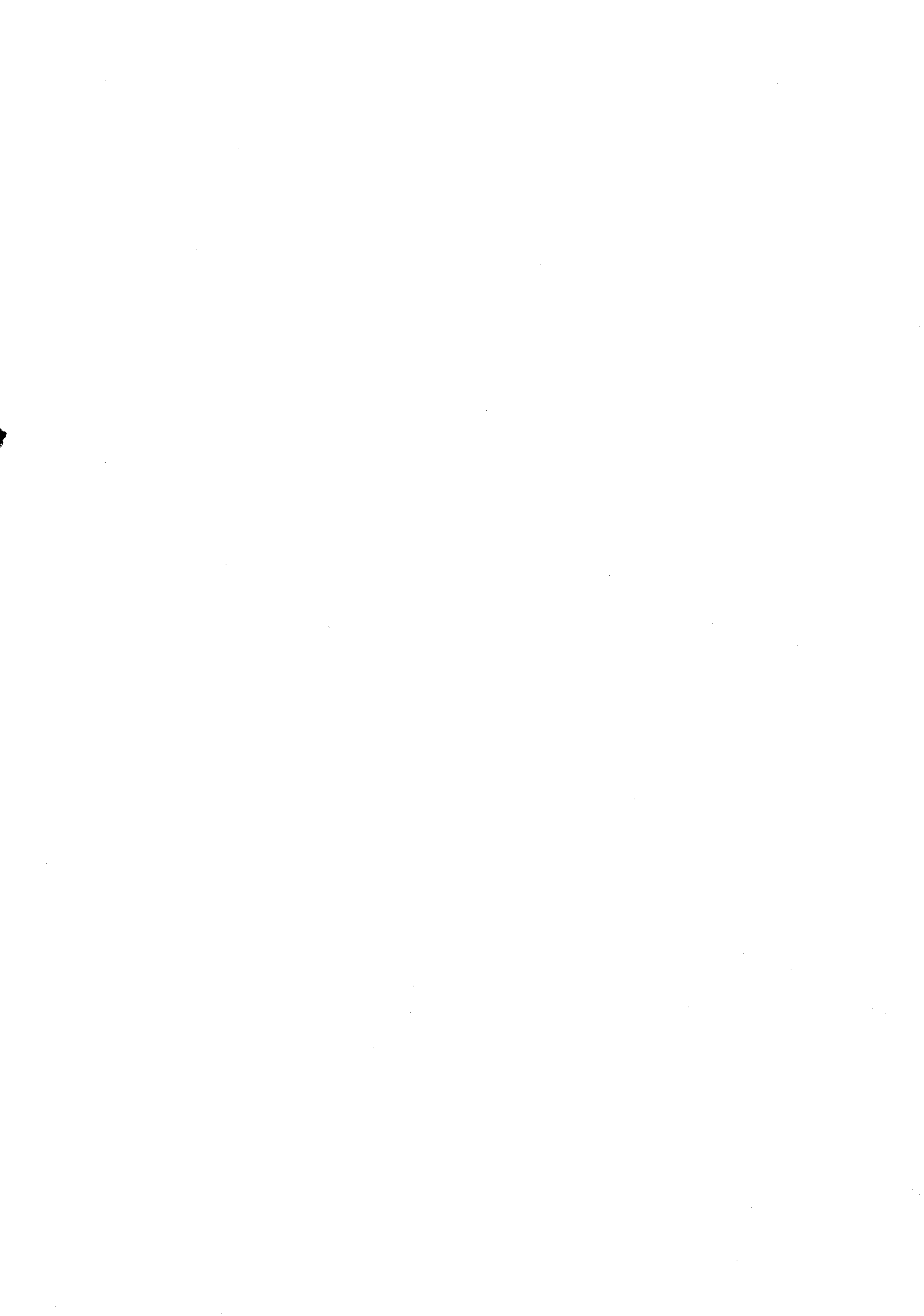
المطلب الأول: تنقية مصادر التلقي.

المطلب الثاني: التأني والرفق والحلم.

المطلب الثالث: عدم نَشْر الشَّائعات، مع مشاورة العلماء ذوي البصيرة في الدين والواقع.

المطلب الرابع: النظر في عواقب الأمور.





المبحث الأول
معنى التثبت وطرقه
المطلب الأول: معنى التثبت لغة واصطلاحاً

التثبتُ لغة: ثبت ثباتاً وثبوتاً، بمعنى: دوام الشيء، وأثبته السّقم: إذا لم يفارقه، ورجل ثبت، أي: ثابت القلب، وثبت في الأمر، واستثبت بمعنى واحد، أي: تأنى، والإثبات: بمعنى التوثق، والثَّبَتُ -بالتحريك-: الحُجَّة والبينة.

فظهر أن التثبتَ لغةً بمعنى التأني، وطلب الخبر من الثقة الحُجَّة، وهو بمعنى التبين[1].

واصطلاحاً: بمعنى الاعتماد على خَبَر العدول الثِّقات، والبعد عن أخبار المجاهيل والمتسرعين، كما يعني في نفس الوقت السَّماع من الأطراف المتعددة حول القضية؛ التي وقعت الفتنةُ بسببها[2].

* * *

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ١/١٧٥، القاموس المحيط: ١/١٤٩، ومختار الصحاح: ١/٤٣.

(٢) مسؤولية الكلمة: ١/٤٩.

المطلب الثاني
طرق التثبت

أمر اللهُ بالتَّثبت فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[1] . وقرأ حمزةُ (فتثبَّتوا)، من التثبت ، والمراد به: التبيُّن والتعرف والتفحُّص، ومن التثبت: الأناة وعدم العَجَلة ، والتبصر في الأمر الواقع ، والخَبَرِ الواردِ حتى يتَّضح ويظهر.

وهذه الآيةُ نزلتْ في الوليد بن عُقْبة ، وإنما أَمَر اللهُ بذلك كراهية أن تصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم بهم بإصابتهم بالخطأ نادمين ، أي: مغتمِّين ، ثم بين أنَّ الرسولَ ﷺ لو يطيعهم في كثيرٍ مما يخبرون به من الأخبار الباطلة ، ويشيرون به عليه من الآراء التي ليست بصوابٍ لوقعوا في العَنَت ، وهو التعبُ والجهدُ والإثمُ والهلاكُ ، ولكنه ﷺ لا يطيعهم قبل وُضُوح وجهته إليه ، ولا يسارع في العمل بما يبلغه قبل النظر به[2].

يقول ابنُ كثير: (أمر الله بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاطَ كيلا يحكم بقوله؛ فيكون في نفس الأمر كاذباً ومخطئاً ، ولهذا امتنع طوائفُ من العلماء من قبول رواية المجهول ، لاحتمال فِسْقه في نفس الأمر ، وقبلها الآخرون؛ لأن هذا ليس بفاسقٍ لأنه مجهولُ الحال)[3].

قال العلامةُ القرآني الشيخُ الشنقيطي: (دلَّتِ الآيةُ على أمرين:

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) فتح القدير: ٥/ ٧٤.

(٣) ابن كثير: ٤/ ٢٠٨.

١ ـ الفاسق إن جاء بنبأ يمكنُ صِدْقه وكَذِبه ، فيجبُ التثبت فيه .

٢ ـ إنَّ خَبَرَ العدلِ مقبولٌ بدليل مفهوم المخالفة ، فإن كان صاحبُ الخبر عدلاً فإنه لا يجبُ التبيُّن ، وأما شهادةُ الفاسق فهي مردودةٌ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1])[2] .

قال صاحبُ حاشية الجلالين: (إنما سَمَّاه فاسقاً تنفيراً وزَجْراً عن المبادرة والاستعجال إلى الأمر بغير تثبُّت ، كما فَعَلَ هذا الصحابيُّ الجليل ، ولكنه متأوِّل ومجتهدٌ فيما فَعَله ، فليس فاسقاً حقيقياً)[3] .

وقال تعالى معاتباً الصَّحابة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[4] .

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: (لحق ناسٌ من المسلمين رجلاً معه غنيمةٌ له ، فقال: السلام عليكم ، فقتلوه ، وأخذوا غنيمته ، فنزلتِ الآيةُ)[5] .

وإنما أمر بالتبيُّن والتثبُّت في السفر ، ثم إنه واجبٌ في الحالين ، أي: في السفر والحضر ، لأن الحادثةَ حدثتْ سفراً[6] .

وعاتب اللهُ نبيه ﷺ ، فقال تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[7] .

وقد وَضَعَ علماءُ الشريعة منهجاً متكاملاً في التبين ، حتى لا تختلطَ الأمورُ ، فوضعوا القواعدَ التي من خلالها يتبين صِحَّةُ الأحاديث ، وثبوت

---

(١) النور: ٤ .
(٢) أضواء البيان: ٦/٦٢٦ .
(٣) الفتوحات: ٤/١٧٨ .
(٤) النساء: ٩٤ .
(٥) فتح القدير: ١/٦٣٢ ، والحديث في البخاري .
(٦) نفس المرجع .
(٧) التوبة: ٤٣ .

الحق ، وثبوت الأخبار ، مُستندين إلى هذه الآيات التي أَمَرَتْ بالتبين والتثبت.

أولا: طرق التثبت في الأحاديث النبوية:

لما شاع الوَضْعُ والكذب على رسولِ الله ﷺ في القرن الثاني ، وَضَعَ العلماءُ قواعدَ وأصولاً لنقد الحديثِ منها:

أ ـ **البحث عن إسناد الحديث** ، حيث قال ابنُ المبارك: (الإسنادُ من الدِّين ، ولولا الإسنادُ لقال مَنْ شاء ما شاء)[1]. وكان يقولُ رحمه الله: (بيننا وبين القوم القوائمُ ، يعني: الإسناد)[2].

ب ـ **التوثق من الأحاديث** ، وذلك بالرجوع إلى الصَّحابة والتابعين وأئمة هذا الفن ، ولذلك كثرتِ الرِّحْلاتُ من التابعين والصَّحابة ، للتأكد من صِحَّة الأحاديث ، فهذا جابرُ بن عبد الله رضي الله عنه ، يرحلُ إلى الشام ، وهذا أبو أيوب الأنصاري ، يرحلُ إلى مصر ، وقال سعيدُ بن المسيب: كنت أسيرُ الليالي والأيام لطلب الحديثِ الواحد[3].

ج ـ **نقد الرواة ، وبيان حالهم من صِدْق وكَذِب** ، وهذا بابٌ عظيمٌ وَصَلَ فيه العلماءُ إلى تمييز الصَّحيح من المكذوب، والقويِّ من الضَّعيف ، وقد أبلوا فيه بلاءً حسناً ، وتتبعه الرواةُ ، ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم ، ولم تأخُذْهُم في الله لومةُ لائم ، ولا منعهم من تجريح الرواة والتشهير بهم وَرَع ولا حَرَج؛ لأنَّ حِفْظَ الشَّريعة هو الورعُ الأكبر.

قيل ليحيى بن سعيد القَطَّان: أما تخشى أن يكون هؤلاء الرواةُ الذين جرحتهم خصمك يوم القيامة؟ قال: لأن يكون هؤلاء خصمي أحبُّ إليَّ من أن يكون خصمي رسولُ الله ﷺ يقول لي: لِمَ لم تذبَّ الكذبَ عن حديثي؟!

د ـ **وضع قواعد عامة** لتقسيم الحديث وتمييزه ، فقد قَسَّموا الحديث

(١) مقدمة مسلم: ١/ ١٠.
(٢) المرجع السابق.
(٣) جامع بيان العلم وفضله: ١/ ٩٤.

إلى صحيح وحسن وضعيف ، وعَـرَّفه كلٌّ واحدٍ منهم بما يليقُ به[1].

ثانياً: التثبت في إثبات الحقوق:

فالحقوقُ التي يتنازعُ الناسُ فيها ، تكون **إما بدعوى أو إقرار أو شهادة** ، فقد وضع الفقهاءُ لهذه الأمور ضوابطَ وقواعدَ للتبين والتثبت.

- **أما الدعوى فهي لغة**: الطلب ، واصطلاحاً: إضافةُ الإنسان إلى نفسه استحقاقَ شيء في يد غيره أو ذِمَّته. والدعوى لا تثبتُ إلا ببينة صادق ، لحديث ابن عباس مرفوعاً: (لو يُعْطَى الناسُ بدعواهم لادَّعى ناسٌ دماء رجالٍ وأموالهم ، ولكنْ اليمينُ على المدَّعى عليه)[2].

وقرر الفقهاءُ أن الدعوى لا تثبتُ إلا من جائز التصرف ، أي: حُرٍّ مُكَلَّف رشيد ، ووضعوا لها شروطاً ، فمثلاً: تكونُ معلومةً ومحررة ، مُصَرَّحاً بها ، وأن تكون بدَيْن حالٍّ ، لا بالدَّيْنِ المؤجل إثباته ، وأن تكون منفكَّةً عما يكذبها.

- **الإقرار**: وهو الاعتراف بالحق ، والحكمُ به واجبٌ؛ لقوله ﷺ: «**واغْدُ يا أنيس إلى امرأة هذا ، فإن اعترفتْ فارْجُمْها**»[3]. ولا يصحُّ الإقرارُ إلا من مكلَّف مختار.

- **الشهادة**: وهي طريقٌ من طُرق إثبات الحقوق ، قال الله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾[4].

وقد قال ﷺ لمن ادَّعى حقاً على غيره: «**شاهداك أو يَمِيْنُه**»[5].

واشترطوا في الشَّهادة شروطاً منها البلوغُ؛ فلا شهادةَ لصغير ، **والعقلُ**؛ فلا شهادة لمعتوهٍ ومجنون ، **والنطقُ؛ فلا شهادةَ لأخرس** ، **والحفظُ**؛ فلا

---

(1) السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي: ١/ ٩٠ ـ ٩٤.
(2) مسلم: ح ٢٦٥٤.
(3) البخاري: ح ٦٨٧٢.
(4) البقرة: ٢٨٢.
(5) مسلم: ح ٢٢١.

شهادة لمغفل، **والإسلام**، فلا شهادةَ لكافر ولو على مثله، والعدالة، وهي استواءُ أحواله ودينه.

ووضعوا لها **موانعَ منها**: كون الشاهد أو بعضه مُلْكاً لمن يشهد له، وكذلك لو كان من أصوله أو فروعه، ولا يَجرّ بها ـ أي: الشاهد ـ نفعاً لنفسه، ولا يدفعُ بها ضَرَراً عن نفسه، ولا يكون عدوّاً للمشهود عليه، وغير ذلك.

وقد غلظت الأحاديثُ في شهادة الزور، فعن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثاً، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين**»، وكان مُتَّكِئاً فجلس، فقال: «**أَلاَ وشَهادة الزور، ألا وشهادة الزور**»، فما زال يُكَرِّرها حتى قُلْنا: ليته سَكَتَ[1].

ـ **واليمين**: من الطرق التي تثبتُ بها الحقوق، وقد غَلَّظ الشارعُ أمرَ اليمين الكاذبة، فجعلها من الكبائر.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[2][3].

ثالثاً: التثبت في الأخبار الدُّنيوية:

أَمَر اللهُ تعالى بالتبين في جميع الأخبار، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[4]. وهذا يدلُّ على اشتراط العدالة في المخبر.

والعدالةُ يُعْتَبَرُ لها شيئان:

---

(١) البخاري: ح ٥٩٧٦، مسلم: ح ٨٧.
(٢) آل عمران: ٧٧.
(٣) انظر السلسبيل: ٣/١١٠١.
(٤) الحجرات: ٦.

أ ـ **الصَّلاح في الديِّن**: وهو أداءُ الفرائض ، واجتناب المحرمات ، بألاَّ يأتي كبيرة ، ولا يُصِرَّ على صغيرة.

ب ـ **استعمال المروءة**: بفعل ما يجمله ، ويزيِّنه ، وترك ما يُدَنِّسُه ، ويشينه من الأمور الدَّنيئة المُزْرية به ، فلا شهادةَ بمستسخر ، ولا لرقَّاص ، ولا للاعب شطرنج ، وغير ذلك [1].

وكذلك يُشترطُ في المخبر أن يكونَ ضابطاً لما يخبر ، فلا يكونَ سيئ الحفظ ، ولا فاحش الغلط ، ولا مُغفَّلاً ، ولا كثيرَ الأوهام ، ولا يخالفُ الثقات [2].

وخلاصةُ القول: إن التثبتَ في الشَّرع مبنيٌّ على الحُجَّة والبرهان ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [3].

وقال جَلَّ وعلا: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [4].

وقد نعى اللهُ على الذين يتبعون الظَّن بدون تبيُّن وتثبت ، فقال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ [5].

ولقد جاء في السُّنة الشيءُ الكثيرُ من الأخبار التي يأمر فيه ﷺ بالتثبت ، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**كَفَى بالمرء كذباً أن يُحَدِّثَ بكلِّ ما سمع**» [6].

قال المناويُّ ـ رحمه الله ـ: (أي إذا لم يتثبَّتْ لأنه يسمعُ عادة الصدق والكذب ، فإذا حَدَّث بكلِّ ما سمع لا محالةَ يكذب ، والكذبُ: الإخبار

---

(١) السلسبيل: ٣/١١٠١.
(٢) تيسير المصطلح: ١/١٤٦.
(٣) النمل: ٦٤.
(٤) الأنعام: ١٤٨.
(٥) النجم: ٢٣.
(٦) مسلم: ح ٥.

عن الشيء على غير ما هو عليه، وإن لم يتعمّد، لكن التعمُّدَ شرطُ الإثم)[1].

ومن ذلك قوله ﷺ: «**بِئْسَ مَطِيَّةُ الرجل: زعموا**»[2]. قال الخَطَّابيُّ: (وإنما يُقال (زعموا) في حديث لا سَنَدَ له، ولا ثبت فيه، وإنَّما هو شيءٌ حُكِي عن الألسن على سبيل البلاغ، فذمَّ النبيُّ ﷺ من الحديث ما كان هذا سبيله، وأمر بالتثبت فيه، والتوثق لما يحكيه من ذلك، فلا يردُّونه حتى يكون مَعْزُواً إلى ثبت، ومَرْوِيّاً عن ثقة)[3].

قال صاحبُ عَوْن المعبود: (والمقصودُ أن الإخبارَ بخبرٍ مبناه على الشَّك والتَّخمين، دون الجزم واليقين، قبيحٌ، بل ينبغي أن يكونَ بخبره سندٌ وثبوت، ويكونَ على ثقةٍ من ذلك، لا مُجَرَّدَ حكايةٍ على ظَنٍّ وحسبان، وفي المثل: (زعموا) مطيةُ الكذب)[4].

أما ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم في التثبت في نقل الأخبار، فكثيرٌ وكثير، فمن ذلك ما ثبت عن أبي بكر رضي الله عنه عندما سُئل عن ميراث الجدَّة، فلم يعرفْ في ذلك علماً، فسأل الصحابة رضي الله عنهم فأخبره المغيرةُ ـ رضي الله عنه ـ أن النبيَّ ﷺ أعطاها السدس، فطلب الصِّدِّيقُ شاهداً لقول المغيرة، فشهد على ذلك محمدُ بن مسلمة ـ رضي الله عنه ـ[5].

ومن ذلك أيضاً ما وَرَدَ عن أبي موسى عندما استأذن ثلاثاً للدخول على عمر فلم يُؤْذَنْ له، فرجع فردَّه عمر بعدما ذهب، وقال: ما منعك؟ فذكر أبو موسى الحديثَ. فقال له عمر: (والله لتقيمنَّ عليه بينةً ـ يعني: شاهداً على ما سمعت ـ...)[6].

---

(١) فيض القدير: ٥/ ٢.

(٢) أحمد: ح ٢٣٤٦٣ عن حذيفة بن اليمان.

(٣) معالم السنن: ٧/ ٢٦٧.

(٤) عون المعبود: ١٣/ ٣١٥.

(٥) الترمذي: ٤/ ٤٢٠.

(٦) البخاري: ح ٦٢٥٤.

ومن ذلك قولُ أبي شريح عند ذِكْره حديثاً لعمر بن سعد فقال: (ائذن لي أيها الأمير أحدِّثك قولاً قال به النبيُّ ﷺ الغد من يوم الفتح. سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلَّم به..)[١]. ومن ذلك قول عليّ رضي الله عنه قال: (كنتُ إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثاً، نفعني الله به ما شاء الله، وإذا حدَّثني غيره استحلفته، فإذا حَلَفَ لي صَدَّقته)[٢].

وانظرْ إلى تثبت الصحابة، فها هو سعدُ بن أبي وقاص لما طُلِب منه أن يقاتل في حروب الصحابة، قال: (واللهِ لا أقاتلُ حتى تأتوني بسيفٍ له عينان، ولسان، وشفتان، يعرفُ الكافرَ من المؤمن)[٣].

وقال أبو الدرداء وهو يبينُ وجوبَ التثبت عند إقبال الفتن؛ لأنها تشتبه على العالم فَضْلاً عن الجاهل، يقول: (إن الفتنةَ إذا أقبلتْ شبهت، وإذا أدبرتْ بينت)[٤].

وقد ثبت أن خُزيمة بن ثابت كان مع عليٍّ رضي الله عنه، وكان مع ذلك لا يقاتلُ؛ لأن الأمرَ اشتبه عليه، فلما قُتِل عمار، قاتل حينئذٍ لحديثٍ سمعه من رسول الله ﷺ: «**تقتلُ عماراً الفئةُ الباغية**»[٥]. والشاهدُ أنه ما قاتل حتى تبين الأمرَ على وجهه الصَّحيح.

وعن زيد بن وهب قال: (بينما نحنُ حول حُذيفة، قال: كيف أنتم وقد خرج أهلُ دينكم فرقتين، يضرب بعضُهم وجهَ بعض بالسيف؟! فقلنا: يا أبا عبد الله! وإن ذلك لكائن؟! فقال: نعم، فقال بعضُ أصحابه: كيف نصنع؟ ـ وهذا سؤال تبين وتثبت ـ فقال حذيفة: انظروا في الفرقة التي تدعو إلى أمر عليٍّ، فالْزَمُوها فإنها على الهدى)[٦].

---

(١) البخاري: ح ١٣٥٤.
(٢) مسلم: ح ٢، وأحمد: ١/ ٣٧٢.
(٣) العزلة: ص ٢٧.
(٤) البداية والنهاية: ٧/ ٤٧، وكذلك ورد عن أبي موسى.
(٥) الفتح: ٢٧/ ٤٩.
(٦) رواه البزار، ورجاله ثقات، انظر مجمع الزوائد: ٧/ ٢٣٦، وانظِر فتح الباري: ١٣/ ٩٢.

وقد ذمَّ الله تعالى أقواماً لا يتثبتون عند الأمور الهامة ، بل ينساقون وراء الإشاعات دون تبين أو تحقُّق ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾[1] . وقال الشيخُ السَّعدي في تفسير الآية: (هذا تأديبٌ من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق ، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمرٌ من الأمور المهمة والمصالح العامة ، ما يتعلَّق بالأمن ، وسُرور المؤمنين ، أو الخوف الذي فيه مصيبةٌ عليهم؛ أن يتثبتوا ، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر ، بل يردُّونه إلى الرسول ، وإلى أولي الأمر منهم ، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرَّزانة؛ الذين يعرفون الأمور ، ويعرفون المصالح وضِدَّها ، فإن رأوا في إذاعة القضية مصلحةً كونها نشاطاً للمؤمنين ، وسروراً لهم ، وتحرُّزاً من أعدائهم فَعَلُوا ذلك ، وإن رأوا أنها ما فيها مصلحةٌ ، أو فيها مصلحةٌ ولكنْ مَضَرَّتُها تزيدُ على مصلحتها؛ لم يذيعوها.

ولهذا قال: ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم ، وآرائهم السديدة ، وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليلٌ **لقاعدة أدبية** وهي أنه إذا حَصَلَ بَحْثٌ في أمرٍ من الأمور ينبغي أن يولي مَنْ هو أهل لذلك ، ويجعل إلى أهله ، ولا يتقدَّم بين أيديهم ، فإنه أقربُ للصَّواب ، وأحرى للسَّلامة من الخطأ.

وفيه النَّهيُ عن العجلة ، والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها ، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه ، هل هو مصلحة؛ فيقدم عليه الإنسانُ؟ أم لا؛ فيحجم عنه[2]؟.

وإذا غَلَّظ الشارعُ وأمر بالتثبتِ فيما يسمع ، فكذلك أَمَر بالتثبت والتبين فيما يقول المرءُ ، فلا يلقي المرءُ الكلامَ على عواهنه ، فربَّ كلمةٍ يقولها تُذْهِبُ دنياه وآخرته ، ففي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إذا قال الرجلُ**

---

(١) النساء: ٨٣.

(٢) السعدي: ٢/ ١١٣.

لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدُهما»[1].

وقال النوويُّ في شرح هذا الحديث: (هذا محمولٌ على المستحلّ، أو رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره، أو يؤولُ به إلى الكفر، أو رَجَعَ عليه تكفيره، وليس الراجع حقيقة الكفر)[2].

ووَرَدَ عن النبي ﷺ خطورةُ التكلم بلا تثبت، فقد جاء في الحديث أن رجلين من بني إسرائيل أحدُهما عابد، والآخر عاصٍ، فكان العابدُ يمرُّ على العاصي فيقول: اتق الله، فلا يحلُّ لك أن تصنع هذا، فكان العاصي يقول له: خَلِّني وربي أَبُعِثْتَ عليَّ رقيباً، فقال العابد يوماً: والله لا يغفر الله لك، فقال الله عز وجل لملائكته: من ذا الذي يتألَّى عليَّ؛ أني لا أغفرُ لفلان، أشهدكم أني قد غفرتُ له، وأحبطتُ عمل العابد، فقال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقتْ دنياه وآخرته[3].

ونختم هذا المبحث بقولين:

أحدهما لابن حَجَر حيث يقول: (إن الذي يتصدَّى لضبط الوقائع من الأقوال والأفعال والرجال، يلزمه التَّحرِّي في النقل، فلا يجزمُ إلا بما يتحققه، ولا يكتفي بالقول الشَّائع، ولا سيما إن ترتَّبَ على ذلك مفسدة من الطعن في حَقِّ أحدٍ من أهل العلم والصَّلاح، وإن كان في الواقعة أمر فادح، سواء كان قولاً أو فعلاً أو موقفاً في حق المستور، فينبغي أن لا يبالغَ في إفشائه، ويكتفي بالإشارة؛ لئلا يكونَ وَقَعَ منه فلتة، ولذلك يحتاج المسلمُ أن يكون عارفاً بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم، فلا يرفعُ الوضيع، ولا يضعُ الرفيع)[4].

والآخر للشَّيخ السعدي:

(من الغلط الفاحش الخَطِر قبولُ قول الناس بعضهم ببعض، ثم يبني

---

(١) البخاري: ح ٦١٠٣.
(٢) النووي: ٢/٤٦.
(٣) مسلم: ح ٢٦٢١.
(٤) الإعلام لحرمة أهل العلم: ص ٣٦٠.

عليه السَّامعُ حباً وبغضاً ، ومدحاً وذمّاً ، فكم حَصَلَ بهذا الغلط أمورٌ صار عاقبتها النَّدامة ، وكم أشاع الناسُ عن الناس أموراً لا حقائقَ لها بالكلية ، أو لها بعض الحقيقة فنميتْ بالكذب والزور!! وخصوصاً مَنْ عُرِفُوا بعدم المبالاة بالنقل ، أو عُرِفَ منهم الهوى ، فالواجبُ على العاقل التثبت والتَّحرز وعدم التَّسرع ، وبهذا يُعْرَفُ دِيْنُ العبد ، ورزانته ، وعقله)[1].

* * *

---

(١) الرياض النضرة: ص ٢٧٢.

المبحث الثاني
كيفية التثبت في الفتن

وسوف نتناولهُ في مطالب:

المطلب الأول
تنقيةُ مصادر التلقي

عند الفتن يتزعزعُ الأمن والاستقرار ، وتكون النفوسُ متوجِّسةً قَلِقة ، تصدقُ كل ما يقال دون تثبت ، وتصبحُ مصادر التلقي غير موثقة ، فتنتشر الشائعات انتشارَ النار في الهشيم ، وتكون هذه المصادرُ متمثلةً في شخص غير عدل ، أو خَبَرٍ من جريدة ، أو من مجلَّة ، أو من إذاعة ، أو تلفاز ، أو من شريطِ تسجيل ، ولذلك على المسلم العاقل ألا يبادرَ بالتصديق الفوري ، لأن الأصلَ هو البراءةُ التامة ، وبقاءُ ما كان على ما كان ، وتلك الشائعاتُ طارئة فلا تصدق ، حتى تتبين الأدلة الواضحة على ذلك ، ولذلك ينبغي أن تُنقَّى مصادرُ التلقي على العموم ، وخاصة أيام الفتن ، وذلك عن طريق:

أ ـ التَّلقِّي يكون عن الثقات العُدُول.

ب ـ عن طريق التَّلقي من أفواه المشايخ ، الذين شهدتْ لهم الأمةُ بالعلم والصلاح.

ج ـ الكتب الموثقة التي تقومُ بنشرها مؤسساتٌ إسلاميةٌ معروفةٌ في الصَّلاح والصِّدق والتثبت.

د ـ النَّشرات الإسلامية التي تقومُ بتوزيعها دورُ النشر والمعرفة الموثقة عند المسلمين.

وكلَّما كان الشخصُ أو المؤسسةُ أو دارُ النشر موسوماً بصفة الإيمان، فإنه يكونُ بعيداً عن الكذب لحديث أبي أمامة عن النبيﷺ أنه قال: «**يُطْبَعُ المؤمنُ على كل الخِلال، عدا الخيانة والكذب**»[1].

* * *

(١) أحمد: ح ٢٢٢٣٢.

المطلب الثاني
التأني والرفق والحلم

إذا ظهرتِ الفتنُ فعليك بالرفق ، فقد جاء في الحديث عنهﷺ أنه قال: **«ما كان الرفقُ في شيء إلا زانه ، ولا نُزِعَ من شيء إلا شَانَهُ»**[1] .

وفي الحديث: **«إن الله رفيقٌ يحب الرفقَ في الأمر كلِّه»**[2] .

فعليكَ بالرفق ، ولا تكن عنيفاً؛ فإن اللهَ يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، ونقصدُ بالرفق: الرفق في كلِّ شيء ، في الأفكار ، وفي المواقف ، وكذلك عليك بالتأني فلا تتسرَّعْ في إصدار القرار ، ولا في اتخاذ المواقف ، يقولُ النبيُّﷺ للأشجِّ بن عبد القيس: **«إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم ، والأناة»**[3] .

والتأني خصلةٌ محمودةٌ ممدوحة ، ولذلك يقولُ الله عز وجل: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[4] .

وكذلك عليكَ بالحلم؛ لأنه بالحلم يمكنُ رؤيةُ الأشياء على حقيقتها ، ويمكنُ بالحلم أن تتبصر الأمور على ما هي عليه . فعن المستورد بن شداد، أنه كان عنده عمرو بن العاص، فقال: سمعتُ رسول اللهﷺ يقول: **«تقوم الساعة ، والروم أكثر الناس»** فقال عمرو للمستورد: أبصر ما تقول ، قال

---

(١) مسلم: ح ٢٥٩٤ .
(٢) البخاري: ح ٦٢٥٦ .
(٣) مسلم: ح ١٧ .
(٤) الإسراء: ١١ .

المستورد: وما لي لا أقول ما قاله رسولُ الله ﷺ؟! ، قال عمرو: إن كان كذلك فلأن في الروم خصال أربع: **الأولى**: أحلمُ الناس عند الفتنة ، **والثانية**: أنهم أسرعُ الناس إفاقةً بعد مصيبة ، **والثالثة**: أوشكهم كَرَّةً بعد فَرَّة ، **والرابعة**: خيرهم لمسكين ويتيم وضعيف ، **وخامسة**: حسنة جميلة ، وأمنعهم من ظلم الملوك[1].

فمدحهم عمرو بهذه الخصلة الجميلة وهي الحلم؛ لأنها هي التي تجعلهم لا يعجلون ولا يغضبون عند ظهور الفتن ، مِمَّا جعلهم أكثرَ الناس وأقواهم إلى قيام الساعة.

* * *

(١) مسلم: ح ٢٨٩٨.

المطلب الثالث

عدم نشر الشائعات مع مشاورة العلماء ذوي البصيرة في الدين والواقع

أ ـ الالتفاف حول العلماء:

أولئك العلماءُ الربانيون أئمةُ أهل السُّنة والجماعة في وقتهم، فالالتفافُ حولهم عاملٌ معينٌ على عدم الزَّيغ والانحراف في وقت الفتن، وكيف لا وهم أنصارُ شَرْع الله، والذين يبيِّنون للناس الحَقَّ من الباطل، والهُدى من الضَّلال، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر**»[1]، فلا بُدَّ من الالتفاف حولهم بحضور حِلَقِهم العلمية، وزيارتهم زيارات دورية، حتى لا تنقطعَ علاقَتُنا بهم، وحتى لا يجدَ أعداءُ الإسلام فجوةً يستطيعون الدخول عن طريقها للطعن في الإسلام، وقد حَدَثَ في التاريخ الإسلامي فتنٌ، ثَبَّتَ اللهُ فيها المسلمين بعلمائهم، ومن ذلك ما قاله عليُّ بن المديني رحمه الله: (أعزَّ اللهُ الدين بالصِّدِّيق يوم الرِّدَّة، وبأحمد يوم المِحْنة)[2].

فيا شبابَ الصحوة، يا شبابَ الإسلام التفوا حول علمائكم فإنهم القدوة، والمربُّون، وهم العونُ لكم بعد الله في هذا الطريق، وفي هذه الفتن، فالْزَمُوهم، وعِيْشُوا في أكنافهم، وإياكم والوحدة فتتخطفكم الشياطين، فإنما يأكل الذئبُ من الغنم القاصية، ولا تتركوا مجالاً لأعداء

---

(١) ابن ماجه، وهو في السلسلة الصحيحة: ١/١٢٧.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١١/١٩٦.

الإسلام يبثوا سمومهم ومقالاتهم لزعزعة الثقة بين العلماء والمجتمع بصفة عامة، وبين العلماء وشباب الصَّحوة بصفة خاصة.

ولذلك كان السلفُ الصَّالح عند تغير الأحوال يلتفُّون حول علمائهم، وإليك نماذج من ذلك.

يقول ابنُ عثيمين: (يجبُ على الإنسان أن يتثبتَ فيما يقول، ويتثبت فيما ينقلُ إليه الخبر، هل هو ثقة أو غير ثقة؟ كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[1]. ولا سيما إذا كثرتِ الأهواءُ، وصار الناسُ يتخبطون، ويكثرون من القيل والقال، بلا تثبت ولا بينة، فإنه يكونُ التثبتُ أشدَّ وجوباً، حتى لا يقعَ الإنسانُ في الهلكة[2].

١ ـ عن بشير بن عمرو قال: شيَّعنا ابنَ مسعود حين خرج، فنزل في طريق القادسية، فدخل بستاناً فقضى الحاجة، ثم توضَّأ، ومَسَحَ على جوربيه، ثم خرج وإن لحيته ليقطرُ منها الماء، فقلنا له: اعهدْ إلينا فإن الناسَ قد وقعوا في الفتن، ولا ندري هل نلقاك أم لا ؟! قال: اتقوا الله، واصبروا حتى يستريح بَرٌّ، أو يستراح من فاجر، وعليكم بالجماعة؛ فإن الله لا يجمعُ أمة محمد على ضلالة[3].

٢ ـ عندما دخل أبو موسى الأشعري المسجد، وإذا به يرى أناساً متحلقين في المسجد، في كل حلقة واحد يرمون بحصى معهم؛ كلما رموا بحصاة قالوا: كبروا الله مئة، حمّدوا الله مئة، سبحوا الله مئة، فذهب أبو موسى إلى ابن مسعود، ولم يحدث شيئاً فأخبره، فقال ابنُ مسعود: فَبِمَ أمرتهم؟ فقال أبو موسى: (**ما قلت لهم شيئاً انتظار أمرك...**)[4].

٣ ـ ما ذكر ابنُ القيم عن دور شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) شرح رياض الصالحين: ٤/ ١١٢.

(٣) الحاكم في المستدرك: ٤/ ٥٥٥.

(٤) تقدم تخريجه.

في التثبيت: (وكنا إذا اشتدَّ بنا الخوفُ، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كلُّه عَنَّا)[1].

من هم العلماء الذين نلتف حولهم:

العلماء الذين يُرْجَعُ إلى قولهم، ويوالون؛ وصفتهم أنهم:

أ ـ **هم أئمةُ** أهل السُّنة والجماعة، وأئمة التوحيد، والذين يُرْجَعُ إلى قولهم في وقتهم.

ب ـ **أهلُ الشمولية** في معرفة الأحكام الشرعية، فيعلمون الفقه، بأبوابه كلِّها، ويعلمون قواعد الشرع، والأحوال المرعية، فلا يكونُ عندهم القياسُ الفاسدُ، والاختلاف بين المسألة والأخرى، ولا بين القضايا بعضها مع بعض[2].

فَهُمْ علماءُ المِلَّة لا علماء الدولة، **ولا علماء الأئمة**، وهم أئمةُ الهدى والمصابيح الذين يستضاء بهم في ظُلُمات الجهل، وهم النُّجومُ الذين يحرقون أهل الأهواء والبدع، **ودعوى** أن في العلماء خَلَل فهم بشر، لكنهم في الجملة **هم الحُجَّة** على العباد، **ودعوى** أنه لا يوجد علماء **دعوى** حاصلها: أن هذا الدين غير قائم، لأن قيامَ الدِّين لا يكونُ إلا بالعلماء، فهم أولياءُ الله، **ودعوى** أن العلماءَ لا يعرفون فِقْهَ الواقع، فنقول: إن فقه **الواقع على قسمين**:

* فقهٌ لواقع يبنى عليه حُكْم شرعي، فهذا لا بُدَّ منه، وفهمه متعين، ومَنْ حكم في مسألة دون أن يفهم واقعها فقد أخطأ.

* واقعٌ لا أثَرَ له في الحكم الشرعي، فإنه يكونُ من الواقع كيت وكيت، ولا أثر لذلك الفهم، ولتلك الأحوال في الحكم الشرعي، فهذا الواقعُ لا يضرُّ الجهل به.

---

(١) الوابل الصيب: ص ٩٧.
(٢) الضوابط الشرعية: ص ٤٤.

فضل العلماء:

العلماءُ هم أئمةُ الأنام، وزوامل الإسلام، يدعون مَنْ ضَلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحْيُون بكتاب الله الموتى، ويُبَصِّرُون بنور الله أهلَ العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائه قد هدوه. عن أبي أمامة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**إن الله وملائكته حتى النملة في جُحْرها، وحتى الحوت في البحر، ليصلُّون على مُعَلِّم الناس الخير**»(١).

والناسُ محتاجون إلى العلماء أكثر من احتياجهم للطَّعام والشراب. قال الإمامُ أحمدُ: (الناسُ أحوجُ إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب تحتاجُ إليه في اليوم مرتين أو ثلاثة، والعلمُ يُحْتَاجُ إليه في كل وقت)(٢).

فهم صفوةُ البشر، وفَضْلُ العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وهم حُرَّاسُ الدين، وحماته من الابتداع والتحريف، ففي الأثر: (يحملُ هذا العلمَ من كل خلف عدولُه، ينفون عنه تحريم الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)(٣).

وهم أولياءُ الله الذين قال فيهم رسولُ الله ﷺ: «**أولياءُ الله الذين إذا رُؤُوا ذُكِر الله**»(٤). وقد قال أبو حنيفة والشافعي: (إن لم يكن العلماءُ أولياء الله، فليس لله ولي)(٥).

وهم عصمةٌ للأمة من الضلال، وهم سفينةُ نوح، من تخلَّف عنها لا سيما في زمن الفتن، كان من المغرقين، يقول الحسنُ: (موتُ العالم

---

(١) الترمذي: ح٢٨٢٥، وقال: حسن صحيح.

(٢) إعلام الموقعين: ٢/٢٥٦.

(٣) خرجه صاحب مشكاة المصابيح: ح ٢٤٨، وخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ١٠/٢٠٩، ح ٥٦، وفيه عمرو بن خالد، كذبه ابن معين.

(٤) الطبراني في الكبير: ١٣٢٥، وانظر السلسلة الصحيحة: ١٧٣٣.

(٥) الفقيه والمتفقه: ١/٣٦.

ثلمةٌ في الإسلام لا يسدها شيء ، ما بقي الليل والنهار)[1] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لا يزالُ الناسُ بخير ، ما أُخِذَ العلمُ عن أكابرهم ، فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا)[2] .

خطر الطعن على العلماء:

الجنايةُ على العلماء خرقٌ في الدين ، ولذلك قال الطحاوي في عقيدته: (وعلماءُ السلف من السابقين ، ومَنْ بعدهم من التابعين ، أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر ، لا يذكرون إلا بالجميل ، ومَنْ ذَكَرَهُمْ بسوء فهو على غير السَّبيل)[3] .

قال ابنُ المبارك: (من استخفَّ بالعلماء ذهبتْ آخرته ، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه ، ومن استخفَّ بالإخوان ذهبت مروءته)[4] .

وقال مالك بن أنس: (كفى بالمرء شراً ألا يكون صالحاً ، وهو يقعُ في الصالحين)[5] . والطاعنون في العلماء لا يضرُّون إلا أنفسهم.

وهم يستجلبون لها بفعلتهم الشنيعة أخبثَ الأوصاف ، قال تعالى: ﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾[6] . وهم من شِرار عباد الله ، لأنه هم المشاؤون بالنميمة ، المفرِّقون بين الأحبة ، وهم المفسدون في الأرض ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[7] .

وهم عُرْضَةٌ لحرب الله عز وجل ، القائل في الحديث القدسي: **«من عادى لي ولياً فقد آذنتُه بالحرب»**[8] .

---

(١) جامع بيان العلم: ١/ ٥٩٥.
(٢) حلية الأولياء: ٨/ ٤٩.
(٣) العقيدة الطحاوية: ص ٤٩١.
(٤) السير: ١٧/ ٣٥١.
(٥) شعب الإيمان: ٥/ ٣١٦.
(٦) الحجرات: ١١.
(٧) يونس: ٨١.
(٨) البخاري: ح ٦٥٠٢.

وهم متعرِّضون لاستجابة دعوة العالم المظلوم عليهم ، فدعوةُ المظلوم ولو كان فاسقاً ، ليس بينها وبين الله حِجاب ، فكيف بدعوة ولي الله ، الذي قال الله فيه ، «**لئن سألني لأعطينه ، ولئن أعاذني لأعيذنه**»؟![1].

وبما أن الجزاء من جنس العمل ، فلينتظرِ الطاعنون في العلماء ، المستهزئون بهم ، بعاقبةٍ من جنس أعمالهم ، قال ابنُ مسعود: (البلاء موكَّل بالمنطق ، ولو سخرتُ من كلبٍ لخشيتُ أن أُحَوَّلَ كلباً)[2].

وليعلمْ أنه يخشى على من تلذَّذ بغيبة العلماء أن يُبتلى بسوء الخاتمة. قال الحافظ ابن عساكر: (لحومُ العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، ومَنْ أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى ـ قبل موته ـ بموت القلب ، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3])[4].

ومن مخاطر الطعن في العلماء: التسببُ إلى تعطيل الانتفاع بعلمهم ، وقد نهى رسولُ الله ﷺ عن سَبِّ الديك لأنه يدعو إلى الصلاة[5].

فكيف يستبيح قومٌ إطلاقَ ألسنتهم في ورثة الأنبياء الداعين إلى الله ، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[6]؟!

وقال أبو الدَّرداء: (ما نحن لولا كلماتُ الفقهاء)[7] ، وكان الحسن البصري يقول: (الدنيا كلها ظلمةٌ إلا مجالس العلماء)[8]، وقال السَّخاوي:

---

(١) المرجع السابق.
(٢) الفوائد: ص ٣٠.
(٣) النور: ٦٣.
(٤) تبيين كذب المفتري: ص٢٨ ، والإعلام لحرمة العلماء: ص ٣٢٤.
(٥) أبو داود: ح ٤٢٥٤.
(٦) فصلت: ٣٣.
(٧) الفقيه والمتفقه: ١/ ١٥٢ ، ح١٤١.
(٨) جامع بيان العلم وفضله: ص ٢٣٦.

(إنما الناسُ بشيوخهم ، فإذا ذهب الشيوخُ فمع من العيش؟!)[1].

ومن شُؤم الطعن في العلماء ، أن القدحَ بالحامل يفضي إلى القدح بما يحمله من الشَّرع والدِّين ، ولهذا أطبقَ العلماء أنَّ من أسباب الإلحاد القدحَ في العلماء ، ولما استهزأ رجلٌ من المنافقين بصحابة النبي ﷺ قائلاً: (ما رأيتُ مثل قرائنا هؤلاء؛ أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسنة ، ولا أجبن عن اللقاء ، نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[2].

قال العلامةُ بكر بن عبد الله أبو زيد: (بادرةٌ ملعونة ، وهي تكفيرُ الأئمة: النووي وابن دقيق العيد وابن حَجَر ، أو الحطُّ من أقدارهم ، أو أنهم مبتدعةٌ ضُلَّال ، كل هذا من عمل الشيطان ، وباب ضلالة وإضلال وفساد وإفساد ، وإذا جرح شهود الشرع جرح المشهود به ، لكنَّ الأغرارَ لا يفقهون ولا يتثبتون)[3].

وإذا خَلَتِ الساحةُ من أهل العلم والفضل ، اتخذ الناسُ رؤوساً جُهَّالاً يفتون بغير علم ، فتستباح الحرمات ، ويهرق الدمُ المعصوم ، ونظرة واحدة إلى الواقع الأليم في بعض بلاد المسلمين ، وما يقع فيها من مجازر ومذابح ، بأيدي الأدعياء الذين تشبثوا برأيهم ، وتأولوا بأهوائهم ، وركبوا رؤوسهم ، ولم يصغوا إلى نصائح العلماء ، تنبئك عن مخاطر تغيُّب العلماء ، وقطع الصِّلة بينهم وبين الشباب[4].

ب ـ التحذير من الشائعات:

الإشاعة لغة: قال الأصفهاني في المفردات: شاع الخبر ، أي: كثر وقوي ، وشاع القوم ، أي: انتشروا وكثروا ، ورجل مشياع؛ إذا كان

---

(١) فتح المغيث: ٢/ ٣٢٠.
(٢) التوبة: ٦٥/ ٦٦.
(٣) تصنيف الناس بين الظن واليقين: ص ٩٤.
(٤) الإعلام: ص ٢٦٤.

لا يكتم سراً ، فمعنى المادة: الانتشار والتكاثر[1].

وأما معناه في الاصطلاح: (فهي الأحاديثُ والأقوالُ والأخبارُ؛ التي يتناقلها الناس ، والقصص التي يروونها دون التثبت من صِحَّتها ، أو التحقق من صدقها).

وقيل في تعريف الإشاعة: (إنها أخبارٌ مشكوكٌ في صحتها ، ويتعذر التحقق من أصلها ، وتتعلَّق بموضوعات لها أهمية ، لدى الموجّه إليهم ، ويؤدي تصديقهم أو نشرهم لها إلى إضعاف روحهم المعنوية)[2].

ولا شَكَّ أنه في وقت الفتن تنشطُ الدعاية ، وتكثرُ الإثارة ، وهنا يأتي دورُ الإشاعة ، ومن المعلوم أن التثبتَ مطلبٌ شرعيٌّ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[3].

ويقولُ عليه الصلاة والسلام: «**كفى بالمرء إثماً أن يُحَدِّثَ بكل ما سمع**»[4].

ولذلك حرص سَلَفُنا الصَّالح على التثبت ، والحذر من الإشاعات ، وإليك نماذج من ذلك:

١ ـ **قال عمر** رضي الله عنه: (إياكم والفتنَ فإن وَقْعَ اللسان فيها مثل وقع السيف)[5].

٢ ـ **وقال عليٌّ** رضي الله عنه: (لا تكونوا عجلاً مذاييع بذراً ، فإن من ورائكم بلاء مبلحاً مكلماً)[6].

---

(١) المفردات للأصفهاني: ص ٢٨٥.
(٢) أخي احذر الإشاعة: ص ١٤.
(٣) الحجرات: ٦.
(٤) سبق تخريخه: ص ٣٧٦.
(٥) كنز العمال ، ص١٢٨ ، جزء ١١.
(٦) كنز العمال: ١١/٢٨١ ، بذراً: أي نشره وفرقه وأفشاه ، المعجم الوسيط: ١/ ٦٥ ، مبلحاً: مقعداً، مكلماً: من الكلم؛ والكلم هو الجرح، مختار الصحاح: ١/٢٥٣، ٢٥٧.

٣ ـ قال **أبو هريرة** رضي الله عنه: (ستكون فتنةٌ صَمَّاء بَكْماء عمياء من أشرف لها استشرفت له، وإشرافُ اللسان فيها كوقوع السيف)[١].

ولقد سَطَّر التاريخُ **خَطَرَ الإشاعة إذا دَبَّتْ في الأمة**، وإليك أمثلة من ذلك:

١ ـ **لما هاجر الصحابة من مكة إلى الحبشة**، وكانوا في أمان، أُشيع أن كفار قريش في مكة أسلموا، فخرج بعضُ الصحابة من الحبشة، وتكبدوا عناء الطريق حتى وصلوا إلى مكة، ووجدوا الخبرَ غير صحيح، ولاقوا من صناديد قريش التعذيب، وكلُّ ذلك بسبب الإشاعة.

٢ ـ **في غزوة أُحُد** لما قُتِل مصعب بن عمير أشيع أنه الرسول ﷺ، وقيل: قُتِل رسولُ الله، فانكفأ جيشُ الإسلام بسبب الإشاعة.

٣ ـ **إشاعة حادثة الإفك** وما حصل لرسول الله ﷺ من البلاء، كل ذلك بسبب الإشاعة.

واعْلَمْ أنَّ الإشاعةَ أركانُها ثلاث: ناقلٌ للإشاعة، ومنقول له، ومنقول عنه.

فنقولُ لناقل الإشاعة:

أولاً: أن يتقي الله ـ تعالى ـ في نفسه، ويراقبه في كلِّ ما يقول ويفعل.

ثانياً: أن يتذكَّر أنه محاسَبٌ على كلِّ كلمة يقولها.. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾[٢].

وقال: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٣].

وقال ﷺ: **«كفى بالمرءِ كذباً أو إثماً أن يُحَدِّثَ بكلِّ ما يسمع»**[٤].

---

(١) أبو داود: ح ٤٢٤٤.
(٢) الانفطار: ١٠ ـ ١١.
(٣) ق: ١٨.
(٤) مسلم: ح ٥.

ثالثاً: أن يكونَ قَصْدُه سليماً لا لَوْثَ فيه، واللوثُ كأن يستغلَّ ذِكْرَ الإشاعة للتنفيس عن نفسه مما يجدُ في صدره عن المنقول عنه، فليحذرِ المسلم من هذا المسلك المشين: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾[1]. ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[2].

وعلى هذا فلزاماً على المسلم أن يُصْلِحَ قلبه وقالبه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ومتى ما علم الله ذلك منه فسيرى ويلقى من الله ما يُحِبُّ ويرضى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

رابعاً: أن يتروَّى ويتثبت في كلِّ ما يقول، وأن يحذرَ من التزيُّد في الكلام، وألَّا ينقل إلا ما كان متأكداً من سماعه، أو رؤيته، حتى تبرأ ذمته. وإليك هذا المثال الذي يبين لك كيف كان الصَّحابةُ - رضي الله تعالى عنهم - وهم أتقى الناس بعد الأنبياء والرسل يتحرّون، ويتثبتون في نقل الأخبار، وهُمْ مَنْ هُمْ في العدالة، والصدق، والأمانة، فعن أبي شريح - رضي الله تعالى عنه - أنه قال لعمر بن سعيد (الأشدق) - وهو يبعث البعوثَ إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدِّثك قولاً قاله النبيُّ ﷺ الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلَّم به... إلخ[4].

هذا هو الشاهدُ من الحديث تثبت ما بعده تثبت، وتَوَثُّق ما بعده تَوَثُّق.

خامساً: أن يكونَ مقصدُه من نقل الإشاعة التأكدَ من صحتها إلى المنقول عنه: فعليه أن يبين هذا لمن يستمعُ إليه حتى يستنيرَ بآرائهم حول هذا الخبر.

---

(١) البقرة: ٢٣٥.

(٢) غافر: ١٩.

(٣) الأنفال: ٧٠.

(٤) رواه مسلم: ح ١٣٥٤.

سادساً: على ناقل الإشاعة أن يُفَرِّقَ بين المجالس التي يرتادها أو الجليس الذي قد يجالسه وقت حُدُوث الإشاعة. فما كلُّ مجلسٍ يصلح. بل إنَّ بعضَ المجالس قد تزيدُ في ترويج الإشاعة، وعلى أوجهٍ مختلفة، فيتَّسعُ الخرْقُ على الرَّاقع.

وهذه المجالسُ هي التي يحضرها الغوغاءُ من الناس، وأولئك مضرَّتهم راجحةٌ على منفعتهم؛ إن صحَّ أن عندهم نفعاً في مجالسهم تلك.

سابعاً: على ناقل الإشاعة أن يحثَّ المنقولَ لهم على التثبت، والتروي، والتأكد في نقلهم عنه؛ لأنه المصدرُ الأصلي لهم، وكلُّ كلامٍ يخرجُ منهم فمحسوب عليه ومنسوب له.

ثامناً: أن يسارعَ أولاً في استشارة أهل العلم والفضل في أمر هذه الإشاعة، وعليه أن يأخذَ بمشورتهم؛ فإنهم أدرى بالمصلحة بحكم علمهم وتجربتهم. بل قد بين اللهُ ـ تعالى ـ في محكم التنزيل أن هذا المسلكَ ـ أعني مسلك الرد إلى أهل العلم ـ هو المسلك السليم في مثل هذا. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

قال سيِّد قُطْب ـ رحمه الله تعالى ـ عند الكلام عن هذه الآية: (والصورةُ التي يرسمها هذا النص هي صورةُ جماعة في المعسكر الإسلامي، لم تألف نفوسهم النظام، ولم يدركوا قيمةَ الإشاعة في خلخلة المعسكر والظاهر أنه يقصد المنافقين، أو ضعاف الإيمان).

وفي النتائج التي تترتب عليها، وقد تكون قاصمةً؛ لأنهم لم يرتفعوا إلى مستوى الحدث، ولم يدركوا جديةَ الموقف، وأن كلمةً عابرة، وفلتة لسان قد تجرُّ من العواقب على الشخص ذاته، وعلى جماعته كلها ما لا يخطر له ببال، وما لا يتدارك بعد وقوعه بحال! أو ـ ربما ـ لأنهم

---

(١) النساء: ٨٣.

لا يشعرون بالولاء الحقيقي الكامل لهذا المعسكر ، وهكذا لا يعنيهم ما يقعُ له من جراء أخذ كل شائعة ، والجري بها هنا وهناك ، وإذاعتها حتى يتلقاها لسانٌ على لسان ، سواء كانت إشاعة أمن أو إشاعة خوف ، فكلتاهما قد يكون لإشاعتها خطورة مُدمِّرة. . .)[1] .

وقال أيضاً ـ رحمه الله تعالى ـ في صفة المنافقين المذكورة عند قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾[2] . قال: وهي صورةٌ فيها الخفة ، والاستهتار ، وقلة التحرج ، وتناول أعظم الأمور ، وأخطرها بلا مبالاةٍ ولا اهتمام. ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ لسان يتلقَّى عن لسان بلا تدبر ، ولا تروّ ، ولا فحص ، ولا إمعان نظر. حتى كان القولُ ليمرُّ على الآذان ، ولا تعقله الرؤوس ، ولا تتدبَّره القلوب: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ لا بوعيكم ولا بعقلكم ولا بقلبكم ، وإنما هي كلماتٌ تقفُ بها الأفواه قبل أن تستقرَّ في المدارك ، وقبل أن تتلقاها العقول)[3] .

وأما ما يلزم المنقول له الإشاعة:

أولاً: عليه أن يُذكِّرَ الناقلَ بالله ـ تعالى ـ وأنه محاسَبٌ ، ومُؤاخَذٌ على كل كلمة يلفظ بها.

ثانياً: وعليه أيضاً أن يَحُثَّه على التروي ، وعدم العَجَلة في نقله.

ثالثاً: عليه أيضاً ألا يبادر بتصديق الإشاعة فوراً؛ خاصة إذا لم تكن الأدلةُ والقرائنُ قائمةً أكمل قيام وأتمه.

رابعاً: إذا كانت الإشاعةُ عن شخصٍ موسومٍ بالخير ، فينبغي أن يحملَ على المحملِ الحسن ، ويلتمس له العذر في ذلك إذا كان للعذر مبررٌ شرعي صحيح.

---

(١) في ظلال القرآن: ٢/ ٧٢٣.
(٢) النور: ١٥.
(٣) الظلال: ٤/ ٢٥٠٢.

فإن لم يكنْ له مبرر فيما نسب إليه ، فعلى المنقول له أن يُذَكِّرَ الناقلَ بأن الواجب في هذه الحالة النُّصح والتَّوجيه؛ حتى يستقيمَ الخَلَلُ الذي سبب وجود الإشاعة.

أما المنقول عنه :

لا يخلو مَنْ نُسبت إليه الإشاعةُ في الجملة من أمرين اثنين :

إما أن يكون معلوماً أو مجهولاً .

فإن كان معلوماً فإما أن يكونَ من المشهود لهم بالخير والاستقامة وخاصة العلماء ، أو من عامة المسلمين.

فإن كانت **الإشاعةُ منسوبةً إلى القسم الأول** ، أي : المشهود لهم بالخير فعلى الإنسان أن يتقي الله ، ويمسك لسانه عن الخوض في أعراضهم؛ خاصة العلماء ، المشهود لهم بالخير ، وحُسْن المعتقد.

وإن كان مَنْ نُسِبت إليه الإشاعةُ غيرَ موسوم بالخير ، فليحذرِ الناقلُ أن يتزيدَ عليه حتى لو كان عدواً له؛ فإن هذا من الظلم والكذب: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[1] .

قال الشيخ السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ: (ولا يجرمنكم ، أي : يحملنكم شنآن قوم ـ أي بغضهم ـ على أن لا تعدلوا كما يفعله من لا عدل عنه ، ولا قسط ، بل كما تشهدون لوليكم فاشهدوا عليه كما تشهدون على عدوكم ، فاشهدوا له ، فلو كان كافراً أو مبتدعاً ، فإنه يجبُ العدلُ فيه ، وقبول ما يأتي به من الحق لا لأنه قاله ، ولا يردُّ الحق لأجل قوله ، فإن هذا ظُلْمٌ للحق. اعْدِلُوا هو أقربُ للتقوى: أي كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به كان ذلك أقربَ لتقوي قلوبكم ، فإن تَمَّ العدلُ كَمُلَتِ التقوى)[2] .

وأما إن كان الشخصُ مجهولاً فالحق أن يلحقَ بالذي قبله ، ولا يُجَوِّز

---

(١) المائدة: ٨.

(٢) تفسير السعدي: ٢/ ٢٥٩.

ناقلُ الإشاعة لنفسه التقولَ عليه بدون تثبت محكم لجهالته. فالجهالة لا تشفعُ للقول بلا علم، وأيضاً فقد يبلغ الخبرُ ذلك المجهولَ فيحملُ على من تكلم فيه بغير حَقٍّ.

طرق دَحْض الإشاعة:

١ ـ **تذكيرُ الناقل بالله تعالى**، وتحذيره من مَغَبَّة القول بلا علم.

٢ ـ **تذكيرُ الناقل بالعاقبة** المتحصِّلة إذا كانت الإشاعةُ كذباً، أو مبالغاً فيها. ﴿فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1].

٣ ـ **عدم التعجُّل** في تقبل الإشاعة دون استفهام أو اعتراض.

٤ ـ **عدم ترديد الإشاعة**؛ لأنَّ في ترديدها زيادةَ انتشار لها مع إضفاء بعض ـ بل كثير من الكذب عليها، وكما قيل: (الكذبُ كرةٌ ثلجيةٌ تكبر كلما دحرجتها).

٥ ـ **اقتفاء سير الإشاعة**، وتتبُّع مسارها للوصول إلى جُذُورها، ووضع اليد على مُطْلِقيها، ومحاسبتهم بحزم.

٦ ـ **عدم المبالاة**، أو إظهار التعجب والاهتمام عند سماعها من أطراف أخرى، والتشكيك في صِحَّتها؛ فهذا بِحَدِّ ذاته يخفف فَوْرةَ نَقَّالي الإشاعة، ويجعلهم يراجعون أنفسهم قبل بَثِّ تلك الشائعة.

ويُزاد هنا أيضاً: أنَّ في الإعراض عن الإشاعة، وعدم الاكتراث بها **سبب رئيسي في إخماد الإشاعة**.

قال الإمامُ مسلم صاحب الصَّحيح ـ رحمه الله تعالى: (... إذ الإعراضُ عن القول المطرح أحرى لإماتته وإخماد ذِكْر قائله، وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيهاً للجهال عليه)[2].

٧ ـ **محاولة الرَّدِّ على الإشاعة في الصُّحف** وما شاكلها إذا كانت

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) مسلم: ١/١٢٩ بشرح النووي.

الإشاعةُ ناشئةً من الصحف ، أو أنها بلغتْ بين الناس مَبْلَغاً عظيماً. فإن في بيان بطلان الإشاعة أمام أكثر عدد من الناس ، أسرع وسيلة للقضاء عليها وإخماد ذكرها. وإن لم يخمدْ ذكرها بالكلية فعلى الأقل إزالةُ القناعة التامة بها من أذهان الناس[1].

* * *

---

(١) انظر هذا المبحث في كتاب: أخي احذر الإشاعة: ص ٢٠ ، وما بعدها بتصرف.

المطلب الرابع

النظر في عواقب الأمر

ففي زَمَن الفتن ليس كلُّ مقال يبدو لك حَسَناً تظهره ، ولا كل فِعْل يبدو لك حسناً تفعله؛ لأن القولَ أو الفعلَ زمنَ الفتنة يترتب عليه أمور ، فالناسُ لا يتصوَّرون كلَّ كلام يقوله القائلُ ، وإنما قد يفهم بعضهم أشياء لا تبلغها عقولهم ، ويبنون عليها اعتقادات أو أعمالاً أو أقوالاً لا تكون عاقبتها حميدةً ، وسلفنا الصالحُ أحبوا السلامة في الفتن ، فسكتوا عن أشياء كثيرة طلباً للسلامة في دينهم ، وإليك نماذج من سيرتهم العَطِرة:

١ ـ قال **أبو هريرة** رضي الله عنه: (حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين ، أما أحدهما: فبثثته ، وأما الآخر: فلو بثثته لقُطِعَ هذا الحُلْقوم) قال أهلُ العلم: كتم أبو هريرة بعضَ الأحاديث لأجلِ ألا يكون هناك فتنة ، وخصوصاً بعد أن اجتمع الناسُ على معاوية بعد فُرْقةٍ[1].

٢ ـ لما حَدَّث **أنسُ بن مالك** بحديث قَتْل الرسول للعرنيين زمن الحَجَّاج؛ أنكر ذلك الحسن البصري التابعي الجليل؛ لأن الحَجَّاج عاثٍ في الدماء ، وربما أخذ هذا الحديثَ ، وتأوَّله على صنيعه ، فكان الأولى عنده كَتْمُ الحديث عن الحَجَّاج[2].

٣ ـ **وعثمان بن عفان** رضي الله عنه في زمن الفتن ، وعندما حُوصِر

---

(١) الفتح: ١/٣٣٦ ، في باب من ترك بعض الاختيار ، مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه.

(٢) نفس المصدر السابق.

وقف بعض الصحابة يريدون الدفاعَ عنه كعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وأبي هريرة ، وغيرهم ، فقال رضي الله عنه: (أُقْسِمُ على مَنْ لي عليه حَقٌّ أن يكفَّ يده ، وأن ينطلق إلى منزله)[1] ، ولو تركهم رضي الله عنه لمنعوه ، ولدافعوا عنه ، ولكن نَظَرَ إلى عاقبة الأمر ، وأنه ربما يحصلُ سَفْكُ دماء ، فاختار أن يكونَ خَيْرَ ابني آدم.

٤ ـ **عن الشعبي** قال: (لما كان الصُّلْحُ بين الحسن بن علي ومعاوية أراد الحسنُ الخروجَ من المدينة ، فقال له معاوية: ما أنت بالذي تخرجُ حتى تخطب في الناس ، قال الشعبيُّ: فسمعته على المنبر حَمِد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال: إن أكيس الكَيْس التقى ، وإن أعجز العَجْز الفجور ، وإن هذا الأمر الذي أختلف فيه أنا ومعاوية حتى كان لي ، فتركته لمعاوية ، وإنما فعلتُ ذلك لحقن دمائكم ، ثم نزل)[2].

٥ ـ **عن أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه أنه قال: (الفتنةُ إذا أقبلتْ شبهت ، وإذا أدبرت بينت)[3].

وكان عليٌّ رضي الله عنه يقول لولده الحسن لما رأى نتائجَ حرب صفين: (وددتُ أن أباك مات قبل هذا بعشرين سنة)[4].

٦ ـ **كان الحسنُ** رضي الله عنه يقول في مقتل عثمان رضي الله عنه: (إنه لو كان هدى لاحتلبتْ به الأمة لبناً ، ولكنه كان ضلالاً فاحتلبتْ به الأمة دماً)[5].

٧ ـ **أكثرُ الصحابة** تركوا القتال في الفتنة كما جاء عن ابن سيرين بأصحِّ الأسانيد: (هاجتِ الفتنة ، وأصحابُ رسول الله ﷺ عشرة آلاف ، فما خَفَّ

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٧/ ١٨١.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ١٥/ ١٠٠.
(٣) البداية والنهاية: ٨/ ٢٠٣.
(٤) البداية والنهاية: ٧/ ٢٥١.
(٥) البداية والنهاية: ٨/ ٢٠٥.

فيها منهم مئة ، بل لم يبلغوا الثلاثين)[1] .

وقال الشعبي: (لم يشهدِ الجملَ من أصحاب النبي ﷺ غيرُ عليٍّ وعمار وطلحة والزبير ، فإن جاؤوا بخامس فأنا كاذب)[2] .

٧ ـ توقُّف الحسنُ عن القتال ضد معاوية حرصاً على عواقب الأمور ، ولذلك لما قيل له : (السلامُ عليك يا مُذِلَّ المؤمنين قال : لا تقلْ هذا ، لستُ بمذل المؤمنين ، ولكن كرهتُ أن أقتلهم على الملك)[3] .

قال ابنُ كثير : (وجعل كلما مَرَّ بحي من شيعتهم يبكون على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية ، وهو في ذلك البار الراشد الممدوح ، وليس يجدُ في صدره حرقاً ، ولا تلوُّماً ، ولا ندماً)[4] .

* * *

---

(١) البداية والنهاية : ٧/ ٢٦٤ .

(٢) السنة للخلال : ص ٤٤٦ .

(٣) البداية والنهاية : ٨/ ٢٢٠ .

(٤) المرجع السابق .

النتائج

الحمدُ لله المَنَّان الذي يَسَّر جَمْعَ هذه المادة ، فأعان على إخراج هذا البحث ، ولقد بذلتُ جهدي في جَمْعه وترتيبه ، فما كان فيه من صوابٍ فمن الله وله الحمدُ والمِنَّة ، وما كان فيه من خطأ وقُصور فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان. وقد وصلتُ في نهاية هذا المبحث إلى هذه النتائج:

١ ـ الفتنة معناها الامتحان والاختبار ، ثم استخدمت في كلِّ مكروه ، مثل الكفر، والشرك، والفسوق، والعصيان، والقتال، والتفرق ، والإحراق بالنار ، وكلّ ما تكرهه النفوس ، وقد اختلف معناها في القرآن على حسب السِّياق والقرائن ، حتى وَصَل معناها إلى خمسة عشر معنى.

٢ ـ تناولت السنة موضوع الفتنة تناولاً واسعاً ، فاستوفتْ أقسامها ، وأوصافها ، وأزمنتها ، وأمكنتها ، وقوادها ، وحذَّرتِ الأمةَ من الوقوع فيها ، وبينت أن العبادةَ في زمنها أجرها مضاعف على أجر الصحابة ، بل إنها تعدلُ ثوابَ الهجرة إلى النبي ﷺ .

٣ ـ فتنة الشهوات: تنتجُ من فساد **القوة العملية** عند المكلَّف ، وهي ضعف الإرادة والعزيمة على فِعْل الطاعات ، واجتناب المُحَرَّمات ، والداعي إلى الفتن هو إبليسُ وأعوانه ، والمخرجُ من هذه الفتن الصبرُ على طاعة الله ، والصبرُ عن معصيته بتقوية باعث الإيمان في قلب العبد.

٤ ـ فتنة الشبهات: سببها فسادُ **القوة العلمية** التي بها يبصرُ العبدُ الحقَّ والباطل ، وسَبَبُ فسادها إما جهلٌ أو تقليدٌ أو اتباعٌ للهوى ، والمخرجُ منها أن يُـقَوِّي العبدُ بصيرته بتعلُّم العلم النافع من الكتاب والسنة؛ بفهم

أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

٥ ـ **فتنة التفرق والاختلاف بين المسلمين**: تبين لي أن التفرقَ إنما يكون في أصول الدين، والاختلاف يكونُ في الأمور العملية، ولا مخرجَ من هذه الفتنة إلا بالتجرد لله عز وجل، مع سلوك مسلك الإنصاف معاً لمخالف، ونَبْذ التعصُّب لجميع الرايات، إلا راية الإسلام، مع الموازنة بين الجماعة والسنة، وقد أمر اللهُ تعالى بالجماعة والائتلاف، ونهى عن التفرق والاختلاف.

٦ ـ **فتنة تسلُّط الكفار على المسلمين**: سببها ضَعْفُ تمسُّك المسلمين بدينهم، في العقائد الشركية، والعبادات البِدْعية، والانحرافات السلوكية المنتشرة في الأمة، حتى أضعفت قوتها، ولا مخرجَ من هذا البلاء إلا بالتصفية والتربية: **تصفية العقائد** ممَّا خالطها من الشرك، وتنقية العبادات ممَّا خالطها من البِدَع، **وتربية الأمة تربية إيمانية**، مع بث روح الجهاد في نفوس الأمة، مع معرفة أن العِزَّة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن الله غالبٌ على أمره ولو كره الكافرون.

٧ ـ **فتنة التخلُّف المادي والحضاري**: الذي تعيشه الأمةُ في جميع المجالات، وسببه أن الأمةَ أضاعت دينها، فابتلاها اللهُ في دنياها، ولما نسيت الأمة ربَّها أنساها اللهُ أنفسها، ولا مخرجَ من هذه البلية إلا بالرجوع إلى المنهج الشرعي الصحيح، الذي جاء بالموازنة بين الدنيا والآخرة، والجسد والروح، مع إعطاء كلِّ ذي حق حقه، مع تربية الأمة أن كلَّ علم وحضارة لا يقربُ إلى الله، فهو عِلْمٌ مشؤوم، وحضارة زائلة، وهالكة لا محالة.

٨ ـ **أصيبت الأمة بهزيمة نفسية نكراء**: بسبب تخلُّفها مادياً وحضارياً، فرأت أن المخرجَ منها هو الالتجاءُ إلى أعداء الله، فوالتهم من دون المؤمنين، وتربَّت الأمةُ على الإعجاب والمحبة والثناء على الكافرين، فكانت كالمستجير بالرَّمْضَاء من النار، ولا مخرجَ من هذه الفتنة حتى تجرد

الأمة ولاءها لله ولرسوله والمؤمنين ، مع العلم بأن الإيمانَ لا يستقيم إلا بالموالاة في الله ، والمعاداة في الله.

٩ ـ علم الساعة: استأثر اللهُ بتفاصيله ومَوْعده فلم يَطَّلِعْ عليه ملكٌ مُقَرَّب ، ولا نبيٌّ مرسل ، لكن جعل اللهُ لها علامات إنذار وتخويف ، وهي علاماتٌ صغرى وكبرى. **أما الصُّغرى** فبعضها قد مضى وانقضى ، مثل بعثة النبي ﷺ ، وبعضها حَدَث وما زال باقياً ، كالدُّعاة على أبواب جهنم ، وتقارب الزمن ، وبعضها لم يأتِ بعد كعودة الجزيرة العربية مروجاً وأنهاراً. وأما **العلامات الكبرى** ، فهي عشرةُ علامات ثلاث منها مرتبة ، وهي ظهور المسيح الدجال ، ثم نزول عيسى لقتله ، ثم خروج يأجوج ومأجوج ، وأما آخرُ العلامات فالنار التي تخرجُ من قَعْر عَدَن ، وأما الدابة وطلوع الشمس من مغربها ، بعد خروج يأجوج ومأجوج ، ولا يدري أيتهما أولاً ، لكنهما متلاحقتان ، وأما الدخانُ والخسوفاتُ الثلاثة فلا يُعْلَمُ زمنها على الوجه المحدد.

١٠ ـ القبر برزخ بين الدنيا والآخرة: وهو إما روضةٌ من رياض الجنة ، وإما حفرةٌ من حُفَر النيران ، وقد كان النبيُّ ﷺ يستعيذُ من فتنته وعذابه ، وأمر الأمة بذلك.

١١ ـ يوم القيامة يوم عظيم: فتنة متتابعة ومتلاحقة شديدة ، ولا مخرجَ من هذه الفتن إلا بتحقيق الإيمان حتى نكون مِمَّن قال الله فيهم: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١].

١٢ ـ النار: هي الفتنةُ الكبرى جعلها مستقراً للكافرين ، وتوعَّد بها العصاة من الموحِّدين ، فما رأيت مثل النار نام هاربها ، ولا الجنة نام طالبها ، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[٢].

---

(١) الأنبياء: ١٠٣.

(٢) آل عمران: ١٣١.

١٣ ـ **الجهاد في سبيل الله**: مَخْرَجٌ من مخارج الفتن، به يدفعُ الكافرون، وينـدحر الظالمون، ويكون الدينُ كلُّه لله، وهو ماضٍ إلى يوم القيامة لا يبطله جَوْرُ جائر، ولا عَدْلُ عادل.

١٤ ـ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: شعيرةٌ من شعائر الإسلام، ومَعْلَمٌ من معالم الدين، بتركه تنتشرُ الفتن، ويتسلطُ أهلُ الشر، ويعمُّ البلاء الصالحين والطالحين، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[1].

١٥ ـ **الاعتزال عند فتنة القتال بين المسلمين**: حين تشتبه الأمورُ وهو واجبٌ على كل مكلَّف حتى لا يُسْفَكَ دمٌ معصوم، أما حين يتبين الحق، فإنه يجبُ نصره، ومقاتلة الفئة الباغية، وأما في غير زمان القتال بين المسلمين، **فلا تُشْرَعُ العزلة**، بل المخالطةُ والدعوةُ إلى الله، وهي أعظمُ عند الله ثواباً، لكن تشرع العزلةُ في حالتين: عند انتشار الفساد، وفي حالات معينة، حين تكون العزلةُ خيراً من المخالطة في حق أناس معينين.

١٦ ـ **عند نزول الفتنة**: على العبد أن يوقن أنه لا ملجأً من الله إلا إليه، فعليه أن يجدِّد التوبةَ، ويحسنَ الالتجاءَ إلى الله عز وجل، فما نزل بلاءٌ إلا بذنب، ولا رُفِع إلا بتوبة.

١٧ ـ **الصبر عند نزول الفتنة**: صفة المتقين، ومَعْلَم من معالم الراسخين، فهو مفتاحُ الفرج، أما التسرعُ في أخذ المواقف، وعدم ضبط النفس، فإنه يؤدي إلى اختلاط الأمور، وتزايد الشر، واستحكام الفتنة.

١٨ ـ **على المؤمن في زمن الفتنة**: أن يحذرَ من تطبيق أحاديثها على الواقع حتى لا يقولَ على الله بغير علم، وأن يلتفَّ حول العلماء الراسخين الذين يجمعون بين فِقْه الشَّرع، وفِقْه الواقع، فلا يتَّخذ قراراً، ولا يتحرك حركةً إلا بالرجوع إليه.

١٩ ـ **التثبت عند الفتن**: أمرٌ ضروريٌّ، وهو التأكد من صحة الأخبار

---

(١) الأنفال: ٢٥.

عند قولها وعند سماعها؛ حتى لا تزيد الفتنة اتساعاً وانتشاراً ، مع الحذر من الإشاعات التي يبثها الأعداء في زمن الفتنة ، فهي مِعْوَلُ هدمهم ، وأداةُ تفريقهم للمؤمنين.

* * *



التوصيات

١ ـ إنْ كان هناك من وصية؛ فأُوصي نفسي والمسلمين **بتقوى الله عز وجل**، فإنها وصيةُ الله للأولين والآخرين، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[1]. فما اسْتُجْلِبتِ النِّعَمُ بمثل تقوى الله، وما استدفعت النقمُ بمثل تقوى الله، يقول طَلْقُ بن حبيب: (إذا أقبلت الفتنُ فأطفئوها بتقوى الله، قيل: وما تقوى الله. قال: أن تعملَ بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثوابَ الله، وأن تتركَ معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله)[2].

وبتقوى الله تصبحُ الأمة في ذمة الله وحفظه وعنايته، وقد قال ﷺ: **«مَنْ صلَّى الصبح في جماعة فهو في ذِمَّة الله، فلا يطلبنكم اللهُ من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمَّته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في جهنم»**[3].

٢ ـ من الوصايا الهامة **الالتفاف حول العلماء الرَّبَّانيين** والأخذ عنهم، والاستفادة من خبراتهم، والحَذَر من التصدُّر قبل كمال الأهلية، كذلك الحَذَر من الطعن في العلماء، والتنقص منهم، فهم العصمةُ للأمة بفضل الله، وهم سفينةُ النجاة، مَنْ تخلَّف عنها غرق، ينفون عن كتاب الله تحريفَ الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

٣ ـ **الوصية بإمساك اللسان في زمن الفتنة**، فَوَقْعُه أشدُّ من السيف،

---

(١) النساء: ١٣١.

(٢) جامع العلوم والحكم: ١/ ١٨٩.

(٣) مسلم: ح ٦٧٥.

فكم من كلمة مَزَّقتْ جَسَدَ الأمة وصدعت بنيانها ، فلا بدَّ من الموازنة بين الكلام والسكوت ، فالسَّاكتُ عن الحق في وقته شيطان أخرس ، ومن تكلَّم بالباطل شيطانٌ ناطق ، لكن مع مراعاة المصالح والمفاسد ، فليس كلُّ حق يقال في زمن الفتنة ، وليس كلُّ باطل يُنكر في زمان الفتنة ، فلا بدَّ من تحصيل أعلى المصلحتين بتفويت أدناهما ، ودَفْع أعلى المفسدتين مع ارتكاب أدناهما عند التعارض.

٤ ـ **لا بُدَّ من إحياء مفهوم الولاء والبراء في الأمة**؛ وهو أن تكونَ المحبةُ والنصرة والعلاقة بين أفراد الأمة على أساس الدِّين ، وأن تكونَ البغضاءُ والكراهيةُ والمعاداةُ على أساس الدِّين ، **ولا بد من إزالة الروابط الجاهلية** التي حَلَّتْ بدلاً من هذه الرابطة الإيمانية مثل: رابطة **الوطن واللغة واللون والإنسانية** وغير ذلك ، ولن يستقيمَ حالُ هذه الأمة حتى تُحِبَّ في الله وتبغض في الله ، وتعطي في الله ، وتمنع في الله ، ويوم أن يكونَ هذا المفهومُ حياً في نفوس هذه الأمة ترتفعُ راياتُ الجهاد في سبيل الله ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدِّينُ كله لله ، ويومئذٍ يفرحُ المؤمنون بنصر الله.

٥ ـ **نوصي الأمة بالبعد عن المبالغة والمجازفة في توصيف الواقع** ، فليست الفتنُ التي انتشرت في الأمة ، بسبب ضعفها مادياً فحسب ، ولا تفوقاً مادياً للعدو فحسب ، وليس لمخططات الأعداء ومكرهم فحسب ، بل الداءُ الأصيلُ الذي حَلَّتْ بسببه الفتن والمحن هو **وهن الإيمان** ، الذي دَبَّ في قلوب الأمة ، وهو حُبُّ الدنيا وكراهية الموت. ولا مخرجَ من هذا الداء إلا بتقوية الأمة عقدياً وإيمانياً وعبادياً من خلال الوعظ والتذكير ، والعلم ، والتعلم ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر من خلال برامج دعوية منظمة ، تشملُ جميعَ قطاعات الأمة ، فالعلمُ والوعظُ يحيا به القلب بعد موته ، كما تحيا الأرضُ الهامدةُ بالمطر بعد موتها.

٦ ـ **نوصي المسلمين بالإنصاف والعدل بالأمر كله** ، وخاصَّة عند فتنة التفرق والاختلاف ، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟

﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾[1] . والعدلُ معناه أن تأتيَ بالأمور الحسنة والأمور السيئة بالخصم والموازنة بينهما ، والنَّبيلُ من عُدَّتْ سقطاته ، وإذا بلغ الماءُ قُلَّتين لم يحملِ الخبث ، وقد قال النبيُّ ﷺ في الرجل الذي كان يشربُ الخمر ويُؤْتَى به كثيراً ويُجْلَد عنده ﷺ : «**دعوه فإنه يحبُّ الله ورسوله**»[2] . قال ابنُ تيمية : (وقد ذهب كثيرٌ من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم إلى بلاد الكفار ، وأسلم على أيديهم خَلْقٌ كثيرٌ ، وانتفعوا بذلك ، فصاروا مسلمين ، مبتدعين ، وهو خير من أن يكونوا كفاراً ، وكذلك بعضُ الملوك قد يغزو غزواً يظلم فيه المسلمين والكفار ، ويكون آثماً بذلك ، ومع هذا فيحصلُ به نَفْعُ خَلْقٍ كثير كانوا كفاراً فصاروا مسلمين)[3] .

٧ ـ نُوصي الأمةَ **بحمل الأمور على ظاهرها والبعد عن سوء النية** ، التي لا مُوجِبَ لها ، وكذلك البعدُ عن الاحتكارية المنهجية ، فالمسلمُ يفرحُ بأن يجد معه على طريق الحق أعواناً يناصرونه ، ويلتزمون منهجَ أهل السنة والجماعة ، وإن خالفوه في بعض الاجتهادات الفرعية ، ولا يصحُّ أن يجعلَ ذلك حُجَّة في تسويغ الاتهام بالباطل ، والرمي بالظُّنون السيئة والتشكيك في النيات والأهداف بما لا يعلمه إلا العليمُ الخبير . والحُكْمُ بالظاهر مقرر شرعاً ، دلَّتْ عليه الأدلةُ ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾[4] . وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إليَّ ، فلعلَّ بعضكم أن يكون ألحنَ بحُجَّته من بعض ، فأقضي له بنحو ما أسمع ، فمن قضيتُ له بشيء من حق أخيه فإنما هي قطعةٌ من النار ، فليأخُذْها أو ليدعها**»[5] .

٨ ـ **نوصي بتدقيق النظر فيما وقع بسببه الخلاف** ، فلا تضخّم مسألة

---

(١) المائدة: ٨.
(٢) البخاري: ح ٦٧٨٠.
(٣) منهاج السنة: ٤/٥٤٣.
(٤) النساء: ٩٤.
(٥) البخاري: ح ٧١٨١.

صغرى ، ولا تصغّر مسألة كبرى ، وليبعد العامةُ عن إثارة الخلاف فيما هم منه في عافية ، **والابتعادُ عن اتخاذ مسألة الخلاف شعاراً** تفرق به الأمة ، وتبعثر به صفوفها ، ولقد أعمل شيخُ الإسلام ابن تيمية هذه الضوابطَ في فتنة وقعتْ في البحرين؛ حيث اختلف أهلُها في مسألة رؤية الكفار لربهم في عَرَصات يوم القيامة ، فأجاب: إنَّ الواجبَ على كل مؤمن اعتقادُ رؤية المؤمنين لربهم ، وأما مسألةُ رؤية الكفار لربهم فقد اختلف فيها العلماءُ على أقوال ثلاثة ، ولم يتلاعن أولئك المختلفون ولم يتهاجروا ، بل في كلِّ فرقة منهم أصحاب فَضْل وسنة ، ثم سَرَدَ الأقوال الثلاثة ، ودليل كل قول ، وذَكَر أنَّ لكلِّ قوم عذراً فيما ذهبوا إليه ، ثم بيَّن أن هناك آداباً يجب مراعاتها؛ منها: أنه لا يصح جعل هذه المسألة شعاراً يفرق بها بين الناس فإن مثل هذا مما يكرهه الله ورسوله ، وألا يفاتحَ فيها عوامُّ المسلمين الذين هم في عافية وسلامة من الفتن ، وإنَّ افتراقَ أهل السنة أشرُّ كثيراً من خطأ نفر قليل في مسألةٍ فرعية ، ثم أعرض عن بيان قول الرَّاجح في هذه المسألة ، وعلَّل ذلك بأنه رأى أن جَمْعَ كلمتهم أوكدُ من تحرير هذه المسألة[١] .

٩ ـ وأخيراً نوصي الأمة بتحقيق الأخوة الإيمانية فيما بينها ، وعدم التحاسد والتباغض والتدابر ، وأن يكونوا عبادَ الله إخواناً ، وأن يكونَ طَلَبُ العلم الشرعي المنجي من الفتن رحماً بينهم ، به يتآلفون ، وبه يتحابُّون. ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢] .

وآخِرُ دَعْوانا أن الحمد للهِ ربِّ العالمين

مكَّة المكرَّمة ١٤٢٣ هـ **أحمد بن إبراهيم بن أحمد**

---

(١) انظر ذلك في الفتاوى: ٦/ ٤٨٥.

(٢) الروم: ٤ ـ ٥.

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الإبداع في كمال الشَّرع وخَطَر الابتداع: فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن للنشر، الطبعة الثانية.

٣ ـ إتحاف أهل الإيمان بما يعصمُ من فتن هذا الزمان: عبد الله بن جار الله الجار الله، طبعة بدون تاريخ، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض.

٤ ـ إحياء علوم الدين: للإمام أبي حامد الغزالي، وبذيله كتاب **المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار**: للعلامة زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار المعرفة ببيروت.

٥ ـ أخي احذر الإشاعة: للشيخ عبد العزيز السرحان، دار القاسم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

٦ ـ آداب الخلاف: للشيخ عوض محمد القرني، دار الأندلس الخضراء، ١٤١٥ هـ.

٧ ـ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار: للإمام محيي الدين أبي زكريا بن شرف النووي الدمشقي الشافعي، وبهامشه **شرح وجيز للعلامة ابن علان**، دار الكتب العلمية ببيروت.

٨ ـ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: للدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

٩ ـ الإشاعة وأشراط الساعة: للشريف بن محمد بن عبد الرسول البرزنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٠ ـ أشراط الساعة: تأليف يوسف بن عبد الله الوابل ، دار طيبة ، مكتبة ابن الجوزي ، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٩ م.
١١ ـ الاعتصام: تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي ، تحقيق سليم بن عيد الهلالي ، دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.
١٢ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، ترتيب وتحقيق محمد عبد السلام بن إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م.
١٣ ـ الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام: تأليف محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم ، دار طيبة ، مكتبة الكوثر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م.
١٤ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.
١٥ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروزآبادي محمد بن يعقوب ، الطبعة بدون ، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م.
١٦ ـ تاريخ الأمم والملوك: لابن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر.
١٧ ـ تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: للإمام الحافظ أبي العلاء محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ، ومعه **شفاء الغلل في شرح كتاب العلل** ، **والشمائل المحمدية** ، **والخصائص المصطفوية** ، لأبي عيسى الترمذي ، تحقيق صدقي محمد عطار ، دار الفكر ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.
١٨ ـ تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم: للإمام شيخ المحدثين بدر الدين بن جماعة الكناني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، طبعة بدون.

١٩ ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.
٢٠ ـ تربية الأولاد في الإسلام: للشيخ عبد الله ناصح علوان ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.
٢١ ـ تربية أولادنا في الإسلام: للشيخ محمد ناصح علوان.
٢٢ ـ الترغيب والترهيب: للإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، تحقيق محيي الدين مستو ، وسمير العطار ، ويوسف علي بديوي ، دار ابن كثير ، ودار الكلم الطيب ، ومؤسسة علوم القرآن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م.
٢٣ ـ تسلية المصاب بما في البلوى من النفع والثواب: جمع وترتيب الأخ أحمد فريد ، دار هند السلفية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.
٢٤ ـ تهذيب الأسماء واللغات: للنووي أبي زكريا محيي الدين ، دار الكتب العلمية ببيروت ، طبعة بدون تاريخ.
٢٥ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، نشر جمعية إحياء التراث الإسلامي ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.
٢٦ ـ تيسير مصطلح الحديث: للدكتور محمود الطحان ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة التاسعة ، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م.
٢٧ ـ جامع الأصول لأحاديث الرسول: للإمام المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.
٢٨ ـ جامع البيان في تأويل آيات القرآن: للطبري محمد بن جرير ، دار الفكر ، بيروت ، طبعة بدون ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م.
٢٩ ـ جامع العلوم والحكم: للعلامة عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي ، المعروف بابن رجب ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.

٣٠ ـ جامع بيان العلم وفضله: للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الأندلسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.
٣١ ـ الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣ هـ.
٣٢ ـ الجنة والنار: للدكتور عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م.
٣٣ ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.
٣٤ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للشيخ أحمد بن عبد الله أبي نعيم الأصفاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، طبعة بدون تاريخ.
٣٥ ـ الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي: تحقيق أحمد شاكر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، طبعة بدون تاريخ.
٣٦ ـ الرياض الفاخرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون والمتنوعة الفاخرة: للشيخ عبد الرحمن السعدي ، طباعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٥ هـ.
٣٧ ـ السلسبيل لمعرفة الدليل: حاشية على زاد المستقنع ، لفضيلة الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠١ هـ.
٣٨ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.
٣٩ ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: للدكتور الشيخ مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.
٤٠ ـ سنن ابن ماجه: الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد بن فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.
٤١ ـ سنن أبي داود: للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأسدي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر.

٤٢ ـ سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق أحمد شاكر، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، طبعة بدون تاريخ.

٤٣ ـ سنن الدارمي: للإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق الدكتور مصطفى البغا، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٩١ م.

٤٤ ـ السنن الكبرى للبيهقي: أحمد بن حسين، الطبعة الأولى، مجلس دائرة المعارف العثمانية.

٤٥ ـ سنن النسائي: للإمام أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م.

٤٦ ـ سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.

٤٧ ـ السيرة النبوية لابن هشام: تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأنباري، عبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.

٤٨ ـ شرح العقيدة الطحاوية: للعلامة ابن أبي العز الحنفي، تحقيق جماعة من العلماء، وتخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

٤٩ ـ شرح رياض الصالحين: للشيخ ابن عثيمين، تحقيق الدكتور محمد محمد تامر، دار العنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

٥٠ ـ شرح صحيح مسلم: للإمام محيي الدين بن شرف النووي الدمشقي الشافعي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.

٥١ ـ شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: لابن قدامة المقدسي، للشيخ صالح بن عثيمين.

٥٢ ـ شروط الدعاء وموانع الإجابة: تأليف سعيد بن علي بن رهف القحطاني، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

٥٣ ـ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عطار، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

٥٤ ـ صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار السلام للنشر والتوزيع بالرياض، طبعة مصححة ومرقمة، حسب المعجم المفهرس وفتح الباري، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٥٥ ـ صحيح الترغيب والترهيب: للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لصاحبها: سعد بن عبد الرحمن الراشد، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

٥٦ ـ صحيح سنن ابن ماجه: للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٥٧ ـ صحيح سنن أبي داود: للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م.

٥٨ ـ صحيح سنن الترمذي: للألباني، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

٥٩ ـ صحيح مسلم: للإمام أبي الحسن مسلم بن حجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.

٦٠ ـ صفة الصفوة: للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار الكتب العلمية.

٦١ ـ ضعيف الترغيب والترغيب: للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لصاحبها: سعد بن عبد الرحمن الراشد، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.

٦٢ ـ الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.

٦٣ ـ الضياء اللامع للخطب الجوامع: للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، أشرف على طبعه المؤلف ، مكتبة السوادي للتوزيع ، الطبعة الثامنة ، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

٦٤ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين: للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، طبعة دون تاريخ.

٦٥ ـ ظاهرة ضعف الإيمان: محمد صالح المنجد ، دار الوطن بالرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ.

٦٦ ـ العزلة: أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي ، تحقيق ياسين محمد السواس ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

٦٧ ـ العواصم من الفتن: محمد بن عبد الله الدوسري ، دار الأفق للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ.

٦٨ ـ عون المعبود لشرح سنن أبي داود: للعلامة أبي الطيب ، محمد شمس الحق العظيم آبادي ، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٦٩ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: للشيخ الحافظ أبي الفضل أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق طلبه عبد الرؤوف ومصطفى الهواري والسيد محمد عبد المعطي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

٧٠ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: للعلامة محمد بن علي الشوكاني ، مراجعة الشيخ هشام البخاري ، والشيخ خضر عكاري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٧١ ـ فتح المغيث شرح ألفية الحديث: للعلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تعليق وتخريج الشيخ صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م.

٧٢ ـ الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن: لعبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، دار القاسم للتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م.

٧٣ ـ الفتوحات الإلٰهية لتوضيح تفسير الجلالين: للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشافعي، الشهير بالجمل، دار الفكر، طبعة دون تاريخ.

٧٤ ـ فقه الإئتلاف وقواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف: محمود محمد الخنزار، مراجعة الشيخ علي خشان، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

٧٥ ـ الفقيه والمتفقّه: أحمد بن علي خطيب البغدادي، تعليق إسماعيل الأنصاري، دار إحياء السنة، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.

٧٦ ـ الفوائد: للإمام شمس الدين محمد بن بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق الشيخ عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

٧٧ ـ في ظلال القرآن: للشيخ سيد قطب، دار الشروق، الطبعة التاسعة، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.

٧٨ ـ القاموس المحيط: للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة السادسة، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م.

٧٩ ـ القيامة الصغرى: للدكتور عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م.

٨٠ ـ لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، طبعة دون تاريخ.

٨١ ـ لمعة الاعتقاد: محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق أبي محمد أشرف عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، طبعة ثالثة ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.
٨٢ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي بن بكر الهيثمي ، تحقيق عبد الله بن محمد الدرويش ، دار الفكر ، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م.
٨٣ ـ مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيت عبد الرحمن محمد بن قاسم ، مكتبة المعارف ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.
٨٤ ـ مخارج من الفتن: مصطفى العدوي ، دار السنة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥ هـ.
٨٥ ـ مختار الصِّحاح: للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م.
٨٦ ـ مسؤولية الكلمة: تأليف الدكتور عبد الله وكيل الشيخ ، طبعة دار الوطن بالرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ.
٨٧ ـ مستدرك الحاكم: لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار ثابت العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ.
٨٨ ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد: للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، مؤسسة قرطبة ، الدار البيضاء للنشر والتوزيع.
٨٩ ـ معالم التنزيل: محمد الحسين البغوي ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٥ هـ.
٩٠ ـ معالم السنن: أحمد بن محمد الخطابي ، دار الحديث للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م.
٩١ ـ معالم على طريق العفة: عبد الله بن عبد الرحمن الرطبان ، تقديم الشيخ ناصر العمر ، مكتبة الصفجي.
٩٢ ـ معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، دار إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م.

٩٣ ـ المغني: للعلامة أبي محمد بن عبد الله بن أحمد بن قدامة، طباعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مكتبة الرياض الحديثة، طبعة بدون تاريخ.
٩٤ ـ مفردات ألفاظ القرآن: للعلامة أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، طبع وتصحيح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.
٩٥ ـ من نجالس: لعبد الله بن علي الجعيش، دار الوطن للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤١٩ هـ.
٩٦ ـ منهاج السنة النبوية نقض كلام الشيعة والقدرية: لابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٩٧ ـ موقف المسلم من الفتن: لأبي أنس بن محسن أبي زراع الحازمي، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م.
٩٨ ـ نزهة الفضلاء تذهيب سير أعلام النبلاء: إعداد محمد بن حسن عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.
٩٩ ـ النهاية في غريب الحديث: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد الجزري بن الأثير، تحقيق علي بن حسن بن علي الأثري، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
١٠٠ ـ النهاية لغريب الحديث: للإمام ابن الأثير، تحقيق طاهر الزواوي، ومحمود القثامي، دار الفكر، لبنان، طبعة بدون تاريخ.
١٠١ ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب: للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ضبط الشيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، ببيروت. طبعة بدون تاريخ.
١٠٢ ـ الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم: للدكتور عبد الله بن إبراهيم الطريقي، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

* * *

فهرس الموضوعات